

محمد علي مغربي

أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة

١٣٠١ - ١٤٠٠ م

١٨٨٣ - ١٩٨٠ م

المجلد الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّاشِر

تَهَامَة

جسدة . المملكة العربية السعودية

ص.ب ٥٤٥٥ . هاتف ٦٤٤٤٤٤٤٤

جميع الحقوق لهذه الطبعة محفوظة للناس

مقدمة

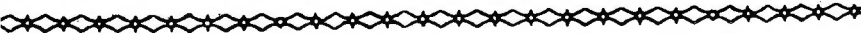
الحمد لله الذى خلق الانسان فسواه ، وصوره فاحسن تصويره ، ووهبه من الصفات والمزايا وفضله على سائر المخلوقات ، وارسل الانبياء والرسل لهدايته وتقويمه ، وجعل له الخلافة فى الارض واسبغ عليه من نعمه مالا يحصيه العد ولا يصل اليه حد ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله وصفوته من الخلق سيدنا ونبينا محمد الذى ارسله الله هدى للعالمين ورحمة ، والذى اصطفاه ورباه وقومه احسن تقويم ، فكان كما قال تعالى فى وصفه «وانك لعلى خلق عظيم» صلوات الله وسلامه عليه وعلى كافة الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، وبعد فهذه تراجم لبعض اعلام الرجال الذين عاصرتهم وقد انتقلوا جميعا الى جوار ربهم وهم جميعا ممن ولدوا وتوفوا خلال القرن الرابع عشر الهجرى الذى نقرب من نهايته ، وأغلب هؤلاء الرجال ممن اتصلت اسبابى باسبابهم فعرفتهم عن قرب وخبرت من أمورهم ما قد يخفى على كثير من شباب الامة ورجالها خاصة وان الكثير ممن عاصرهم وعرفهم اما أن يكون قد لحق بهم أو انه مثلى فى الطريق اليهم ، ورأيت أن من الخير التعريف بهم والتذكير بما كانوا عليه من كريم الصفات وما قاموا به من عمل نافع ، على اختلاف وجوه هذه الاعمال التى يمكن ان تجتمع تحت كلمة (النفع العام) نعم فان جميع هؤلاء الرجال الذين تحدثت عنهم كانوا قد وهبوا انفسهم للخدمة العامة على اختلاف السبل ، وتفاوت الدرجات ، ولست ازمع ان هؤلاء الرجال قد سلموا من الشوائب ، أو تبرأوا من النقص فهم بشر كسائر

الناس ولكنى رأيت ان صفات الخير قد غلبت عليهم ، وانهم تغلبوا على الانانية الفردية فوهبوا من نفوسهم واموالهم واقاتهم للناس ما يجعلهم مثلاً يحتذى وحديثاً يتردد فهم من الصفوة التى تتخذ قدوة حسنة لمن يرغب السير فى طريق الخير والنفع العام ، كما ان من الواجب ان اوضح أن كلما كتبت عن هؤلاء الرجال هو تسجيل لذكرياتى عنهم وعن اعمالهم ، فهذه التراجم ادخل فى باب الذكريات منها فى باب التراجم التى قد يتطلب فيها الكثير من التدقيق ، كما انى اود ان اذكر ان هؤلاء الرجال الذين تحدثت عنهم لم يكونوا وحيدى فى عصرهم وانما كان لهم اخوة وزملاء لاشك ان الكثيرين منهم يستحق ان يكتب عنه ويشاد بذكره ولكنى انما كتبت عن اعرف ولعل غيرى من الاخوة الكتاب فى كافة مدن المملكة يكتب عن اعلام بلده ومن عرف منهم احياء للذكريات الحسنة والاعمال الطيبة ، ولاشك ان هذا ان تم فستكون هناك حصيلة طيبة لاعلام هذا القرن تكون سنداً لمن يكتبون تاريخه ويسجلون وقائعه ، فالتاريخ انما يصنعه الرجال .

وهناك مسألة اخيرة اود ان اذكرها فى ختام هذا الحديث لقد كتبت عن الاعلام الذين توفاهم الله والذين ولدوا وتوفوا خلال هذا القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم اتعرض للكتابة عن الاعلام الكثيرين الباقين على قيد الحياة والذين اسأل الله تعالى لهم حياة طيبة مديدة وعملاً نافعا طيباً ، فلا يخفى ان الكتابة عن الاحياء لا يمكن ان تتم بنفس الاسلوب الذى اتبعته فى الكتابة عن ذكرياتى عن هؤلاء الرجال الذين انتقلوا الى جوار ربهم وهو الاسلوب الخاص بالجانب الحسن من حياتهم لان ذلك ان تم فى حال الحياة ربما اعتبره البعض من اسباب التقرب اليهم وتطلب موداتهم ، وليس هذا هو الغرض من كتابة هذه الذكريات بحال من الاحوال ، ولاشك ان كل من يقوم بعمل نافع فسيلقى جزاءه فى الدنيا ذكرًا حسناً وفى الآخرة مثوبة واجراً وانى لأرجو ان يتيسر لى الكتابة عن طائفة اخرى من الاعلام فى وقت قريب والله المعين وعليه الاتكال .

محمد علي مغربي

أَعْلَامُ الْحَجَّازِ
فِي الْقُرْبِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِلْهَجْرَةِ



الشيخ أحمد الزهراء

لعله من المستحسن قبل الكلام عن ترجمة الشيخ احمد الزهراء ان اوضح للقراء الكرام القاعدة التى اتبعها فى الكتابة عن الرجال الذين عاصرتهم او عاصرت اخبارهم وآثارهم ، ان هذه القاعدة تتلخص عندى فى ان تكون حياة صاحب الترجمة واعماله ذات نفع ملموس للمجتمع سواء اكان هذا النفع يتمثل فى خدمة عامة أداها للناس مضحيا بماله او جهده فى سبيلها او كان فى عمل حضارى قدمه لبلاده وان كان قد افاد هو منه ربحا وفيرا او مالا كثيرا وليست القاعدة عندى فى الكتابة عن الرجال هى الشهرة فحسب ، فقد يكون الرجل جهير الاسم ذائع الصيت ولكنها شهرة لاتتصل بالنفع العام او بخدمة الناس ، قد تكون الشهرة بالطغيان مثلا فى الثراء وفى ظلم الناس واضطهادهم والاساءة اليهم ، ليست الشهرة اودبوع الصيت هى الدافع عندى فى الكتابة عن اعلام الرجال وانما الدافع هو ما اثمرته حياة هؤلاء الناس وجهودهم من نفع للناس واثراء للحياة نفسها فى شتى المجالات ، وبعد هذه المقدمة التى رأيتها ضرورية بين يدي هذه الترجمة بالذات نعود الى صاحب الترجمة فنقول :

ضئيل الجسم اقرب الى القصر ، اصفر اللون ، مغضن الوجه ، كيف
البصر يرتدى القفطان والعامة المصرية وهي طربوش داكن الحمرة له زُرْ طويل
اسود وتطوقه عمامة بيضاء وهذا الزيّ في مجموعه هو زيّ العلماء المصريين ولا يزال
سائدا حتى اليوم ، وكان الشيخ احمد الزهراء شديد البخل مضيقا على نفسه فلم
يكن يرتدى سوى الملابس الصوفية الغليظة حتى في ايام الصيف الذى يشتد في
مدينة جدة شدته المعروفة ولم تكن له زوجة او خادم يقوم بشأنه ولم يكن له مطبخ
في داره وانما كان يأكل الغليظ من الطعام كالعيش والبصل والكُرَات ، هذا حينما
يأكل في داره ولقد كان يشتري الجوارى فلا تقيم الواحدة منهن في داره الا اياما
ثم تطلب منه ان يبيعها لغيره فلم يكن يطيق العيش معه انسان ، وعلى ذكر
الجوارى فقد كان هناك سوق للرقيق في مدينة جدة وفي مكة المكرمة ايضا وكان
الرقيق الذى يرد من الحبشة والسودان وافريقيا بصورة عامة يعرض في هذه
الاسواق ويقوم على شؤون هذه الاسواق باعة مشهورون اودلّون على الاصح
واشهر دلّالى الرقيق الذين ادركتهم في جده كان رجلا حضرميا اسمه حسن
العامودى وقد اختفت هذه الاسواق بعد ذلك ولكن الرقيق كان يعرض للبيع في
بيت حسن العامودى آنف الذكر وكان يذهب اليه المشترون لاختيار الجارية التى
يرغبون شراءها وقد تؤخذ للدار لتجربتها لفترة يومين او ثلاثة حتى اذا ثبت
للمشتري صلاحها وخلوها من العيوب الصحية اشتراها وقد انتهت هذه التجارة
اللانسانية الى غير رجعة حينما اصدرت الحكومة أوامرها بعق الرقيق وتعويض
اصحابه الاثنان التى دفعوها في شرائه وكان ذلك في عهد رئاسة المرحوم الملك
فيصل للوزارة اثناء ولاية الملك سعود للعرش رحمهما الله ، ومن ألطف ما اذكره
عن تجارة الرقيق هذه ان كبيرا من اثرياء نجد كتب الى صديق له في الحجاز
يطلب منه شراء جوار لا يشرب الدخان وليس عليهن زيران ، وشرب الدخان هو

استعمال السجائر كما هو معلوم اما الزيران فجمع زار وهذا الزار كان نوعا من انواع الشعوذة التى كانت سائدة فى النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى وكانت تمارس خفية فى العهد السعودى وهى ادعاء بعض المشعوذين والمشعوذات شفاء الامراض بعمل الزار او ما يسمى النعيش وهو اقامة حفلات رقص يلبس فيها النساء ملابس الرجال ويتحدثن الى صانعى الزيران والى الحاضرين بلغة بدوية صرفة وتذبح فيها الذبائح للجن والعفاريت والعياذ بالله وربما تكون هذه البدعة الوثنية وفدت الى الحجاز من بعض البلاد المجاورة وقد انتهت هذه العادات السيئة التى تدخل مرتكبيها فى ابواب من الشرك والعياذ بالله الى غير رجعة فلم يعد لها اثر فميا اعلم والحمد لله ، نعود بعد هذا الاستطراء الى الشيخ احمد الزهراء فنقول انه لم يكن يطبق العيش معه انسان وهو على ما وصفنا من الضيق والتقتير على نفسه ومن معه ، وكان الرجل الى كل هذا طالب علم له حلقة للتدريس فى مسجد الشافعى وهو اقدم مساجد جدة ، وكان له تلامذة يحبونه ويخدمونه وكان الرجل مقرئا بل عالما بالقراءات السبع ومن اشهر المقرئين المجودين وكان الناس يدعونه الى تلاوة القرآن فى ماتمهم وفى ملحقات هذه المآتم اذا صحَّ هذا التعبير ذلك ان الناس كانوا يتمسكون بعبادات كثيرة فى الموت كادت الآن ان تنقرض ، ولقد ادركت الناس اذا مات الميت حضر المعزون الى المسجد المجاور لبيت المتوفى او مسجد يعينونه فيصلون العصر ويتناول الواحد منهم جزءاً من القرآن فيتلوه حتى اذان المغرب فيعزُّون اهل المتوفى ثم يصلون المغرب وينصرفون ثم تطورت هذه العادة فاصبحت تتم فى بيت المتوفى بين المغرب والعشاء وبنفس الطريقة التى وصفناها فيحضر المعزُّون ويمسك كل واحد منهم جزءاً من المصحف يتلوه حتى يحين موعد صلاة العشاء فيعزُّون وينصرفون وقد تطورت هذه العادة الى ما هو متبع فى الوقت الحاضر من حضور الناس بعد صلاة

المغرب لفترة بسيطة يستمعون فيها الى تلاوة القرآن من المقرئين الذين يحضرهم اهل الميت ثم يعزّون وينصرفون ، وكان هناك الى جانب الايام الثلاثة للتعزية يوم العشرين والاربعين والحول فاذا مضت عشرون يوما على وفاة الميت اقام له اهله - العشرين - ويحضر في هذه الاثناء مقرأ واحد او اكثر من الصباح فيقرأ القرآن على روح الميت الى ما بعد الظهر حيث يحضر المدعوون من خاصة اهل المتوفى واصدقائه فيستمعون الى التلاوة ويتناولون الطعام ويقرأون الفاتحة على روح الميت ويدعون له بالمغفرة وينصرفون وبنفس الترتيب يقيمون حفل الاربعين بعد مضي اربعين يوما على وفاة الميت ثم حفل الحول وهو بعد مضي عام كامل على الوفاة ، هذا علاوة على مايتلى له من القرآن في شهر رمضان وكان يتولى هذه التلاوة صغار الاطفال ممن يحسنون القراءة والبعض كان يهتم بامر هذه التلاوة لا في شهر رمضان وحده وانما في رجب وشعبان كذلك قلنا وقد انتهت هذه العادات جميعها فلم يبق منها سوى ثلاثة ايام العزاء بين العشاءين .

نعود بعد هذا الاستطراد عن عادات الناس في ايام الوفاة الى الشيخ احمد الزهراء فنقول انه كان من ابرز المقرئين في مدينة جدة ولهذا كان منشغلا في كثير من الايام بتلاوة القرآن في المآتم وفي ايام العشرين والاربعين والحول كما اسلفنا وكان يتناول طعامه في كثير من الايام في البيوت التي يدعى اليها ، كما ان تلامذته كانوا يتحفونه بأطيب الطعام في بعض الايام ويخدمونه ويقومون على تريضه اذا مرض والله سبحانه وتعالى هو الذى يدبر الامور بحكمته فيسخر لهذا الرجل الكفيف البخيل من يقوم على اصلاح امره وتسيير شؤونه .

هذا وكان الشيخ كثير الوسواس فلم يكن على تمكنه من التجويد وحفظه للقرآن الكريم وحسن ترتيله بمستطيع ان يتولى الامامة في المساجد وهى الوظيفة الطبيعية لامثاله ، لانه كان كثير الوسوسة وكنت اراه في مسجد الشافعى وهو

ينوى للصلاة - صلاة النفل فاسمعه يقول الله الله الله اكبر وما هي الا ثوان
ثم يعود لتكبيره الاحرام بنفس الاسلوب السابق يكرر النطق بلفظ الجلالة مرات
ومرات حتى يستقيم له الدخول في الصلاة ، ولكن الرجل لم يكن بحاجة الى
الامامة لان موارده من المآثم وتلاوة القرآن كانت كبيرة في ذلك الزمان لا ينق منها
شيئا وقد اخذ نفسه بهذه الحياة الضيقة الشديدة وقد تجمعت لديه ثروة كبيرة
هيات له ان يشتري ثلاثة بيوت من اشهر بيوت جدة اوها في منطقة باب مكة مما
يلي سوق البدو وكان يسكن في جزء منه ويؤجر الاجزاء الباقية وهي كثيرة
للمستأجرين ويتسلم الغلة فيضيفها الى مايكتزها من مال والبيتان الآخران وكان
يطلق عليها اسم بيوت الشرايبي على ما ذكر وهما يقعان الان في قلب شارع
الملك عبدالعزيز في وسط شارع الاشراف بين شارع الملك عبدالعزيز والسوق

الكبير وكانت هذه المنطقة قبل تعمير شارع الملك عبدالعزيز تسمى باب الصبّه
وهو باب يؤدي الى البحر وكان هذا الباب من داخل سور مدينة جدة الموازي
للبحر وكان هذا الباب فيه حرس للجهارك وتخرج منه العربات المحملة بالارزاق
ولعل معنى الاسم انه الباب الذي تنصب منه البضائع الى المدينة او لعل له
تعليلا آخر يعرفه المعمرون من اهل جدة او المهتمون بتاريخها .

لقد كان شراء الشيخ احمد الزهراء لهذه البيوت الكبيرة في مدينة جدة حديث
الناس في ذلك الزمان فكانوا يعجبون لهذا المقرء الاعمى الذي كان يجمع
القرش الى القرش والريال الى الريال والدينار الى الدينار ثم يشتري البيوت
الشهيرة التي تعرض للبيع ولست اشك ان كثيرا من التجار كانوا يرغبون في
شراء هذه البيوت او واحد منها على الاقل فجميعها تقع في مناطق تجارية ولكن
التجار كانوا لا يفكرون كثيرا في شراء امثال هذه البيوت اذا لم تكن لهم حاجة
ضرورية اليها لانها تجمّد المال السائل الذي يتعاملون به في تجارتهم ولم يكن في

البلاد بنك واحد حتى يتعامل معه الناس او يقتضوا منه وكانت العملة السائدة
 هى الجنيهات الذهبية بنوعها العثمانى والانجليزى ثم الدينار الهاشمى والسعودى
 والريالات المجيدية اولاً ثم الهاشمية والسعودية فيما بعد ولم تكن اوراق البنكنوت
 بالعملة الرائجة الا فى مواسم الحج يشترىها الصرافون من الحجاج حينما يقدمون
 ويبدلوها لهم بالعملة المحلية ثم يبيعونها للحجاج حينما يعودون الى بلادهم بأسعار
 اقل ويستفيدون الفرق بين السعيرين وكانت اغلب العملات التى ترد مع الحجاج
 عملات فضية كالروبيات الجاوية والهندية وقد رأيت التجار يشترون الروبيات
 الهندية خاصة ثم يصدرونها الى عدن او الى الهند وبعد ذلك كثر التعامل بأوراق
 البنكنوت فأصبح الناس يفضلون التعامل بها لأنها اخف حملاً واسهل حفظاً
 وباستثناء البنك العثمانى الذى افتتح فرعاً له فى مدينة جدة فى العهد الهاشمى ثم
 فى اوائل العهد السعودى ولم يستمر طويلاً كان اول بنك اسس فى المملكة هو
 الشركة التجارية الهولندية وكان الصرافون يشترون العملات المختلفة ويبيعونها
 له ويقوم هو بتصديرها الى الخارج عن طريق قسم الحوالات والطرود بالبريد فى
 ظروف كبيرة مختومة بالشمع الاحمر ومؤمن عليها ويزن الواحد منها ألفى غرام .
 نعود بعد هذا الاستطراد عن العملات الاجنبية فنقول ان شراء الشيخ احمد
 الزهراء هذه البيوت كان حديث الناس والتجار منهم خاصة فى مدينة جدة لأن
 هذا المقرئ الاعمى استطاع ان يجمع هذا المال الكثير الذى يشتري به هذه
 البيوت الكبيرة فى مدينة جدة عبر سنوات طويلة من التقدير على نفسه والتضييق
 عليها ولكن المفاجأة العظمى التى فاجأ بها الشيخ احمد الزهراء الناس جميعاً هى
 انه وهب هذه البيوت الثلاثة الى مدارس الفلاح وأوقفها عليها فختم الرجل حياته
 احسن ختام اذ تنازل عن ثروته الكبيرة التى جمعها خلال سنوات عمره الطويل
 من التضيق على نفسه لعمل من انبل الاعمال وأجلها فوهب ثمرة سعيه فى هذه

الحياة لتصرف على العلم والتعليم ممثلة في مدارس الفلاح التي كانت رائدة التعليم في ذلك الزمان وهكذا استحق الشيخ احمد الزهراء ان يسجل اسمه بين اعلام الرجال في عصره بهذه الهبة العظيمة التي لم يقدم عليها أثرياء عصره فكان بها فريد العصر وواحد الزمان .

ولقد توفي الشيخ احمد الزهراء في منتصف القرن الرابع عشر الهجرى عن عمر يناهز الثمانين عاما تغمده الله برحمته الواسعة وتقبل منه عمله الطيب العظيم .





احمد صالح قنديل

أحمد صالح قنديل

معتدل القامة اقرب الى القصر ، اسمر اللون شديد السمرة ، ممتلئ الجسم واسع العينين ، ذكي لماع ، خفيف الظل ، مرسل الشعر في غير اسراف ، كان في مطلع شبابه يرتدى الكوفية الحجازية والشال وهو ما يستعمل للاعتماد وكان من انواع كثيرة ترد من الشام وبعد ان التحق بوظائف الدولة اصبح يرتدى العباءة والعقال ، ولد بمدينة جدة فيما أقدر في أواخر العشرينات او اوائل الثلاثينات من القرن الهجرى وتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح وبعد تخرجه منها عمل بها استاذاً

وقد ادركته وهو استاذ بالمدرسة التحضيرية في الفلاح ، والتي كانت تسمى المجتمع وهو البيت الذى انشأه المرحوم الحاج محمد على زينل مؤسس الفلاح ليكون مقراً للاجتماعات الخاصة بالمدرسة ثم تحول الى مدرسة تحضيرية تابعة لمدرسة الفلاح ، وهو منفصل عن مباني الفلاح الحالية وقد تحرب فلم تمتد اليه يد الاصلاح واخشى ان يكون قد اندثر أو هو في طريقه الى الاندثار ، ثم عمل استاذاً بمدرسة الفلاح الكبرى واستمر يعمل فيها لسنوات طوال الى ان انتقل الى مكة رئيساً لتحرير جريدة صوت الحجاز عام ١٣٥٥ هـ بترشيح من صديقه

المرحوم الاستاذ حمزة شحاتة لدى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان رئيس
الشركة العربية للطبع والنشر .

قنديل وحمزه شحاته

وكان الاستاذ احمد قنديل ينشر شعره في صوت الحجاز بتوقيع الصموت
الحساس وقد استرعى هذا التوقيع انتباه الاستاذ حمزة شحاتة فسألنى ان كنت
اعرف هذا الشاعر الذى بدأت بواكيره الطيبة منذ القصائد الاولى التى نشرتها
له صوت الحجاز فقلت انه الاستاذ احمد قنديل وهو مدرس بمدرسة الفلاح واعرفه
منذ ان كنت تلميذا بها وكان هو فى الفصول الاخيرة ثم استازا بالمدرسة
المذكورة ، وطلب منى الاستاذ حمزة ان اجمعه بالقنديل بل واعرفه عليه وكان
شحاتة يومها اديبا جهيرا وشخصية مرموقة فاتصلت بالقنديل رحمه الله واعربت
له عن اعجاب الاستاذ حمزة بما ينشره من شعر وضربت له موعدا للاجتماع
بالاستاذ حمزة فى - مربعة الجمجوم - وهو مبنى كان يومها خارج مدينة جدة
بالعمارة قريبا من مقبرة حواء ، كان قد بناه المرحوم الشيخ محمد انيس جمجوم ،
وكان هذا المبنى الخلوى الذى يسمى مربعة اشبه ما يكون بناذ يجتمع فيه آل
جمجوم واصدقاؤهم عصر كل يوم وصدرا من الليل ، وكنت والاستاذ حمزة شحاتة
من رواد هذا المجتمع الجمجومي كل اصيل ونحن جميعا فى مطلع الشباب فى
اوائل الخمسينات من هذا القرن وقد استمرت صلة القنديل بالاستاذ شحاته منذ
ذلك الوقت الى ان توفى الاستاذ حمزة شحاتة باستثناء فترة ليست بالطويلة
حدث بينهما من الجفوة ما اوقف هذه الصلة ولكن هذا التوقف لم يستمر فعاتت
صلتهما الى ما كانت عليه من قبل يرحمهما الله .

البواكير الأولى

لقد ذكرت ان بواكير شعر القنديل الاولى في الخمسينات كانت تبشر بميلاد شاعر كبير وأود ان اذكر ان اغلب من عرفت من الشعراء والكتاب الموهوبين كانت بواكيرهم الاولى تنبئ عن نهاياتهم العظيمة ، ولعل الشاعر أو الكاتب الاصيل تولد معه الموهبة فاذا استطاع التعبير ظهرت بذور هذه الموهبة في بواكيره الاولى وما تلبث هذه الموهبة ان تتمكن وتتجلى بالدراسة والتجارب .

عَوْدٌ عَلَى بَدْءٍ

نعود بعد هذا الاستطراد الى ترجمة حياة الاستاذ قنديل فنقول انه عمل رئيسا لتحرير صوت الحجاز وانتقل بعمله هذا الى مكة المكرمة وكانت فترة رئاسة تحرير القنديل لصوت الحجاز من الفترات الخصيبة في تاريخها فقد افسح صدر الجريدة لمقالات الكتاب وقصائد الشعراء كما انه عين المرحوم الاستاذ عبدالله المزروع - والد الدكتور المزروع - مخبرا صحفيا يوافيه بالأخبار الداخلية وخاصة الاخبار الحكومية وخلال رئاسته لصوت الحجاز نظم قصائده الأولى من الشعر (الحلمنتيشي) وهو الشعر الذي تختلط فيه العربية بالعامية وكانت صحيفة صوت الحجاز مجال النشر لقصائده الاولى من هذا الشعر وقد استمر القنديل رئيسا لتحرير صوت الحجاز من ٤ شعبان سنة ١٣٥٥ هـ إلى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ وقد أقصى عن صوت الحجاز بعد أن نشر قصيدة أسىء تفسيرها بتوقيع رمزي وحملها المرحوم الدكتور محمد علي الشواف الى صاحب السمو الملكي الامير فيصل النائب العام لجلالة الملك - جلالة الملك فيصل فيما بعد - وقد اصدر سموه امره بإيقاف الشاعر واقصائه عن الجريدة ثم تبين ان الشاعر هو رئيس

التحرير نفسه ولم تمض ايام طويلة حتى فاء سموه الى الرضا وأفرج عنه فعاد الى مدينة جدة مسقط رأسه مرة اخرى وعمل فترة في مكتب رئيس وكلاء مطوفى الجاهو - الأندونيسيين - الشيخ محمد نور جوخدار رحمه الله ثم انتقل مرة اخرى للعمل في مكة المكرمة في ديوان التحرير بوزارة المالية زميلا للاساتذة عبدالوهاب آشى ومحمد حسن فقى ومحمد حسن كتيبى ثم عين رئيسا لمصلحة املاك الدولة بوزارة المالية وكانت تتخلل ما بين هذه الوظائف فترات تعطل ثم عين اخيرا مديرا لادارة الحج بجدة في اول تأسيسها وكان اول مدير عام للحج هو الشيخ محمد صالح قزاز مد الله في عمره وكان مركزه في مكة المكرمة وبعد انتداب الشيخ محمد صالح قزاز للعمل في توسعة الحرم المدنى لانتقاله الى المدينة المنورة . . اصبح الاستاذ احمد قنديل مديرا عاما لادارة الحج بجدة ثم احيل الى التقاعد وهاجر الى مصر لبضع سنوات افتتح خلالها مكتبا تجاريا له بالاشتراك مع الاستاذ رشاد برنجى واحد اصدقائهما من المصريين ثم عاد مرة اخرى الى الحجاز وما لبث ان هاجر مرة اخرى الى بيروت ، وفي بيروت تفرغ للانتاج الفنى للاذاعة والتليفزيون وعكف على طبع مؤلفاته عن جدة ودواوينه الشعرية الكثيرة وبعد ان اندلعت الحرب الاهلية في بيروت عاد مرة اخرى الى جده وكان يسافر بين الفينة والاخرى الى القاهرة لموالة اعماله الفنية سواء في طبع مؤلفاته او لعرض اعماله الفنية في الاذاعة والتليفزيون الى ان توفاه الله تعالى وهو يكتب الحلقة الاخيرة من قناديل رمضان لعام ١٣٩٩ هـ في صباح الجمعة ١٢ شعبان ١٣٩٩ هـ

الشَّعْرُ الضَّاحِكُ

تميز الاستاذ احمد قنديل رحمه الله الى جانب ابداعه الشعرى ومكانته في الكتابة والادب بشعره الضاحك الذى كان ينشر مقطوعة منه كل صباح في

جريدة البلاد أولا ثم في جريدة عكاظ تحت عنوان (قناديل)، ثم اصبح يستعمل هذا النوع الضاحك ولكن في اسلوب نثرى وكان ينشر في الاعوام الأخيرة في جريدة البلاد بعنوان قناديل ملونة وهذه القناديل الشعرية خاصة كانت سبب شهرته على المستوى الشعبى وقد خلقت منه شاعرا شعبيا محبوبا يتحدث عنه الناس في طول البلاد وعرضها كما خلقت له قراء كثيرين يتابعون ما ينشر له في كل يوم ويتفكهون به ويتحدثون عنه في مجالسهم ومنتدياتهم وللتاريخ فانى سأورد هنا بداية القنديل في هذا الشعر الضاحك فأقول .

الاستاذ حسين شفيق المصري ومجلة الفكاهة

كانت دار الهلال في القاهرة تصدر مجلة اسبوعية اسمها (الفكاهة) وهى مجلة فكاهية كما يدل عليه اسمها وكان يتولى رئاسة تحريرها الاستاذ حسين شفيق المصرى وهو شاعر مجيد وزجال مصرى معروف ، وكان الاستاذ حسين شفيق فيا اعرف هو اول من نشر الشعر الضاحك في اسلوب عامى ولكن هذا الشعر العامى كان يحتفظ بالوزن والقافية ، وكانت الطريقة انه يفتح القصيدة بمطلع قصيدة من عيون الشعر العربى القديم ثم ينسج على منوالها كلاما موزونا مقفىً تختلط فيه العامية بالعربية الفصحى وكانت مواضيع هذا الشعر دائما انتقادية ولكنها في اسلوب فكاهى مقبول ، وكنا نجتمع في مكة المكرمة الاستاذ حمزة شحاته وأحمد قنديل رحمهما الله وانا وكان الوقت صيفا وكنا نهرب من حر مكة اللاهب الى اطراف الشهداء وكان في موضع مكاتب وقراج الشركة العربية للسيارات بالزاهر مقهى لرجل اسمه العم حمزة وكان العمران في مكة ينتهى عند قشلة جرول وكانت الارض بعدها خلاء وكنا نجىء الى هذا المقهى مع الغروب ونتسامر صدرا من الليل وتناول عشاء خفيفا ثم يأوى كل منا الى فراشه الذى كان يحفظ في

داخل المقهى والذي يحضره لنا العم حمزة مع ابتداء الظلمة وكنا نتخذ من كراسى المقهى العادية الطويلة سررا ننام عليها تحت السماء ، وذات ليلة جاء ذكر هذا الشعر الفكاهى ، وكان حسين شفيق المصرى يطلق عليه اسم الشعر (الحلمنتيشى) نقول جاء ذكر هذا الشعر (الحلمنتيشى) فسأل الاستاذ شحاته الأستاذ قنديل ان كان يستطيع النظم على هذا النسق فاجابه بالايجاب وفى اليوم التالى بدأت المحاولات الأولى للقنديل فى هذا الشعر وكانت موفقة جدا وما هى الا فترة بسيطة حتى بدأ القنديل فى نشرها فى صوت الحجاز فترة بعد اخرى ووجدت صدى شعبيا واسعا واستقبالا حسنا من جميع القراء خاصة وان (قنديل) رحمه الله تحاشى العامية المصرية التى كان يستعملها حسين شفيق المصرى ولجأ الى العامية الحجازية ثم توسع فيها وخلطها بالعامية النجدية فيما بعد ومن هذه القصائد التى لاتزال عالقة بالذاكرة مانشره القنديل فى صوت الحجاز والمطلع لقصيدة مشهورة لابن الفارض :

غيرى على السلوان قادر وسواى فى العشاق غادر
لى فى الصباح فطيرة والبيض أليق بالفطائر

وهناك قصيدة اخرى والمطلع كذلك لشاعر قديم :

صاح فى العاشقين يا لکنانه رِشاً فى الفؤاد منه كنانه
شِمْرِقىً محلل ومُحْتَى حامل فى يمينه خيزرانه

هذه هى البدايات الاولى لهذا الشعر الضاحك وكانت القصيدة تنشر طويلة وليست مقطوعة صغيرة كما صارت اليه القناديل اخيرا ولكن النشر لم يكن يوميا كما هو الحال مع القناديل اليومية وانما كان اسبوعيا او اكثر من اسبوعى وآخر ما

نظمه قنديل في هذا المجال الغزاوية الأخيرة وهي قصيدة القاها في الجلسة الختامية للمؤتمر الأول للأدباء السعوديين وصف فيها الادباء القدامى والمحدثين ودعا فيها الى تكريم شيخ شعراء مكة الاستاذ احمد ابراهيم الغزاوي مد الله في حياته وقد قوبلت بالاستحسان وقوطعت بالتصفيق وهي تمثل شعر قنديل الضاحك وقد نشرت بالمجلد الاول عن بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين كاملة فليرجع اليها من رغب الاطلاع عليها .

حَمْزَةُ شَحَاتِهِ وَالشَّعْرُ الضَّاحِكُ

ولعل معظم القراء بل والأدباء لا يعرفون ان المرحوم الاستاذ حمزة شحاته كان ينظم هذا الشعر ولكنه لم يستمر عليه وإنما نظمه مرة واحدة او مرتين وله قصيدة جميلة اذكر بعض ابياتها فيما بعد وهذه القصيدة لها قصة لا بأس من ايرادها فقد عُلِمَ ان العراق سيرسل بعثة كشافة الى المدينة المنورة ومكة المكرمة ولعل ذلك في زمن الحج وارادت الحكومة ان تكرم كشافة العراق فاعدت لهم برنامجا حافلا كان من ضمنه إقامة حفل تكريم لهم في جدة وتولى الاخ الشيخ محمد عبدالله رضا يومها امر ترتيب هذا الحفل الشعبي فارسل دعوة إلى شباب مدينة جدة للحضور إلى منزله ودعاهم للتبرع لإقامة هذا الحفل ولكن المرحوم حمزة شحاته لم يدع الى هذا الاجتماع مع اننا كنا جميعا على علم بالحفل الذي كان سيقام في بيت نصيف وكان صديقنا المرحوم الاستاذ حسين محمد نصيف - مؤلف كتاب ماضى الحجاز وحاضره - يخبرنا يوميا عن هذا الحفل ويحثنا على الحضور فيه وغضب حمزة لعدم دعوته من قبل الشيخ محمد عبدالله رضا فانشأ قصيدة ضاحكة صور فيها ما وقع من المجتمعين للتبرع في اسلوب ضاحك جميل والقصيدة اخذ مطلعها من قصيدة ابي تمام الشهيرة :

بسيبك يعلو الحق والحق اغلب
وبالامس قد ارسلت حُتَّة دعوة
فلم تك الا ساعة او دقيقة
ومنها يصف ملابسات التبرعات :

ويضرب سيف الله أيان تضرب
الى فتية بالصالحات تحزبوا
تجازوا سراعاً بعدها وتكربوا

فجاء فتى منهم جرى حَجَنَجَلْ
وقال استحي ياسى فلان فانه
فقال لهم ليش نسبتي تقتضى كدا ؟
فبان حماس فوق وجه زعيمهم
فجاد بربع ريال فانبروا وتعجبوا
قليل ومن يكتب قليلا يُؤنَّب
فان راقكم قولى والا فأحسبوا
فسجّل عشريناً وقد كاد يغضب

والقصة ان المرحوم الاستاذ محمد لارى - والد الاستاذ رضا محمد لارى -
كان من ضمن من حضروا الاجتماع فجاد بربع ريال فقال المجتمعون انه قليل
فقال لهم انه ليس قليلا بالنسبة لما تبرع به الشيخ محمد رضا فتحمس الداعى
وسجل عشرين ريالاً اخرى وسواء اكانت القصة حقيقية ام من خيال الاستاذ
حمزة شحاتة رحمه الله ، واغلب الظن انها حقيقة فان محمد لارى كان معروفاً
بالجرأة ، فان ايرادها على هذا النحو في هذا الشعر الضاحك كان مناسبة يتفكه
بها مجتمع الشباب بل مجتمع جدة كلها فكاهة تخلو من الحرج والبذاء .

عَوْدَةُ الْقِنَادِيلِ

نعود بعد هذا الاستطراد الى القناديل التى توسع فيها الاستاذ احمد قنديل
وطورها الى ان صارت الى ما يعرفه جميع القراء فنقول ان الاسلوب الذى بدأ به
قنديل هذا الشعر الضاحك ربما كان احب الى الادباء من القراء لانه لم يسرف
في استعمال اللفظ العامى كما هو الحال بالنسبة للقناديل ولكن جوهر الفكرة واحد
وهو النقد الاجتماعى واذكر ان قنديلا رحمه الله اراد ان يصدر المجموعة الاولى من

شعره الاصيل فعهد الى الاستاذ حمزة شحاتة رحمه الله ان يكتب مقدمة لهذه المجموعة ، كما انه حينما اراد اصدار المجموعة الاولى من شعره الفكاهى طلب منى كتابة مقدمة لها واذكر انى كتبت فى تقديم هذه المجموعة ولعل اسمها المركز مامعناه :-

« اذا كان هذا الشعر الفكاهى لايدخل التاريخ من باب الأدب والشعر فانه يدخل التاريخ من اوسع ابوابه كفنٌ يصور الحياة الاجتماعية فى هذه البلاد فى اسلوب ساخر ضاحك فهو يتحدث عن امور يعانى منها كل فرد - ولا تخلو حياة أى مجتمع من المعاناة - مما يتصل بحياته اليومية فى مختلف وجوه هذه الحياة فى داخل المنزل ، او فى خارجه فى السوق ، فى المدرسة ، وفى الدائرة الحكومية ، فى البيع والشراء ، فى السفر والاقامة ، فى متطلبات الحياة اليومية ومشاكلها ، وسيعود المؤرخون الى هذا الشعر الساخر ليجدوا فيه مادة تصف الحياة بل تصف كثيرا من دقائقها وادوائها مما ينطوى مع الزمن ويتغير مع الايام » انتهى معنى ما كتبتة لهذه المقدمة التى لم يكتب لها النشر فقد عدل قنديل رحمه الله عن نشر الكتابين بالمقدمات التى طلب من اصدقائه كتابتها وعلمت انه فضل ان يقابل القراء مؤلفاته دون تقديم وهو رأى له وجاهته على اى حال .

اقول ان هذا الذى كتبتة عن هذا الشعر قبل اربعين عاما لايزال يمثل رأى فى هذا الشعر او هذا الفن على الاصح فان هذا الشعر العامى لايمكن ان يدخل التاريخ ك شعر رفيع ولكنه يدخل من اوسع ابواب التاريخ كفن يمثل الحياة الاجتماعية ومشاكلها وكفن يمثل النقد الفنى للحياة اذا جاز هذا الوصف وما تحفل به من مفارقات ومشكلات ، وقنديل غنيٌ بشعره المبدع الاصيل وبفنه الرائع الذى يتجلى فى مؤلفاته الشعرية الكثيرة عن اضافة هذه القناديل الى شعره

الاصيل ، انها فن مستقل يمثل الناحية الشعبية في قنديل والتي سنتحدث عنها فيما يلي .

شَعْبِيَّةُ أَحْمَدَ قَنْدِيلَ

الاستاذ احمد قنديل رحمه الله كان شعبيا بالمعنى الدقيق للكلمة او ابن بلد كما يقول العامة من الناس ولا غرو في ذلك فقد ولد في بيئة شعبية وبيت قنديل الذى ولد ونشأ فيه فى العلوى من محلة اليمن - كان من منازل جدة القديمة وكان آل قنديل جميعا يسكنون فيه وكان قنديل رحمه الله يسميه القرية لكثرة من يسكنه من آل قنديل والبيت يقع فى قلب حى شعبى مشهور يحيط به سوق العلوى المشهور والمؤدى الى باب مكة وتحف به بيوت شعبية للطبقة الوسطى من المجتمع التى عاش قنديل بينها والتى عبر عنها فى شعره الفكاهى أصدق وأجمل تعبير - ولقد كان ابوه الشيخ صالح قنديل رحمه الله مدرسا للقرآن فى الصفوف الاولى من مدرسة الفلاح كما كان من اشهر المقرئين والمأذنين وكان رجلا ظريفا سريع النكتة حاضر البديهة أنيس المجلس وقد اخذ عنه ابنه قنديل هذا الظرف ، كما ان شقيقه الاكبر يوسف قنديل كان ظريفا عفويا فى كلامه وتصرفاته وكان محبوبا من اصدقائه الكثيرين وقد نشأ قنديل فى هذه البيئة الضاحكة وكان اتصاله بالصحف والكتابة فيها وانتقاله الى مكة احدث له شهرة فى هذه البيئة الشعبية فكان الجميع يطلقون عليه لقب الاستاذ ، فاذا قيل الاستاذ فهو احمد قنديل وهو عند اصدقائه الخُلص - قنديل وكفى - وقد احتفظ قنديل بشعبيته هذه طيلة حياته واتخذ منها مادة لفنه الشعرى الضاحك وهذه الشعبية تتجلى فى كل شئ فى وصف المكان والزمان واللهجة الخاصة الشعبية واصطلاحاتها والمقارنة بينها وبين الحاضر ، وبين يدي الآن قصيدته الغزاوية

التي اسلفت الحديث عنها انتقل منها بعض الابيات فهي ابلغ في وصف هذه
المادة الشعبية من كل تعبير :

وقد تعجب من حالى بلا سبب الباب والعقب والروشان والققف
كما تطلع نحوى زاغرا ابدًا في سقفه القندل المرصوص والحصف
ومنها :

وكل تمشيتى - بولطا - أقوم بها فوق السطوح يوازينى بها الطنف
ومنها :

بردان ففضفت من ظهري وفي ركبي شيء اذا غرّها من جلستى اقف

وليس هذا مجال الاطالة في الاقتباس فان كل ابيات هذا الشعر الضاحك
تمثل الشعبية الصميّة التي تتجلى في كل كلماته ومقاطعته .

شعر الأفرّاح

ولعل القراء لا يعرفون ان « قنديلا » كان ينظم الشعر للمنشدين الذين جرت
العاده بحضورهم احتفالات العرس فكانوا جميعا يلجأون اليه لينظم لهم الشعر
الذى يلقونه في هذه الحفلات والذى يجب ان يتضمن اسم العريس واسم آل
العروسين والذى يلقى حين خروج العريس من داره بصحبة المأذون والرجال
الذين يصاحبونه فيقف المنشد ويحييه ويهنئه بما هو مقدم عليه ، فإذا وصل الموكب
الى دار العروس وقف الجميع في فناء الدار وألقى المنشد مقطوعة اخرى يحيى
فيها العريس ولا بد من تحية اهل العروس كذلك بذكر اسم اسرته واسم اسرة
العريس ، وبعد انتهاء حفل العقد يلقى المنشد تحيته الاخيرة للعروسين وأهلهما
وكان المنشدون في جدة يلجأون وخاصة في حفلات العرس الكبيرة الى قنديل

رحمه الله فينظم لهم المقطوعات المطلوبة من الشعر الفصيح متضمنة اسم العريس واسماء آل العروسين ولم يكن يتقاضى منهم مقابل ذلك شيئا وانما يفعله بدافع من صداقته لهم وهذه العادة لاتزال باقية الى اليوم ولكنها في نطاق ضيق جدا وفي بعض الأعراس الكبيرة التي يحرص اصحابها على احياء هذه العادات القديمة .

القناديل والنقد

يتميز شعر القناديل بالنقد الساخر وهو النقد لأوجه الحياة اليومية التي يعاني منها الناس ولايملكون شيئا لتغييرها أو إصلاحها والقارئ اليومي للقناديل كان يرى فيها تعبيرا عما يشعر به او يشكو منه ولكن في اسلوب ضاحك ساخر ولهذا القيت نجاحا على المستوى الشعبي لأنها كانت تعبيرا واقعيا عن الحياة اليومية في اسلوب ساخر ينفس به الناس عن شعورهم ازاء ما يحسون به من ضيق وقد شمل هذا التعبير كل اوجه الحياة - تعطيل المعاملات ، زحمة المرور ، تعطيل الكهرباء ، انقطاع الماء ، غلاء الاسعار ، تخريب الشوارع ، كثرة الاجانب - وقل ما شئت من مظاهر الحياة اليومية فستجدها واردة في القناديل ولهذا احبها الناس وقرأوها وتحدثوا عنها في كل يوم وهذه القناديل او هذا الفن الضاحك هو ما امتاز به قنديل من بين أدباء جيله فكان له هذا الصدى الشعبي الواسع الذي جعله بحق اديبا شعبيا راسخ القدم ، ثابت البنيان وكان اذا القى قصيدة من شعره الضاحك قوبلت بالاستعادة والاستحسان والتصفيق وعلى ذكر الالقاء اذكر هنا ان « قنديلا » رحمه الله في بدء حياته الادبيه لم يكن يرغب في القاء شعره ويفضل ان يلقيه غيره ممن يحسنون الالقاء او ممن اشتهروا بذلك ولكنه ما لبث ان اكتشف في نفسه موهبة الالقاء ولذلك قصة نذكرها للتاريخ .

قَنْدِيلُ وَإِقَاءُ الشَّعْرِ

أقامت السفارة اللبنانية في جدة حفل تكريم لمعالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان قدم له فيها القائم بأعمال السفارة اللبنانية السيد أسعد الأسعد في ذلك الوقت ، الأمين المساعد للجامعة العربية حالياً - قدم له فيها وسام الأرز من درجة فارس على ما أذكر وطلب منى المرحوم الشيخ محمد سرور إلقاء كلمة الشكر نيابة عنه ، وحضر قنديل رحمه الله وقد اكتمل المدعوون وبدأت فقرات الحفل بخطاب السيد أسعد الأسعد فوقف إلى جانبي وقال لقد أعددت قصيدة لهذه المناسبة وأريدك أن تلقىها نيابة عنى قلت أنى سألقى كلمة الشكر نيابة عن الشيخ محمد سرور وقال وما العمل قلت قصيدتك أنت ولا يلقيها غيرك .

وهكذا كان وقد قبولت القصيدة يومها أحسن استقبال وانطلق بعدها قنديل يلقي شعره بنفسه وهو خير من يلقيه بلا مراء .

قَنْدِيلُ الشَّاعِرِ

لقد أطلنا الحديث عن فن قنديل الضاحك الذى تختلط فيه العامة بالفصحى والذى تحول إلى القناديل اليومية وأن لنا أن نتحدث قليلا عن أحمد قنديل الشاعر العربى الأصيل .

أحمد قنديل شاعر مبدع ظهر إبداعه من القصائد الأولى والتي نشرت له في صوت الحجاز في الخمسينات وقد نظم في جميع فنون الشعر شعرا جيدا موزونا ومميز عن كثير من أدباء جيله بأنه كان يوالى النظم والكتابة كما يوالى النشر إما في الصحف أو في دواوين خاصة بكل مجموعة شعرية وأمامى الآن خمس من

مجموعات هذا الشعر هي : اللوحات ، أوراقى الصفراء ، شمعتى تكفى ، قاطع الطريق ، الراعى والمطر ، ولاشك أن له مجموعات أخرى لم أذكرها وليست هذه الترجمة دراسة لشعر أحمد قنديل وإنما هي تصوير لحياته التى تميزت بالشعر فليس الاستقصاء من متطلبات هذه الترجمة وإنما هو مطلب الدراسة الكاملة لشعر أحمد قنديل وعطائه وسأورد بعض أبيات من هذه المجموعات دون اختيار للتعبير عن مكانته فى الشعر الأصيل ٠٠

« أيها العاشق لاقى ما لقينا واصطبر
نحن كنا آية فى الحب تتلى فى حذر
يوم عشنا خفقة فى القلب رنّت كوتر
إنما اليوم غدونا مثلاً شاء القدر »

ويقول فى قصيدة أخرى :-

ودعت أيام الشباب تفيأت	زهراتها ظل الشباب الأملد
رفرافة الأوراق حيثها الصبا	باللمس بين توجّد وتودّد
ممتدة الأعراض طاب غراسها	فى السفح فى الأغوار لم تتأبد
رفّت على الأغصان نافحة الشذى	سفرا تنهد بغية المتنهد

والقارئ لمجموعات القنديل الشعرية يجدها حافلة بالصور فياضة بوهج العاطفة التى هى جوهر الشعر كله وبعض مجموعات القنديل تمثل موضوعات معينة مثل الراعى والمطر وقاطع الطريق ولا شك أن هذا العطاء الكثير يستحق دراسة جادة شاملة متأنية تضع القنديل فى مكانه الصحيح لا بين شعراء المملكة فحسب وإنما بين شعراء العرب جميعا فى هذا العصر ٠

مكة المكرمة في الشعر

لقنديل قصائد شعرية في مدينة جدة ومكة والمدينة بل وحتى في سويسرا حينما زارها لأول مرة وقد كان يعمل قبل وفاته يرحمه الله على إصدار كتاب عن كل ما قال شعراء المملكة في مكة المكرمة وقد زارني وطلب مني موافاته بما لدى في هذا المجال فبعثت إليه بعض ما عندي ولست أعرف أن هذا الكتاب قد طبع وربما كان تحت الطبع أو مازال مخطوطا بين أوراقه فقد علمت منه أن الكتاب قد اكتمل فحبذا لو عمل أبناؤه الأساتذة أمل وسمير على استخراج مخطوط كتاب مكة ونشره أو الاتفاق مع أحد النوادي الأدبية على إصداره وأنا على ثقة من أن جميع النوادي الأدبية ترحب بالمساهمة في مثل هذا الأمر .

كتاب قنديل عن جدة

وللقنديل كتابان عن جدة مزينان بالصور وهو من الشعر الضاحك الذي تختلط فيه العامية بالفصحى وهو يصف جدة الجديدة ويقارن بينها وبين جدة القديمة كما أن له كتابا آخر عن ذكريات طفولته وشبابه وهو يجمع بين هذا الشعر الضاحك والنثر يصور فيه بعض الشخصيات الشعبية التي صاحبت طفولته وشبابه كما يصور بعض الحكايات الشعبية في أسلوب يجمع بين العامية والفصحى وهذه الكتب جميعها تصور شعبية القنديل التي تحدثنا عنها في صدر هذه الترجمة بإسهاب .

(١) وللقنديل كتاب آخر ظهر بعد وفاته اسمه (الجيل الذي صار سهلا) وقد قامت بنشره إدارة النشر بمؤسسة تهامة وهو يمثل (قنديل) متحدثا أكثر مما يمثل كاتباً ولكن الكتاب في حد ذاته تسجيل فريد لذكريات القنديل في شبابه وهو ما يدخل في باب التراث .

شِعْرُ الْمَلَا حِم

ولقنديل إلى جانب هذا الشعر الضاحك والمجموعات الشعرية الأصيلة التي تحدثنا عنها ملحمة شعرية عظيمة نشرت كاملة في المجلد الأول من بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين تصل إلى ما يقارب الألف بيت من الشعر استعرض فيها سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتاريخ الجزيرة العربية وهي من أطول ما أنتج القنديل من الشعر وهي تدل على اطلاع واسع وتمكن في النظم والتصوير .

إنتاجه للإذاعة والتلفزيون

كما أن للقنديل إنتاجا وافرا كان يمثه التلفزيون السعودي وخاصة في شهر رمضان من كل عام تحت عنوان « قناديل رمضان » وكان هذا الإنتاج في معظمه يلقي ترحيبا شعبيا واسعا لأنه تصوير لعادات الشعب وحياته .
لقد كان قنديل وفيا للقلم ، حفيا بالفن ، معطاء لا تفتقر حماسه للكتابة والشعر وقد صور نفسه أصدق تصوير حين قال من قصيدة قديمة :
صناعتى فى السورى الكلامُ ٭ به أحيأ وحرفتى الأدب

وقد استمر في تقديم إنتاجه للصحف ولوسائل الاعلام وللطباعة خمسين عاما دون توقف وحين أدركته الوفاة كان يكتب الحلقة الأخيرة من « قناديل رمضان » كما ذكرت في صدر هذه الترجمة فقضى والقلم في يده وكانت وفاته صباح يوم الجمعة الثانى عشر من شهر شعبان ١٣٩٩ هـ وقد تركت وفاته رنة حزن عميق وشارك الناس جميعا في عزاء أبنائه وأفراد أسرته وقامت بلدية جدة مشكورة

باطلاق اسمه على الشارع المؤدى الى منزله بجدة وهو تكريم يستحقه بلا مرء
وشارك الأدباء والشعراء فى رثائه ، رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من الشعب وإلى
الشعب لسانا معبرا ناطقا وشعرا مصورا سائرا يصور حياة الناس اليومية ويعبر
عن آمالهم وأحلامهم • غفر الله له وأحسن جزاءه فى دار الخلود ••





الحاج زينل علي رضا

الحاج زينل علي رضا

قصير القامة أبيض اللون تشوب بياضه حمرة ، تزين وجهه لحية بيضاء متكاملة ونظرة رقيقة حانية وكان دائما يرتدى البياض فتراه في لباسه الأبيض من الكتان وقد وضع العمامة الحجازية على رأسه فتطالعك صورة رجل وقور الا أنك تشعر أن هذه الصورة تفيض حنوا وحبا ، وقد أدركته في الأربعينات قبل دخول السيارات إلى البلاد وهو يمتطي صهوة حصان أحمر اللون - ولقد كان كبراء جدة جميعا يستعملون الخيل في تنقلاتهم في العهد العثماني والعهد الهاشمي - حيث لم تكن السيارات قد وصلت إلى البلاد أو على الأصح لم يكن يسمح بدخولها الشريف الملك الحسين بن علي كما أسلفنا في حلقات سابقة من هذه التراجم وكان لهؤلاء الكبراء اسطبلات للخيل وسواس يرعونها ولقد أدركت هذا العهد الذي ظل سائدا في مدينة جدة إلى أن بدأ العهد السعودي فسمح بدخول السيارات وتألفت شركات خاصة وعامة لها بعد ذلك .

نعود بعد هذا إلى الحاج زينل علي رضا فنقول إنه كان من أكبر تجار جدة وقد أسس مع شقيقه الأصغر الحاج عبدالله علي رضا قائممقام جدة الأسبق بيتهم التجاري في مدينة جدة ثم في بومباي ، وكان الحاج عبدالله هو المدير الفعلي لهذا البيت التجاري في الوقت الذي كان فيه الحاج زينل يكبره في السن .

إن ما يلفت النظر في سيرة الحاج زينل ليس ثراؤه وتجارته فما أكثر التجار وأصحاب الثراء ولكن ما عرف عنه من البذل الكثير وخاصة للفقراء والمساكين ، لقد رأيت الحاج زينل والمساكين يحيطون به في مسجد المعمار كلما ذهب لأداء الصلاة ويلتفون حوله وهو خارج من داره سواء للمسجد أو لزيارة بعض أصدقائه ، فيقف لهم باسمهم ويمنحهم الأعطيات ، ولم يكن يظهر عليه التأفف أو الضيق وهم يعانقونه ويتوددون إليه ، بل كثيراً ما رأيتهم يوقفونه في الطريق ويدلون إليه بحاجاتهم فلا يجدون إلا يداً سخية ووجهاً باسماً وكلاماً حسناً ، وهذه الصفات لا تدل على الكرم المطبوع فحسب وإنما تدل على أن نفس الرجل قد اشربت حب الخير والعطف على المحتاجين فبذل لهم من نفسه كما بذل لهم من ماله ورفده .

وخلال الحرب السعودية الهاشمية كانت مدينة جدة محاطة بالأسلاك الشائكة وكان السلطان عبدالعزيز يعسكر بجيشه في الرغامة وكانت المدينة تعاني من الحصار ، كما أن واردات جدة من البضائع قد تأثرت بسبب حالة الحرب أقول في تلك الأيام كان الحاج زينل على رضا يتولى ذبح الذبائح وطبخ الطعام من الأرز ليطعم هؤلاء الفقراء والمساكين وكنت أراه وهو يقف بنفسه أمام القدور العظيمة التي يطهى فيها الطعام وينظر إلى الطاعمين في بشاشة ولطف وإيناس ، كما رأيته وهو يأمر باخراج بالات السليطى - قماش من القطن نباتى اللون تستعمله البادية في الثياب - فتوزع على هؤلاء الفقراء ثياباً تكسو أجسادهم وتدخل السعادة إلى قلوبهم ولقد اشتهر الحاج زينل رحمه الله بحبه للفقراء وحده عليهم حتى لقب بأبى المساكين .

وَالِدُ مُؤَسِّسِ الْفَلَاحِ

ولعل من المهم هنا أن نذكر أن الحاج محمد على زينل مؤسس مدارس الفلاح الشهيرة والعظيمة هو الابن الأكبر للحاج زينل رحمهما الله فكأن حب الخير الذي تأصل في نفس الحاج زينل قد انتقل إلى ابنه البكر الحاج محمد على فقام بعمله العظيم الخالد في إنشاء مدارس الفلاح والإنفاق عليها طيلة ما يقرب من أربعين عاما فكانت حسنة عظيمة وصدقة جارية فكان هذا الشبل من ذاك الأسد .

ولقد كان الحاج زينل يرغب أن يرى ابنه محمد على وهو يعمل في بيته التجاري ليكون امتدادا لاسمه وعمله ولكن فكرة نشر العلم التي استأثرت بجهود محمد على صرفته عن العمل في ظل أبيه فانفرد بعمله الخاص في تجارة اللؤلؤ، وقرت عين الحاج زينل بابنه محمد على وهو من أعظم الرجال ثراء وإن كان يستعمل هذا الثراء في تعليم أبناء الأمة وإعدادهم رجالا للبلاد ، ولا شك أن الله تعالى اختار لكليهما ما هو خير فليس أسعد من أن يرى الانسان ابنه وقد شق طريقه في الحياة وأثمر سعيه وتبهاأت له أسباب النجاح فظهر اسمه ولمع نجمه .

ولقد رأى الحاج زينل ذلك في ابنه محمد على كأحسن ما يمكن أن يرى أب في أبنائه وهذا هو صنع الله العلى القدير لمن شاء من عباده وحكمته البالغة في التدبير والتقدير .

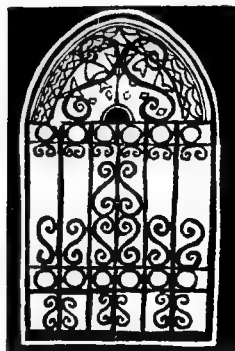
وَفَاةُ الْحَاجِّ زَيْنَل

هذا ولقد توفي الحاج زينل على رضا عام ١٣٤٨ هـ بمدينة جدة عن عمر يناهز الرابعة والثمانين من العمر إذ كانت ولادته عام ١٢٦٥ هـ واشترك أهل

جدة كلهم في تشييعه والصلاة على جثمانه ، وكان أبرز ما رُوى في هذه الجنائز
بكاء الفقراء وعويلهم على الفقيد الراحل ومزاحمتهم الأعيان والأثرياء في حمل
جثمانه والصلاة عليه ، تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان مثلاً في البر بالفقراء
والمساكين •



أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر الهجري





الشيخ ضياء الدين حمزة رجب

الشيخ ضياء الدين حمزة رجب

مستدير الوجه واسع العينين عظيم الأنف ، حنطى اللون معتدل القامة أقرب إلى الامتلاء خفيف اللحية حليق الشارب والعارضين ، يتخذ زياً العلماء السلفيين فيرتدى العباءة والغترة ولا يضع على رأسه عقلاً وقد تمسك بهذا الزي طيلة حياته رحمه الله ، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٣٣٥ هـ وتلقى العلم على أيدي علماء المسجد النبوى الشريف ومن أبرز أساتذته الشيخ الطيب الأنصارى العالم السلفى المشهور والشيخ أبوبكر التمبكتى والشيخ عبدالكريم كردى والشيخ العايش وهو من علماء الأزهر المجاورين بالمدينة المنورة ، كما أنه تأثر بخاله الشيخ عبدالحفيظ كردى شاعر المدينة المنورة ومن قضاتها المشهورين فى العهد الهاشمى ، وبعد إتمام دراسته اشتغل بالتدريس فى مدارس المدينة المنورة كما عمل فى تحرير جريدة المدينة المنورة أول ظهورها ، ولم تطل إقامته بالمدينة المنورة فعين ١٣٥٧ هـ قاضياً بمدينة العلا شمال المدينة المنورة وانتقل إليها لبضع سنين وما لبث أن عاد الى المدينة المنورة بعد أن ترك العلا ليعمل فى المحاماة وضاعت المدينة بنشاطه فى المحاماة فانتقل إلى مكة المكرمة فى أواخر الخمسينات وعمل بها فى المحاماة فترة من الزمن ، ثم عين رئيساً لكتاب

مديرية الأوقاف العامة بمكة المكرمة ثم مستشاراً قضائياً لأمانة العاصمة في عهد
المرحوم الشيخ عبدالرؤوف الصبان ثم عضواً بمجلس الشورى في أوائل عهد
الملك سعود وقد بقى يمارس عمله في مجلس الشورى إلى أن انتقل بأسرته إلى
سوريا ثم إلى مصر وتكرر انقطاعه عن المجلس فترات طويلة فأحيل إلى
التقاعد ، وقد بقى في مصر عدة سنوات إلى أن حصل نجله حمزة رحمه الله على
البكالوريوس من جامعة القاهرة فعاد بأسرته إلى جدة وافتتح مكتباً للمحاماة
نجح فيه نجاحاً كبيراً وقد بقى يمارس هذا العمل إلى أن توفي فجأة بالرياض
بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٩٦ هـ رحمه الله رحمة واسعة ، كان الشيخ ضياء الدين رجب
نمطاً فريداً من الناس وقد استطاع بما وهبه الله من سباحة نفس وهدوء طبع أن
يجمع القلوب حوله فأحبه الناس والتفوا حوله فكانت داره كما كان مكتبه يزدحم
بالناس من كافة الطبقات وكانت له قدرة عجيبة على الاستماع إلى الناس
ومشاركتهم فيما يهتمون به من شؤون أنفسهم وكانت هذه المشاركة تقتضى منه
التوسط لدى المسؤولين في الإدارات المختلفة ، أولدى القادرين من الناس ولم
يكن عمله في المحاماة قائماً على المادة وحدها وإنما كانت معظم أعماله تتصف
بالصبغة الإنسانية أكثر مما تتصف بالعمل المادى المنظم ، وكان هذا الأمر يتجلى
إذا كان أصحاب الحق من المستضعفين من الناس أو من النساء اللاتي فقدن
الناصر والمعين ، ولم يكن يلجأ في مثل هذه الحالات إلى المقاضاة وإنما كان يتخذ
طريق الإصلاح وسيلة لفض هذه المنازعات وقد اكتشفنا بعد وفاته رحمه الله
حوادث كان يمكنه أن يربح من ورائها الملايين ولكنه بدلاً من أن يلجأ إلى التعاقد
مع أصحاب - أو على الأصح - صاحبات القضايا دخل فيها بروح النجدة
لامرأة استضعفها أهلها فحرموها حقوقاً كثيرة فقام هو باستخلاصها لها بهذه
الروح الطيبة التي تندفع بدافع المروءة والنجدة وتتناسى ما يحنيه أمثاله في هذه

المواقف من أموال طائلة تعتبر بالنسبة لمن يمارسون هذا العمل من الفرص القليلة النادرة ، وكان الشيخ ضياء الدين ذا صلة وثيقة بالمرحوم الشيخ محمد سرور الصبان وعُرفت هذه الصلة بينهما خاصة خلال الفترة التي ولى فيها المرحوم الشيخ محمد سرور وزارة المالية ، وخلال إقامته في مصر بعد خروجه من الوزارة فكان الشيخ ضياء الدين ينقل إليه حاجات الناس ومطالبهم وخاصة أولئك الذين يمنعهم الحياء من الطلب أو الذين يتحرجون في إيصال مطالبهم إليه وكان الشيخ محمد سرور رحمه الله يستجيب لهذه المطالب بروح من السماحة والبذل وبدافع من ثقته الشخصية بالشيخ ضياء الدين وسعيه في الخير وكان الرجلان يكتمان من أمور الناس ما يجب كتمانهم ويستتران من العورات ما يجب ستره ، وكان الشيخ ضياء الدين رحمه الله كريما في جميع الحالات حتى في الأوقات التي كان يعاني فيها من ترك العمل أو خلوقات اليد فإذا وصل إلى يده شيء سرعان ما أسعف به غيره من أصحاب الحاجات ولعل البعض من هؤلاء الناس كان أحسن منه حالا ولكنه يرحمه الله كان مفطورا على النجدة والعطاء على الإقلال والإعسار ، وحيثما حسنت أحواله كان له الكثير من الإحسان الخفي وكان ينفق على ذوى قريبه ويصلهم ويرعى شؤونهم .

وكان أصدقاء الشيخ ضياء الدين من كافة الطبقات بدءاً بالعامية من الناس وانتهاء بالوزراء كما كان معروفا لدى الكثيرين من العلية والحكام وكان الجميع يحبونه وكان الكثيرون يعتمدون عليه في قضاء حوائجهم ، وما أكثر هذه الحوائج وكنت أعجب له رحمه الله كيف يستطيع احتمال كل هذه الأعباء إلى جانب عمله الشاق في المحاكم وفي مكتبه الذي يغص بأصحاب القضايا والحاجات حتى وقت متأخر من الليل ، وكان هاتفه لا ينقطع من المكالمات التي تحمل في ثناياها هذه التكاليف العجيبة ولكنه كما ذكرت كان ذا قدرة عجيبة على إرضاء الناس وعلى

الإصغاء اليهم ، وتفهم حاجاتهم وكان ذا بصيرة بطباع أصدقائه والمتحدثين إليه فكانوا يتركونه وهم يشعرون بالراحة وحتى ولو لم تقض لهم حاجة أو يتحقق لهم مطلب فإن شعور المرء بأن هناك من يشاركه في همومه ومشاكله يخفف من أعبائه النفسية ويشعره بالراحة والاطمئنان ، وهكذا فإن مشاركة الشيخ ضياء الدين رحمه الله للناس في اهتماماتهم أكسبه محبة الناس وتقديرهم ، وقد تجلّى هذا الحب في حياته حينما فقد ابنه الشاب المرحوم حمزة ضياء الدين رجب وهو في اكتمال فتوته وأوج شبابه فكانت مشاركة الناس للشيخ ضياء الدين في فجيعة بوحيدة البكر ، - كان المرحوم حمزة رجب هو الولد الوحيد وبقيّة ذرية الشيخ ضياء الدين من الإناث - مشاركة عظيمة تجلت في إقبال الناس عليه بالتعزية والمواساة ، وتجلّت فيما كتبه الكثيرون من أصدقائه أو معارفه في رثاء ابنه ومواساته ، كما تجلّت هذه المشاركة بعد وفاة المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب رحمه الله فقد لمسنا من مواساتهم مقدار ما كان يتمتع به في نفوس الناس من محبة وتقدير .

وللشيخ ضياء الدين رحمه الله إلى جانب أخلاقه الشخصية الكريمة نواحٍ أخرى فهو شاعر من أكبر شعراء المملكة وكاتب من أقدر الكتاب وكان ينشر إنتاجه الأدبي بجريدة المدينة المنورة في أول ظهورها فقد كان أحد كتابها البارزين ، كما كان ينشر بين الفينة والفينة في جريدة صوت الحجاز والمنهل ما تجود به قريحته من شعر ونثر وفي السنوات الأخيرة من حياته واصل الكتابة للاذاعة السعودية فكانت له أحاديث يومية مذاعة ، كما واصل الكتابة في جريدة البلاد وكانت له كلمة يومية تنشر بعنوان « قطوف » كما كان له مقال أسبوعي في هذه الصحيفة ، هذا عدا ما تنشره المجلات الأخرى مثل « قافلة الزيت » « والمنهل » وخلافهما من شعر ونثر ، والكتابة اليومية في الصحف إذا كانت ناجحة ليست عملاً سهلاً كما يتصور البعض من الناس ، لأنها تعتمد أولاً على

ذكاء الكاتب وسعة إطلاعه ، وشمول إدراكه وحساسيته إزاء ما يصادفه في حياته اليومية مما يقرأ ويسمع وما تضطرب به حياته وحياة من حوله من الناس ، فإذا استطاع الكاتب أن يشدَّ القراء إلى عموده اليومي مهما كان قصيرا فهو كاتب أصيل ممتاز وأشهد أن قطوف الشيخ ضياء الدين رحمه الله كانت تجذبني إلى قراءتها صباح كل يوم ضمن القليل الذي أحرص على قراءته في مختلف الصحف مع ضيق وقتي عن القراءة بما يزدحم به يومي من أعمال ، وإذا كان لي أن أقول كلمة صغيرة عن الشيخ ضياء الدين رحمه الله كأديب فهو في رأيي كاتب مجيد وشاعر عظيم يذكرني بالصفوة المختارة من الشعراء بأسلوبه العربي الأصيل ، وعاطفته الدافقة الثَّرةَ وهو يمثل نمطا فريدا من الشعراء فكأنك تستمع إلى الفحول من شعراء العصر العباسي كالشريف الرضي ومهيار الديلمي أو كأنك تستمع إلى شوقي في ديباجته الناصعة ولعلى لا أفشى سرا إذا ذكرت هنا أن الشيخ ضياء الدين رحمه الله كان يسره أن يستمع إلى من ينشد ما ينظمه من شعر فكان يحضر إلى مكتبي إذا نشرت له قصيدة ويطلب مني إنشادها وأشعر بنفسه تهتز رضا وهو يستمع إلى هذا الانشاد ، ولعله كان يعجب بحرصي على فهم معاني القصيدة ومراميها ، فقد كنت أناقشه دائما في كل ما ينشر له من شعر ، وكثيرا ما كنا نعقد المقارنات بين القصائد التي تنشر لأعلام الشعراء في موضوع واحد وإنني لأذكر هنا أننا تدارسنا القصائد التي نظمت في رثاء المرحوم رياض الصلح زعيم لبنان الكبير وفي أمثال هذه المناسبات كنا نتدارس القصائد الموسمية التي تلقى في موسم الحج والتي يشترك فيها شعراء كثيرون من داخل المملكة وخارجها وكان الشيخ ضياء الدين رحمه الله على صلة واسعة بشعراء عصره وأدبائهم فحين إقامته في الشام توثقت صلته بشعراء سوريا الكبار شفيق جبري وسليمان الأحمد وغيرهم كما أني اجتمعت في داره بدمشق بالأستاذ نصوح

بإبيل صاحب جريدة الأيام الشهيرة في سوريا إذ ذاك وكان على صلة وثيقة بالسيدين أبو الخير الميداني والسيد محمد مكى الكتانى رحمهما الله وكليهما من علماء سوريا وزعمائها الدينيين وفي مصر اجتمعنا في منزله بالأستاذ الشاعر أحمد رامى الذى كان ممن توثقت صلة الشيخ ضياء الدين بهم رحمه الله ، كما علمت أنه كانت له صلات كثيرة برجال العلم والأدب في كل من القطرين وفي مصر كنت أرى الشاعر المرحوم محمد مصطفى حمام والشاعر محمد جبر لدى الشيخ ضياء الدين في أوقات متقاربة وغير هؤلاء كثيرون ممن لا تحصيلهم الذاكرة وحينما كان في مصر كان على صلة كبيرة بالأمير عبدالكريم الخطابى قائد ثورة المغرب الشهيرة ضد أسبانيا وفرنسا وحينما توفى رثاء بقصيدة عصماء نشرتها له مجلة « قافلة الزيت » في تلك الأيام أما صلة الشيخ ضياء الدين رحمه الله بشعراء وأدباء عصره فهي صلة الصداقة الكريمة والحب الخالص ، كان يحب الجميع وكان الجميع يحبونه ويقدرونه وكان بما وهبه الله من خلق سمح ولسان عف يبعد عن المنازعات التى تكدر علائق المودة بين الأدباء فلا يهاثر ولا يخاصم ووقف من هذه الخصومات الأدبية التى كانت تحدث بين أدباء عصره وشعرائهم موقف المحايد النائى بنفسه عن التورط فيما لا يليق بمقام العالم والأديب .

نعم لقد كان الشيخ ضياء الدين قبل كل شئ وبعبده لا ينسى أنه طالب علم ، وأنه تقلد القضاء وهو عمل من أرفع الأعمال وتولى التدريس وهى مهنة شريفة كريمة ، وقد كان مع من يحيط به من الشباب الذى يحبونه في مقام الأبوة الحانية يرشد ويعلم ويحنو ويكرم دون أن يشعر من حوله بشئ من الاعتزاز بعلمه أو الإدلال بمكانته ، بل أنه يشعر من حوله بأنه منهم وإليهم وبهذه الصفات الكريمة السمحة تبوأ مكانه في النفوس ورسخت محبته في القلوب رحمه الله رحمة واسعة .

مُبالِغتهُ في تقديرِ سنِّه

ومن طرائف الشيخ ضياء الدين رحمه الله أنه كان يبالغ في تقدير عمره خلافا لما جرى عليه العرف بين الناس وقد رأيته مرة يذكر أنه في الثمانين من العمر وكانت المبالغة واضحة فقلت له ألم تذكر لى أنك توليت القضاء وأنت في العشرين من العمر قال نعم قلت فكيف بلغت الثمانين ولم يمض على هذا الأمر الأربعون عاما فضحك وقال إنتى فى الحقيقة لا أدرى قلت ولكنك تتعمد المبالغة قال لقد رأيت الناس يحاولون إنقاص أعمارهم فأردت أن أخرج من النزاع فى هذا الأمر بالزيادة بدل النقصان ..

الشيخ ضياء الدين والنسيان

ومن طرائفه أيضا أنه كان كثير النسيان حتى عرف بذلك بين أصدقائه ، وأنا شخصا أعرف أنه كان يبالغ فى التظاهر بكثرة النسيان فقد كان كما ذكرت فى صدر هذه الترجمة مقصودا من الناس فى أمور كثيرة ومن المؤكد أن وقته كان يضيق بالقيام بهذه الأمور بل ببعضها فكان النسيان والسرحان هو العذر الذى يلجأ اليه والذى يقبله الناس عملا بالحديث الشريف « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولقد رأيته رحمه الله يحفظ أرقام التليفونات ولا يكتبها فى مذكرة وإنما يستمدّها من ذاكرته العجيبة التى تحفظ ما تريد وتتناسى ما لا تريد ، ولا شك أنه كان لا ينسى إطلاقا ما يهم من الأمر ولكن حادثة طريفة سمعتها منه تعتبر من أعاجيب السهو والنسيان

قال: وقد عليه من الطائف المرحوم محمد بصراوى - وكان يلقب بالبليك - وكان مديرا لأوقاف الطائف وخرجا من إدارة الأوقاف بالمالية بمكة بعد انتهاء

ساعات العمل وذهبا إلى منزل الشيخ ضياء الدين في جرجول لتناول الغداء وترك الشيخ ضياء الدين ضيفه في الدور الأول من المنزل ونسى أن يذكر لأهل الدار أن ضيفا سيتناول الغداء معه قال الشيخ ضياء الدين: وكنت متعبا فاستلقيت على السرير وغمت ولم أقم إلا وقد غشنا العصر فتغديت ونسيت الضيف الذى ينتظرنى فى الدور الأول وقد أوشكت الشمس على المغيب وحينما هبطت اليه وجدته يكاد يبكى من الجوع وضاعت معه كل حيلة فى الاعتذار بالسهو والسرхан وظل يشكونى إلى كل من يراه إلى أن توفاه الله .

المحَامَاة فِي الْقُرْآنِ

ومن الطرائف التى ذكرها لى الشيخ ضياء الدين رحمه الله ، أنه كان يعمل بالمحامة بعد أن صرف عن قضاء العلا ، ويبدو أن بعض القضاة شكوه إلى جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله واقتضى الأمر أن يقابل هو جلالة الملك عبدالعزيز ويشرح له الموضوع قال ، قال لى جلالة الملك: ولكن المحامة لا أصل لها فى الشرع ، قال فقلت لجلالته إن لها أصلا فى القرآن قال هاته . قال : قلت: قال تعالى فى سورة النساء « ولا تكن للخائنين خصيا » ، أى مدافعا عنهم والمحامة هى الدفاع عمن لا يستطيع الإدلاء بحجته فقبل جلالته ذلك راضيا. وما يذكر أن هذه الآية كانت مكتوبة بخط جميل فى لوحة خشبية وكان الشيخ ضياء الدين يضعها فى مكتبه الذى يمارس فيه عمل المحامة بحيث يراها كل من يجلس إليه من أصحاب القضايا ، وكأنه بهذا يوحى إليهم أنه لا يقبل من القضايا الا ما كان أصحابها على حق وهو مبدأ لو تمسك به المتخاصمون لأراحوا واستراحوا .

ديوان الشيخ ضياء الدين

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ ضياء الدين قصائده في مجموعات كبيرة مجلدة ومنسوخة بالآلة الكاتبة وكثير من هذه القصائد لم ينشر في حياته وقد اتفقت أسرته مع نادى جدة الأدبى على نشر هذه القصائد في مجموعات متفرقة ولا بد أن المجموعة الأولى ستنتشر قريباً بإذن الله وهي خدمة عظيمة للأدب السعودى يقدمها نادى جدة الأدبى مشكوراً فإن الشيخ ضياء الدين يعتبر مفخرة من مفاخر الشعر العربى في هذا العصر لا في المملكة العربية السعودية وحدها وإنما في الوطن العربى كله وهو بأسلوبه الناصع ومعانيه الثرة وعاطفته المتوهجة يمثل النسق الشعرى الأصيل في صفائه وجودته ورقته .

بعد كتابة ما تقدم يسرنى أن أذكر أن المجموعة الكاملة لشعر الشيخ ضياء الدين رجب قد تم إعدادها للطبع على نفقة صاحب السمو الملكى الأمير الشاعر عبدالله الفيصل وأمل أن تكون قد ظهرت قبل طبع هذا الكتاب .

تَمَسُّكُهُ بِالشَّعْرِ الْعُمُودِي

ولعل مما يحسن ذكره ونحن نتحدث عن شعر الشيخ ضياء الدين أنه كان من المتمسكين بالشعر العمودى المنظوم ولم يكن يمارس هذا الخلط الذى يسمونه الشعر المنشور بل ولا يستسيغه أو يعترف به كما هو شأن الكثرة من الشعراء المجيدين .

فتى سلع

كما أن الشيخ ضياء الدين كان ينشر شعره الغزلى بتوقيع مستعار هو - فتى سلع - ولقد كان يتبع هذه الطريقة منذ بداية نشره للقصائد الشعرية في الخمسينات وإلى أن توفاه الله وهو يهدف إلى الشيخوخة .

مُؤَلَّفَاتُهُ الْآخَرَى

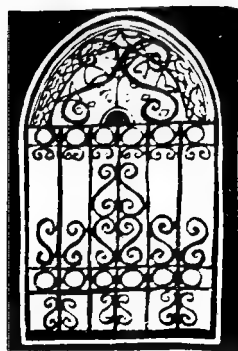
هذا وقد كان الشيخ ضياء الدين رحمه الله أخبرني أن له مؤلفا صغيرا بعنوان - وقفة في ديار ثمود - وقد ألفه حينما كان قاضيا بالعلا ولكنى لم أجد مخطوط هذا الكتاب ضمن ما تركه من آثار أدبية ، وإنى لأرى أن أدبيا كبيرا كالشيخ ضياء الدين يستحق أن تتكفل كلية الآداب بإحدى جامعاتنا بجمع آثاره المنشورة بالصحف والمذاعة بالمذيع لا اختيار ما يصلح منها للنشر توطئة لطبعه ونشره لتكون هذه المنشورات وسيلة كافية للدراسة الكاملة لأدبه وإنتاجه .

وفاته

هذا وقد أدركت. الوفاة المرحوم الشيخ ضياء الدين رحمه الله في الرياض في ليل الرابع عشر من شهر صفر ١٣٩٦ هـ وكان بدار ابنته « ليس » فشعر بضيق في التنفس وألم في الصدر وحينما نقل إلى المستشفى لإسعافه أسلم الروح وهو في الطريق إلى المستشفى رحمه الله وكانت لوفاته رنة حزن عظيمة في جميع الأوساط وقد نقل بطائرة تابعة لوزارة الدفاع من الرياض في صباح يوم الخامس عشر من صفر ١٣٩٦ هـ إلى جدة حيث جهز ونقل إلى مكة المكرمة وصلى على جثمانه في المسجد الحرام ودفن بمقبرة المعلاة رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رجلا خيرا وعالما نيرا وأديبا وشاعرا كبيرا ..



إعلام الحجاز
في سنة الف وستمائة





سليمان أمان قابل

سَلِيمُكَ أَمْلَكَ قَابِلُ

متوسط القامة ممتلئ الجسم شديد السمرة واسع العينين يضع على عينيه نظارة ذهبية كان يرتدى الحبة والعمامة الحجازية ثم أصبح يرتدى العباءة والعقال المقصب في العهد السعودي .

إن ما لفت نظري في تاريخ الشيخ سليمان قابل هي عصاميته الفذة فلقد بدأ حياته مع أخيه الشيخ عبدالقادر قابل بداية بسيطة ولكنه استطاع بطموحه وعصاميته ان يتبوأ المناصب الكبيرة في العهد الهاشمي ثم في العهد السعودي وان يستطيع محله التجارى افتتاح شارع من أهم شوارع مدينة جدة كما سيأتى ايضاحه فيما بعد .

رئيس المحكمة التجارية

عرفت الشيخ سليمان قابل وهو يتولى منصب رئيس المحكمة التجارية بمدينة جدة ، وهى أول محكمة من نوعها تقام في العهد السعودي للفصل في الأمور التجارية التى لها طابع خاص وذلك لما تتميز به مدينة جدة من التخصص في أمور التجارة بأنواعها^(١) ، كما كان يمارس الأمور المتعلقة بالتجارة منذ العهد

(١) كما كان رئيسا لبلدية جدة في العهد الهاشمي .

الهاشمى فلقد كان يرأس الإدارة التى تمنح تراخيص الاستيراد فى وقت من الأوقات وهو أمر إن دل على شىء فإنما يدل على أن الرجل قد استطاع الفوز بثقة الدولة فى العهد الهاشمى والعهد السعودى على السواء وهو يدل كذلك على أن شخصيته العصامية وطموحه قد مهدا له السبيل للبروز بين أقرانه من الرجال ولعله من المناسب أن نذكر أن الشيخ سليمان قابل تولى رئاسة أول شركة للسيارات تأسست فى مدينة جدة فى أوائل العهد السعودى ولكن هذه الشركة لم تستمر فقد واجهتها مشاكل كثيرة انتهت بتصفيتها •

شَارِع قَابِل

على أن أهم إنجاز يتميز به الشيخ سليمان قابل فى نظرى هو افتتاحه لشارع قابل المعروف والمسمى باسم أسرته حتى اليوم وهو شارع من أهم شوارع مدينة جدة كما هو معلوم ، ولهذا الشارع قصة يحسن ذكرها فان الملك الحسين بن على هو الذى قام ببناء الشارع فى الثلاثينات فى عهد ولايته عرش الحجاز وفى عهد ابنه الملك على بن الحسين اشتراه آل قابل من الملك على مقابل بعض المال وبعض الأغذية التى كانت حكومته فى أشد الحاجة إليها لتصرف للجند خلال الحرب السعودية الهاشمية ، قالوا وكانت الصفقة فى مصلحة المشتري أكثر منها فى مصلحة البائع وليس هذا هو المهم فى الأمر ولكن المهم ان الشيخ سليمان قابل استطاع بذهنيته المتفتحة ان يجعل من هذا الشارع أهم شارع فى مدينة جدة فى ذلك الزمان فلقد كان الشارع مكشوفاً فتعاقد بيته التجارى مع شركة ألمانية على تسقيفه وتم تغطية الشارع بسقف من المعدن المضلع - التوتوه - يقوم على أعمدة حديدية ويرتفع ارتفاعاً كبيراً لأن علو الشارع كان قد بنى عليه دور من المكاتب التجارية ، ولقد شاهدت العمل فى تغطية الشارع فى الأربعينات فى أوائل العهد

السعودى وهو يسير على قدم وساق حتى تمت التغطية على أحسن ما تكون فى ذلك الزمان ولم يكتف آله قابل بهذا التجديد ، ولكنهم استوردوا مكينة كهربائية ضخمة وأدخلوا النور الكهربائى والتهوية الكهربائية إلى كل دكان ومكتب فى الشارع فتدافع أصحاب الدكاكين إلى الاستئجار فى شارع قابل وأصبح الشارع مختصا بالقماشين ومن اليهم ممن تحتاج بضائعهم إلى مثل هذه التحسينات والتجديدات التى تميز بها شارع قابل ، إن آله قابل قد أفادوا كثيرا من التحسينات التى أدخلوها على شارعهم ، ولكنهم فى نفس الوقت قد أفادوا الناس ، وقدموا للمدينة التى ينتمون إليها خدمة حضارية لا شك فيها ، ولقد ذكرت فيما مضى من هذه التراجم أن الريح لا يغضن من قيمة العمل المفيد ولا ينقص من تقديره وأن الجانب الذى يعنينا منه هو مقدار ما يفيد منه الناس وما يدخل على الوطن من أسباب الحضارة والتيسير وفى رأى أن هذا العمل إذا كان تجاريا فان توفر عنصر الريح جوهرى لبقائه ودوامه •

مَوَائِدُ الْإِفْطَارِ فِي رَمَضَانَ

وكان منزل آله قابل فى مدينة جدة يتميز كذلك بأقامة موائد الإفطار فى كل يوم من أيام رمضان من بداية الشهر إلى نهايته وكانت هذه الموائد تضم فى كل يوم كبار موظفى دائرة حكومية مع بعض أعيان المدينة وتجارها وكانت هذه العادة الجميلة تتيح لآله قابل توثيق علاقاتهم بكبار موظفى مدينة جدة وهو نوع مما يسمى فى الوقت الحاضر بالعلاقات العامة لم يكن معروفا فى ذلك الزمان ، على أى حال لقد كان منزل آله قابل مفتوحا مغرب كل يوم فى رمضان وكانت موائدهم منصوبة لاستقبال الضيوف كما كان منزلهم فى مساء كل يوم مفتوحا لأصدقائهم من أعيان المدينة وكنت أرى الحاج عبدالله على رضا قائممقام جدة وشقيقه

الحاج زيتل على رضا ممن يحضرون إلى منزل آل قابل أصيل كل يوم حيث يصلون المغرب جماعة ويتسامرون ساعة من الليل ثم يعود كل منهم إلى داره على عادة كبار أهل جدة في ذلك الزمان •

وكان منزل آل قابل من المنازل القليلة التي تضاء بالكهرباء في وقت لم تكن فيه الكهرباء معروفة إلا في منازل السفارات والشركات الأجنبية •

وكان منزل آل قابل يقع في الحدود ما بين حارة الشام وحارة المظلوم ولا يزال هذا المنزل قائما ولكن أهله قد تركوه منذ سنوات طويلة بعد وفاة كبار رجال العائلة وأصبح المنزل خربا غير مسكون •

أَهْلُ الْحَارَةِ وَعَنْعَنَاتِهِمْ

وعلى ذكر منزل آل قابل الذي ذكرنا أنه يقع في الحدود ما بين حارة الشام والمظلوم نذكر هنا حادثة طريفة تتعلق بموضوع حارات جدة والعنعنات التي كان يتمسك بها رجال الحارة أو الحارات على الأصح وهي تدل على مدى العقلية التي كانت تتحكم في عقول بعض الناس في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري الذي ودعناه منذ بضعة شهور ، كانت مدينة جدة تنقسم إلى أربع حارات هي : حارة الشام وكانت في شمال المدينة وفيها مقر الحكومة ومقر السفارات والشركات الأجنبية ، مما يلي البحر والشمال وحارة المظلوم وهي تقع في شرق مدينة جدة وتمتد إلى وسطها ، وحارة اليمن وهي في جنوب جدة وكان يتمركز فيها وكلاء الحجاج وينزل فيها الحجاج قبل بناء مدينة حجاج البحر وحارة البحر وهي ممتدة إلى جوار البحر من الجنوب باتجاه الشرق ويسكن فيها البحارون وملاك الزوارق البحرية وما إليها وكل من تتعلق أعمالهم بالبحر يوم

أن كان للبحر رجاله وعماله من أهل المدينة قبل التطور العظيم الذى أدخل على ميناء جدة^(١) .

نقول كان رجال كل حارة يعتبرون حارتهم معقلا لهم وينظرون إليها نظرة فيها كثير من العصبية إذا جاز هذا التعبير فلا يسمحون لرجال الحارات الأخرى بالدخول إليها فى المواعيد والحفلات إلا بعد ترتيب خاص يخبرون فيه أهل الحارة بقدمهم ، وحدث أن أقام الشيخ محمد الطويل كبير جدة فى ذلك الزمان عرسا لأحد أقربائه وكان الشيخ محمد الطويل من سكان حارة الشام وكان أهل العروس يسكنون فى حارة اليمن وفى الهزيع الأخير من الليل قام موكب العريس من بيت الشيخ محمد الطويل بحارة الشام يحف به المنشدون المشهورون فى ذلك الوقت وتتقدمه المصابيح الغازية الكبيرة - الأتاريك - يحملها الرجال ، كما كان يمشى حملة مياخر العود بين يدي العريس وحينما وصل الموكب الذى كان يمشى فيه كثير من أعيان المدينة ورجالها وشبابها إلى حدود حارة اليمن وتقع هذه الحدود أمام مسجد العمار عند بيت آل المجموع فى ذلك الوقت تعرض بعض أهل حارة اليمن للموكب وطلبوا منه العودة من حيث أتى قائلين - هذه حارتنا ولن نسمح لكم بالدخول وأصر أهل حارة الشام على الدخول فكيف يعودون ومعهم هذا الموكب الضخم العظيم وفقد رجال الحارتين اعصابهم فتسابوا ثم استعملوا عصيهم يضربون بها بعضهم بعضا وانفرط عقد الموكب وتفرق الناس خائفين على أنفسهم من نتائج المعركة المجنونة التى نشبت فجأة دون إنذار والتى أوقد شعلتها شباب غير مسؤولين فقدوا أعصابهم فى ساعة من ساعات الحمية الكاذبة ولم يستطع العقلاء التدخل وإيصال العريس إلى منزل عروسه الا بعد مشقة وتعب ولكن كان الضرب قد حدث وكذلك الإصابات فى الجانبين وتدخلت الشرطة وأخذت

(١) أصبحت محلات جدة او حاراتها الآن اكثر من عشرين حيا واصبحت لها عدة بلديات بعد ان تضاعف نمو

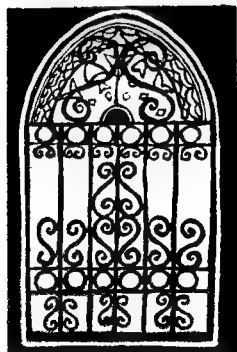
المدينة اكثر من عشرين ضعفا .

الجميع إلى السجن وكان مساعد قائممقام جدة يومها المرحوم الشيخ عبدالعزيز ابن زيد وسمعته يقول : إن كانت هذه المعركة بسبب الحدود فاننا سنرسل المتقاتلين الى الحدود الحقيقية لحمايتها أما هذه الحدود داخل المدينة الواحدة فهي حدود كاذبة مفتعلة ولقد كانت هذه الحادثة هي آخر ما أعرفه عن حوادث الحدود بين الحارات إذ كان تصرف الدولة الحازم كفيلا بالقضاء على هذه النعرات الى غير رجعة والحمد لله •

نعود بعد هذا الاستطراد الذى جرنّا إليه موقع منزل آل قابل في مدينة جدة الى الشيخ سليمان قابل فنقول إنه توفى الى رحمة الله تعالى بعد مرض ألمّ به سافر من أجله للاستشفاء في مدينة القاهرة ثم عاد الى مدينة جدة ولكن الأجل كان قد دنا فتوفى وكأنما كانت وفاته نذيرا بانطواء تاريخ الأسرة التى كان يجمع شملها ويرفع اسمها رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رجلا عصاميا طموحا وقد استطاع أن يبرز بين رجال مدينة جدة بهذه العصامية وبهذا الطموح •



إعلام الحجاز
في المئذنة الأربع عشرة للهجرة





السيد صالح بن بکری نطا

السيد صالح بن بكر شطا

طويل فارح ، معتدل الجسم ، أبيض اللون تشوبه بياضه حمرة خفيفة ، واسع العينين ، ألقى الأنف ، يضع على عينيه نظارة ذهبية ، كان في العهد الهاشمي يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، وقد أدركته في الخمسينات وهو يرتدى العباءة العربية والفترة البيضاء دون عقاب وهو الذي يتميز به علماء الدين والقضاة ، ولا عجب في ذلك فالرجل من بيت علم ودين وقد ظل محتفظا بصفته هذه رغم المناصب الكبيرة التي أسندت إليه فهو من أولئك الرجال الذين تنفرد شخصياتهم بما وهبها الله من صفات فتضع بصائرها على ما يسند إليها من منصب أو عمل فلا يجرفها المنصب أو الجاه ، ولا يبطرها الثراء أو الحسب لأنها تستمد قوتها من صفاتها الشخصية التي تفرض حبها على الناس في بساطة ويسر .

ولد السيد صالح شطا عام ١٣٠٢ هـ بمكة المكرمة وتوفي والده وهو في الثامنة من العمر فكفله أخوه الأكبر السيد أحمد شطا المدرس بالمسجد الحرام ، وحفظ القرآن الكريم في صباه وتلقى تعليمه على أيدي أعلام العلماء من أسرته ومن علماء مكة المكرمة الذين تعقد حلقات دروسهم في رحاب المسجد الحرام

أمثال السادة : احمد وعمر شطا والسيد عبدالله دحلان والسيد حسين الحبشى وغيرهم^(١) وبعد أن أتم دراسته حصل على إجازة بالتدريس من هيئة العلماء بمكة المكرمة فكان يلقى دروسه في رحاب المسجد الحرام بباب الزيادة .

سمعت باسم السيد صالح شطا رحمه الله أول مرة في أوائل الأربعينات حينما وفد بأسرته من مكة المكرمة إلى جدة خلال الحرب السعودية الهاشمية ونزل بدار الشيخ عبدالرحمن باجنيد - كانت هذه الدار في شارع قابل أمام مسجد المعمار وقد أزيلت وأدخلت مع البيوت التي حولها في الشارع الجديد المسمى شارع الذهب حاليا - أقول سمعت باسم صالح شطا لأول مرة حينما وفد بأسرته من مكة المكرمة ولكن لم يمض طويل وقت حتى شاع في مدينة جدة خبر التجائه الى مخيم السلطان عبدالعزيز آل سعود بالرغامة - خارج مدينة جدة ولهذا الالتجاء خلفية لا بد من ذكرها وقد حدثني عنها السيد صالح شطا نفسه رحمه الله قال : كنت أقاوم حكم الشريف الحسين بن علي لأنه كان ظالما بطاشا ولقد سجنتم ومعى الشريف رضا « والد المرحوم الشريف محمد شرف رضا » في سجن الحسين بمكة المكرمة لأن الحسين كان يعرف عنا هذه المعارضة ، قال وكنت أرسل المقالات إلى الجرائد المصرية « ولعله ذكر اسم مجلة المقتطف » أعدت فيها مظالم الحسين بتوقيع مستعار ، وكانت هذه المقالات تنشر ولا يعرف كاتبها إذ كانت الصحيفة تحتفظ باسم الكاتب سرا إذا رغب في ذلك ، أقول ان هذه الخلفية للسيد صالح شطا رحمه الله توضح اختراقه للأسلاك الشائكة التي تحيط بمدينة جدة في أيام الحصار والتجاء إلى مخيم السلطان عبدالعزيز فهو إنما فعل هذا مدفوعا بكرهه للعهد القائم إذ ذاك وهذه الحادثة بالذات تظهر مدى قوة شخصية الرجل وشجاعته في اقتحام المخاطر ، فلو أن محاولته للخروج من مدينة

(١) سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجرى تأليف عمر عبدالجبار صفحة ١٤٦ .

جدة كشفت أو ألقى القبض عليه من قبل الجيش المدافع عن المدينة ، لكان مصيره في مهب الرياح ، ولكان في موقف من أسوأ المواقف التي يتعرض لها من يقتحم هذه الأخطار بينما كانت أسرته الكبيرة مقيمة بمدينة جدة • هذا ما كنت قد كتبتة عن هذه الحادثة المشار اليها ونشر في الحلقة الخاصة بالمرحوم السيد صالح شطا • وقد اتصل بي ابنه الأخ السيد محمود شطا عضو مجلس الشورى وأخبرني أن والده لم يلجأ إلى مخيم السلطان عبدالعزيز وأنه إنما ذهب مع من ذهبوا من زعماء مكة وجدة لمقابلة السلطان عبدالعزيز بالרגامة لإبداء آرائهم فيما تعرض له مدينة جدة من المخاطر بما تضمنه من الأهالي ورعايا الدول الأجنبية وأن الشريف الملك على بن الحسين لم يكن راضيا عن ذهابهم ولكنه لم يستطع منعهم وأنهم حينما عادوا سجنوا بالقسلة وأبعد منهم من أبعد عن البلاد وأن والده السيد صالح شطا كان من ضمن المسجونين بالقسلة مع المرحوم الأفندي محمد نصيف والشيخ سليمان عزايه • هذا وقد وجدت في كتاب ماضى الحجاز وحاضره للأستاذ حسين محمد نصيف رحمه الله ما يدل على أن السيد صالح شطا كان أحد أعضاء الحزب الوطني الذي تأسس في مدينة جدة أيام الحرب الهاشمية السعودية وللتوفيق بين ما كنت كتبتة عن التجاء السيد صالح شطا إلى مخيم السلطان عبدالعزيز حسب المعلومات التي كانت متداولة في ذلك الوقت وبين ما ذكره لى ابنه السيد محمود شطا أقول إن السيد صالح رحمه الله كان معروفا بمعارضته الشديدة للحكم الهاشمي ولا بد ان البعض حينما علم بذهابه مع من ذهبوا لمقابلة السلطان عبدالعزيز على كره من الملك على أنهم ظنوا أنه لجأ الى مخيم السلطان عبدالعزيز أو أن هذه الاشاعة أطلقت لتبرير سجنه مع زملائه الذين سجنوا وأبعدوا فيما بعد •

ولعله من المناسب أن نذكر الآن طرفا من الحالة الاجتماعية التي كانت تسود

البلاد في هذه الفترة من الزمان في أوائل الأربعينات من هذا القرن-الهجرى الذى يوشك على الانتهاء .

كانت الحياة الاجتماعية في الحجاز مبنية على الترابط والسماحة وكانت البيوت مفتوحة لاستقبال الضيوف ولم تكن هناك فنادق أو خانات ينزل فيها المسافرون بين مدينة وأخرى وإنما كانت هناك علاقات صهارة أو صداقة أو عمل تربط بين الناس فكان المسافر من مكة إلى جدة . أو من جدة إلى مكة ينزل في بيت قريب أو صديق وكانت أغلب المنازل بها أماكن مخصصة للضيافة وكانت ضيافة الرجال في الدور الأرضى من المنزل الذى كان يحتوى على دواوين ومقاعد بما يلزم لها من خدمات ، أما النساء فكانت استضافتهن في الأدوار العليا مع نساء العائلة فإذا حضر الرجل بأهله دعى ليلا إلى الصعود إلى مجلس في هذه الأدوار يخصص لميئته مع أهل بيته لا يختلط بنساء العائلة أو رجالها فإذا كان الصباح ترك هذا المجلس إلى الدور الأرضى حيث يجتمع الرجال جميعا لتناول الإفطار ثم طعام الغداء وتبقى هذه البيوت مفتوحة طيلة النهار وصدرا من الليل يقوم على خدمتها المكلفون بذلك من الرجال . لهذا فإنه حينما وقعت الحرب الهاشمية السعودية وهاجر الكثيرون من أهل مكة إلى مدينة جدة بعائلاتهم نزل كل هؤلاء المهاجرين تقريبا في بيوت أهل جدة فالقريب نزل عند أقربائه أو أصهاره والصديق نزل في بيت صديقه ، والذى لا قريب له أو صديقا نزل كذلك في بيوت عرف أصحابها بالكرم والنخوة ، ولقد كان لكبير جدة في ذلك الوقت الشيخ محمد الطويل رحمه الله دور عظيم في إسكان الوافدين من أهل مكة وإنزالهم في جدة بحكم منصبه العظيم وزعامته في مدينة جدة في ذلك الزمان .

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى الحديث عن السيد صالح شطا رحمه الله

فنقول كان من المؤكد بعدما ذكرنا عن معارضته الشديدة لحكم الشريف الملك الحسين بن علي ثم لابنه الملك علي مع ما للرجل من صفات شخصية ومركز عائلي مرموق أن يكون من أبرز رجال العهد السعودي في الحجاز بعد ان أصبح السلطان عبدالعزيز ملكا على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ - فكان عضوا بمجلس الشورى عن مكة المكرمة فى بداية تأسيس المجلس عام ١٣٤٥ هـ ثم عهد إليه بإدارة المعارف العامة ، ثم عين مساعدا للنائب العام لجلالة الملك فى الحجاز - وكان النائب العام فى ذلك العهد هو صاحب السمو الملكى الأمير فيصل - جلالة الملك فيصل فيما بعد - وهو منصب من أرفع المناصب الإدارية وقد استقر الأمر بالسيد صالح شطا بعد أن أصبح النائب الثانى لرئيس مجلس الشورى (النائب الأول للمجلس هو صاحب السمو الملكى الأمير فيصل) وكانت رئاسته للمجلس شرفية إذ أن سموه لم يكن يحضر إلا حفلات افتتاح المجلس الرسمية فى كل عام وكانت الرئاسة العملية هى للنائب الثانى وهو المنصب الذى شغله المرحوم السيد صالح شطا سنوات طويلة وأداره بمنتهى الكفاءة والحزم .

ولعله من المناسب أن نذكر هنا ان مجلس الشورى كان له تأثير كبير فى شؤون الدولة وخاصة فى النواحي القانونية والتنظيمية فى الوقت الذى لم تكن الوزارات فيه قد تأسست ولم يكن هناك كذلك بمجلس للوزراء فكانت جميع الأنظمة التى تفكر فيها الدولة تحال الى المجلس لصياغتها أو دراستها وإقرارها ، وأذكر أننى ذهبت إلى مجلس الشورى اكثر من مرة لمناقشة الأنظمة الاقتصادية التى وضعت لبعض الشركات العربية فى ذلك الوقت كشركة التوفير والاقتصاد وغيرها منتدبا من مجلس ادارة هذه الشركات وكانت مواد هذه الأنظمة تناقش بدقة كما كان يحال إلى المجلس الكثير من القضايا الإدارية وغيرها لدراستها وإبداء الرأى فيها ، وكان لرأى المجلس وزن كبير فيما يعرض عليه وخاصة فى

عهد جلالته المغفور له الملك عبدالعزيز ولم يكن السيد صالح رحمه الله رئيسا عاديا ولكنه كان شخصية مؤثرة فالرجل طالب علم منذ نشأته وهو بحكم مركزه الاجتماعى من دعاة الإصلاح والتنظيم ، فلم يكن يكتفى بإدارة جلسات المجلس وإنما كان يشارك فى المناقشات ويؤثر فيها بشخصيته القوية الحازمة فكان بعمله هذا يضيف على مناقشات المجلس حيوية دافقة تجعلها ذات قوة وتأثير (ولعل أستاذنا الكبير الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوى النائب الثانى لرئاسة المجلس حاليا يتحدثنا عن المجلس وتاريخه بحكم خبرته العملية الطويلة وخاصة عن ذكرياته فيه بكل معجب وطريف مد الله فى حياته وأسبغ عليه أثواب الصحة والعافية) •

إلغاء الكوشان

حينما سمح الملك عبدالعزيز بدخول السيارات إلى الحجاز لأول مرة فرضت الدولة رسما مقداره أربعة وثلاثون قرشا ذهبيا « مائساوى ثلث الجنيه » للسفر الى مكة المكرمة ، ورسما آخر لعله يكون جنيهين للسفر إلى المدينة المنورة - وكنت ذكرت قبلا أن واردات الدولة قبل ظهور الزيت كانت تتألف من الجمارك ومن هذا الرسم الذى كان يسمى الكوشان والذى كان مفروضا على الأهالى كما كان مفروضا على الحجاج - ولعل كلمة الكوشان من أصل تركى تؤدي هذا المعنى - نقول إن هذا الرسم أو هذه الضريبة فرضت مع السماح بدخول السيارات الى المملكة واستعمالها فقد كانت ممنوعة فى العهد الهاشمى كما أسلفنا إذ كانت سياسة الشريف الحسين بن على تلخص فى أن إدخال السيارات إلى البلاد تستنزف ثرواتها فهو يعتبر أن الجمل هو الوسيلة المثلى للنقل من الناحية الاقتصادية لأن البادية وهى تكون سواد الشعب إغما تعيش على الجمل فى حين أن السيارات تحتاج فى وقودها وصيانتها وإدارتها إلى الخارج وهو أمر يستنزف ثروات البلاد بينما أن

الجمل يحفظ ثروة الأمة داخل حدودها ، ولهذا فلم يكن في العهد الهاشمي أى نوع من السيارات يسمح به باستثناء سيارة الملك نفسه ، قالوا وكان في مكة المكرمة ثرى كبير اسمه السيت جان كندوانى وهو من أصل هندى وكان يرغب فى استيراد سيارة له فاستأذن الشريف الحسين فى ذلك فلم يجب عليه بشىء فظن أن سكوت الشريف معناه الموافقة فاستورد السيارة وحينما وصلت السيارة إلى مكة وأراد استعمالها تعرض له الصبية والسفهاء فقذفوها بالحجارة وأتلفوا بعض أجزائها ولما لم يجد من يعترض على هذا الأذى أدرك أن الشريف لم يوافق على استيراد السيارات ولن يوافق عليها وهكذا كان ونعود الآن إلى موضوع الكوشان فنذكر أن هذه الضريبة كانت مفروضة على السفر إلى كل من مكة والمدينة المنورة فلما تم توحيد المملكة كان بقاء هذه الضريبة رغم أهميتها للدولة لاختصاصها بالمدينتين المقدستين غير مستساغ ، قالوا وكان أول من طالب بإلغائها فى المدينة المنورة هو المرحوم الشيخ سعود ديشية نائب المدينة المنورة فى مجلس الشورى حيث خاطب الملك عبدالعزيز بما معناه إنك ياطويل العمر قد وحدث هذه المملكة وأخت بين الرعية فلماذا يدفع أهل المدينة ضريبة كلما أرادوا ان يعودوا إلى مدينتهم حينما يخرجون منها فرفع جلالته الضريبة عن أهل المدينة المنورة وفى الحال تقدم السيد صالح شطا الى جلالته قائلاً إن نائب المدينة طلب إعفاء أهلها من الضريبة وأنا أتقدم باسم أهالى مكة المكرمة لطلب إعفائهم منها وقد استجاب جلاله الملك عبدالعزيز لطلبه فألغيت هذه الضريبة أو الغى رسم الكوشان عن الأهالى وبقي مفروضاً على الحجاج الى أن تم الغاؤه فى عام ١٣٧٠ هـ ، وهكذا أثبت السيد صالح شطا رحمه الله أنه كان رجل مكة المكرمة ونائبها بحق فلقد كان الرجل رغم مناصبه العظيمة يعيش مع الناس يتحسس آلامهم ويتفهم مشاكلهم وكانت داره مفتوحة لاستقبال الناس طيلة النهار وصدر من الليل يفد إليها الوافدون لا

يصددهم عن لقائه حجاب وإنما يجدون صدرا رحبا ووجها كريما باشا وبساطة
محبة .

لعمرك ليس الجود أن تطعم القرى
ولكنما وجه الكريم جواد

الطائف وعاصمة الدولة في الصيف

وما يدخل في هذا الباب عن تحسسات السيد صالح شطا رحمه الله نذكر ان
الدولة كانت تنتقل إلى الطائف صيف كل عام بكامل أجهزتها طيلة عهد الملك
عبدالعزیز رحمه الله وأوائل عهد الملك سعود وكانت عاصمة الدولة الرسمية في
مكة المكرمة فإذا حل الصيف انتقلت الدولة بكامل إدارتها إلى الطائف وكان
أهل مكة المكرمة كما هو معلوم ترتبط مصالح الكثيرين منهم بأعمال الحج ،
وشؤون الحجاج ، فإذا ما اقترب موسم الحج رغبوا في العودة إلى مكة المكرمة
لمباشرة أعمال الحجاج وكان الكثيرون منهم إلى جانب ارتباطهم بأعمال الحج
والحجاج موظفين في الدولة ولا يستطيعون العودة إلى مكة إلا إذا اذنت الدولة
بذلك ، وكان الجميع مرتبطين بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل النائب العام
لجلالة الملك في الحجاز جلالة الملك فيصل فيما بعد وكان الإذن بالعودة يتأخر في
كثير من الأوقات عن الوقت الذي يرغب فيه الموظفون وخاصة إذا تأخر الصيف
واقترب الموسم وبدأت طلائع الحجاج في القدوم فمنهم من يرغب في استئجار
البيوت اللازمة لحججه ومنهم من يرغب في تأجير منزله على الحجاج ، والكثيرون
منهم يرتبطون بعمل الحج بشكل من الأشكال وكان الشخص الوحيد الذي
يتصدى لهذا الأمر هو المرحوم السيد صالح شطا فيتحدث إلى سمو النائب العام

في الأمر ويستصدر الإذن بعودة الدوائر الرسمية الى مكة المكرمة بينما يبقى هو شخصيا بالطائف الى حين عودة سمو الأمير نفسه إليها .

إِمَامَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

قالوا وكان السيد صالح شطا يؤدي صلاة المغرب يوما في المسجد الحرام فتأخر الإمام المرحوم الشيخ عبدالظاهر أبوالمسمع، وكان يسكن بالصفاء بجوار المسجد قبل إدخال هذه البيوت في التوسعة الأولى في المسجد الحرام ، ورأى السيد صالح أن تأخر الإمام قد زاد عن الحد الطبيعي فلم يكن منه إلا أن تقدم الى المحراب وأشار إلى المؤذن بإقامة الصلاة وصلى بالناس وكان الشيخ عبدالظاهر قد حضر بعد إقامة الصلاة فتقدم من السيد صالح شاكرا وداعيا له بالخير .

هذه الحوادث البسيطة وأمثالها تدل على مدى شعور الرجل بالمسؤولية إزاء الناس سواء في أمور دينهم أو دنياهم وهي تحسسات قد يشعر بها الكثيرون ولكنهم لا يملكون الشجاعة للتعبير عنها بالأسلوب العملي الذي يحل المشكلات ويرفع الضيق عن الصدور .

تَشْجِيعُ الْكَفَاءَاتِ

ولقد لمست كما لمس غيري في السيد صالح رحمه الله تشجيعه للكفاءات وخاصة للشبان الذين لم تعرف أسماؤهم أو تظهر مواهبهم وأذكر لذلك حادثة او حادثتين وقعت معي شخصيا وأبدأ بالحادثة الثانية فلقد فوجئت يوما في أوائل عهدي بالعمل التجاري أن دعيت لحضور إجتماع رسمي للبحث في أمور العملة في الطائف وكان هذا في منتصف الستينات وذهبت إلى الطائف لحضور الاجتماع

وكننت فى عجب من دعوتى اليه بينما أنسى تاجر حديث وهناك من هم أكبر سنا وأعظم خبرة وأكثر تجربة من أصحاب الاسماء الكبيرة والتقيت فى الطائف بالصدق الأستاذ محمد عمر توفيق - معالى وزير المواصلات فيما بعد - وكان يعمل بديوان سمو النائب العام ولم أكنتمه عجبى من اختيارى لحضور الاجتماع فقال لى أن السيد صالح شطا كان يتابع ما تكتبه من مقالات اقتصادية فى صوت الحجاز وهو الذى رشحك لى سمو النائب العام لحضور هذا الاجتماع أما الحادثة الأولى فاذاكر أنسى كتبت مرة بحثا عن النقد فى جريدة صوت الحجاز ونشر فى حلقتين او أكثر أوضحت فيه رأى فىا يجب أن يكون عليه النقد والصفات التى يجب أن يتحلى بها الناقد من علم تام بما ينقد ، ومن حيدة لا تؤثر فيها العواطف والأهواء وقلت فىا قلته إن الناقد هو قاض عادل يزن الأمور بميزان دقيق فىؤدى أمانة النقد كاملة فىذكر ما له كما يذكر ما عليه وكننت يومها أصيف بالطائف ولم اشعر إلا والمرحوم السيد عبدالحميد الخطيب عضو مجلس الشورى والسفير السعودى فى باكستان فىا بعد ، يزورنى ويذكر لى ثناء السيد صالح رحمه الله وإعجابه بما قرأ وحديثه عن ذلك فى المجلس وحينما أعود الآن بذكرياتى عن هذا الامر بعد ما مر بى من تجارب الحياة يتمثل لى السيد صالح شطا وأمثاله من عظماء الرجال رجالا كبارا ، فلقد كان الرجل فى ذروة مجده رئيسا لمجلس الشورى وزعما من زعماء مكة المكرمة بل من أكبر زعمائها وكننت أنا شابا فى بداية الطريق أعمل سكرتيرا لمعالى الشيخ محمد سرور وكان الفارق بينى وبينه كبيرا فى كل شىء ولكن هذه الفوارق على سعتها لم تمنع الرجل من التحدث بما استحسنته حتى وصل به الأمر إلى الأخذ بيدى إلى الظهور بينما أننى رأيت بعد ذلك من الناس الأعاجيب فى غمط حقوق الغير وطمس اثارهم وإظهار الحسنات بمظهر السيئات وهذه هى الصفة الغالبة على الناس بكل أسف لم ينبج منها إلا كبار النفوس والعقول .

وهذا الذى فعله السيد صالح رحمه الله معى من المؤكد أنه فعل أمثاله مع الكثيرين غيرى ولعل من يقرأ هذه الحلقات يستطيع أن يضيف إلى ما اكتبه وما كتبه عن هؤلاء الأعلام الكثير من الأخبار والحوادث التى تجلوشخصياتهم وتبرز مآثرهم فما أحق هذا التاريخ أن يدون وأن يعرفه أبنائنا وأحفادنا ليكون لهم قدوة تحتذى ومنارا به يهتدى .

محاضرات جمعية الإسعاف

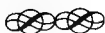
كانت جمعية الإسعاف بمكة المكرمة تنظم محاضرات أسبوعية لتثقيف الجمهور وكانت تستدعى كبار العلماء والأدباء لإلقاء محاضراتهم فيما بعد صلاة العشاء من احدى لىالى الأسبوع وكان الإعلان عن هذه المحاضرات يتم بالنشر عن ذلك فى جريدة صوت الحجاز وفى لوحة ترفع أمام مبنى الجمعية الذى كان أمام الحميدية فى أجياد - وقد هدم هذا المبنى فيما بعد مع المباني الكثيرة وأدخل ضمن التوسعة الأولى للمسجد الحرام وكان الناس يقبلون على سماع هذه المحاضرات بأعداد كبيرة مما يجعل الصالة المخصصة لذلك تضيق بالحاضرين وكان من أبرز المحاضرين فى جمعية الإسعاف السيد محمد شطا - مد الله فى حياته - وكانت محاضراته عن قصص القرآن وكان مبدعا فى القائه وتعبيره كما أن مبنى الجمعية شهد محاضرات دينيه كثيرة من فضيلة الشيخ بن حميد وسعادة الشيخ احمد ابراهيم الغزاوى وكان موضوع محاضراته ما نحن احوج اليه ، واذكر ان أطول محاضرة القيت فى الجمعية هى محاضرة المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة لأنها كانت عبارة عن مؤلف صغير استغرق عدة ساعات نقول وكان السيد صالح شطا من ابرز المحاضرين فى جمعية الاسعاف وكان الناس يحرسون ألا تفوتهم محاضراته لما عرف عنه من صراحة واخلاص وقد تم جمع القسم الاول من هذه المحاضرات وطبعت فى كتاب صدر منه جزء واحد باسم محاضرات الإسعاف .

وفاة السيد صالح شطا

وكان موضوع محاضراته الأخيرة « الإسلام والدعوة القومية » وفي الليلة التي تحدد فيها إلقاء المحاضرة قبيل المغرب رن جرس التلفون في مكتب الشيخ محمد سرور ورفع الساعة ثم وجم وجوما شديدا ثم قال الدوام لله فسألته ما الأمر قال : لقد ذهب السيد صالح إلى رحمة الله وساد المجلس وجوم وأسى فلم تكن الفجیعة في فرد من الناس وإنما كانت في رجل عظيم كبير .

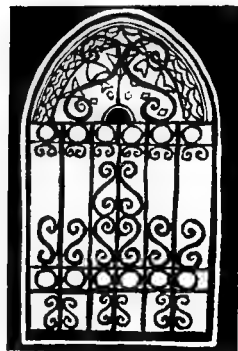
ولم يكن خبر الوفاة قد أعلن فحضر الناس إلى جمعية الإسعاف للاستماع إلى السيد صالح شطا وهو يحاضر عن الدعوة القومية في نظر الإسلام فأعلنت الجمعية للحاضرين وفاة السيد صالح شطا ثم أقيمت المحاضرة نيابة عنه وكان رأى السيد صالح رحمه الله كما هو متوقع أن الإسلام لا يعترف بالقومية فالمسلمون إخوة كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أحمر الا بالتقوى وهكذا كان مسك الختام للسيد صالح شطا رحمه الله دعوة بالقلم واللسان إلى الخير والإصلاح .

رحم الله السيد صالح شطا رحمة الأبرار فلقد كان من عظماء الرجال .



أعلام الحجاز

في القرن الرابع عشر الهجري





الشيخ عباس يوسف قطان

الشيخ عباس يوسف قطان

متوسط القامة ، ممتلئ الجسم قمحى اللون واسع العينين يضع على عينيه نظارة طبية له لحية خفيفة كان يرتدى العباءة والعقال المقصب فى العهد الهاشمى ثم أصبح يرتدى العباءة والعقال العادى فى العهد السعودى .

ولد الشيخ عباس قطان بمكة المكرمة سنة ١٣١٣ هـ وتلقى تعليمه الابتدائى فى الكتاب ، والكتاب عبارة عن مدرسة صغيرة يتلقى فيها الأولاد مبادئ القراءة والكتابة على يد أحد المشايخ وبعد فترة قصيرة انتقل الى المدرسة الصولتية وهى من أوائل المدارس الخيرية الخاصة التى أنشئت بمكة المكرمة فى أوائل القرن الهجرى الرابع عشر من قبل بعض أثرياء الهنود المسلمين . وكانوا يتولون الإنفاق عليها وهى لا تزال قائمة حتى الآن وهى تقوم على تعليم العلوم الدينية وكان لها دور بارز فى هذا المجال وخاصة قبل انتشار المدارس الحكومية فى العهد السعودى ، وكان الشيخ يوسف قطان وهو من أثرياء مكة وأعيانها المعروفين قد عنى عناية خاصة بتعليم ابنه البكر الشيخ عباس قطان فكان يحضر له بعض المشايخ فى الدار لتجويد القرآن الكريم ولتلقى بعض دروس الفقه واللغة كما كان يرسله لحضور حلقات الدرس فى المسجد الحرام بين العشاءين فكان يحضر حلقات الدروس التى يعقدها علماء مكة المكرمة فى ذلك الزمان أصحاب الفضيلة الشيخ

عباس مالكي والشيخ سعيد يمانى والسيد المرزوقى والشيخ عمر باجنيد والشيخ عمر حمدان وجميعهم من أعلام العلماء فى مكة المكرمة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر رحمهم الله وهكذا تزود الشيخ عباس قطان من العلم بقدر ما كان يسمح به الزمن الذى نشأ فيه .

وقد نشأ الشيخ عباس قطان فى ظل والده الشيخ يوسف قطان الذى كان من اكبر اعيان مكة المكرمة وأثريائها وكان وزيرا للنافعة - وزارة النافعة هى وزارة الأشغال العامة - فى عهد الملك الشريف الحسين بن على كما كان على صلة تامة بأمرء مكة قبل ذلك ولقد قيل لى أنه هو الذى أشرف على بناء قصر شبرا فى الطائف للشريف على باشا أمير مكة الأسبق فى العهد العثمانى ، كما أنه كان من المقربين لجلالة المرحوم الملك عبدالعزيز بعد فتح الحجاز وقد زاره جلالته فى داره حينما مرض فهو اذا من أولئك الرجال الذين تظهر شخصياتهم فى مختلف العهود ، نقول ان الشيخ عباس قطان نشأ فى ظل والده الذى أسلفنا ذكره وكان هذا الوالد عظيم الثراء فلم يهيبه إبنه للوظائف الحكومية ولعله كان منشغلا بأعمال والده ولكنه على أى حال أصبح عضوا فى المجلس البلدى بمكة المكرمة فى أوائل العهد السعودى وفى عام ١٣٤٧ هـ عينه جلالة الملك عبدالعزيز أمينا للعاصمة - وكانت مكة المكرمة هى عاصمة الدولة منذ أوائل العهد السعودى واستمرت كذلك طيلة عهد الملك عبدالعزيز وفى عهد الملك سعود تم نقل العاصمة الى الرياض وأصبحت مكة المكرمة هى العاصمة المقدسة فيقال الآن عن رئيس بلدية مكة المكرمة أمين العاصمة المقدسة للتفريق بينها وبين العاصمة الرياض وقد استمر الشيخ عباس قطان أمينا للعاصمة بمكة المكرمة من عام ١٣٤٧ هـ إلى نهاية عام ١٣٦٤ هـ وبعدها عين عضوا فى مجلس الشورى إلا أنه طلب من جلالة الملك عبدالعزيز إعفائه من هذا العمل حيث كان راغبا فى التفرغ للأعمال الخيرية التى كان ينوى القيام بها .

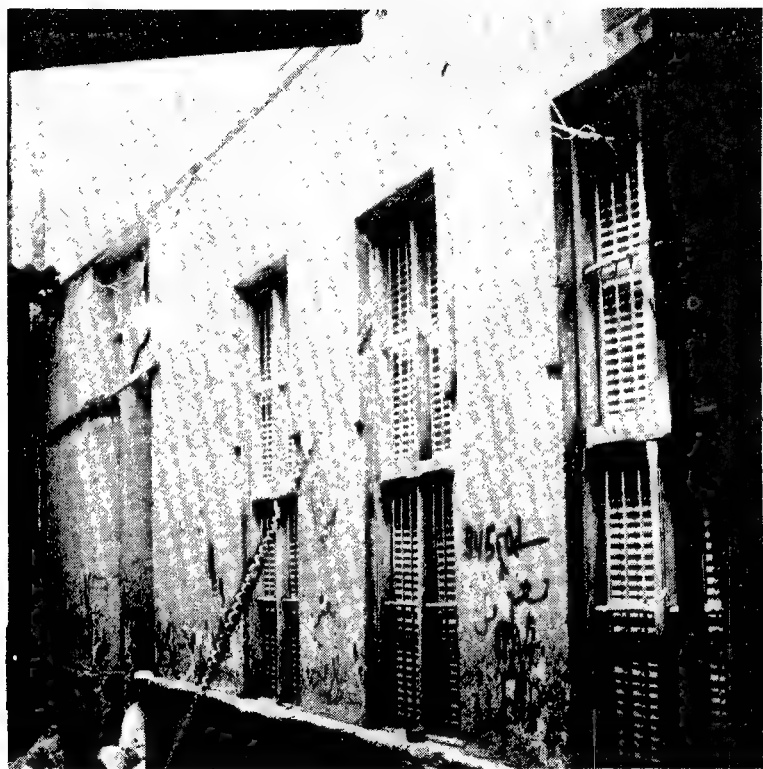
ولقد كان الشيخ عباس قطان موضع ثقة جلالة الملك عبدالعزيز فكان يكلفه بمهام الأمور في عهد رئاسته لأمانة العاصمة فحينما انتهت إمارة الأمير عبدالعزيز ابن إبراهيم على المدينة المنورة كلف جلالتة الشيخ عباس قطان بالسفر إلى المدينة المنورة وتصريف شؤونها إلى حين تولى الأمير عبدالله السديري إمارة المدينة المنورة ، كما كان يعهد إليه بالعمل في بعض الأمور التي تطرأ والتي يرغب جلالتة اتخاذ إجراء معين فيها ، وكانت دار الشيخ عباس قطان في مكة المكرمة وفي الطائف أيام الصيف مفتوحة للناس تغص بروادها من أهل العلم والفضل ومن الضيوف الذين كانت تنصب لهم الموائد صباح مساء وكانت هذه الدار تستقبل الضيوف من كبار الحجاج في موسم الحج ، من كل عام وحينما قدم الدكتور محمد حسين هيكل باشا الكاتب المصرى المعروف ورئيس مجلس الشيوخ المصرى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج نزل بدار الشيخ عباس قطان بمكة المكرمة بالشامية وفي هذه الرحلة رغب التعرف على آثار مكة ومعالمها فطلب من الشيخ عباس قطان أن يختار له مرافقا ملما بهذه الآثار فاختار له المرحوم الشيخ عبدالحميد حديدى العضو بأمانة العاصمة ومن أبرز رجالات مكة العارفين بتاريخها وآثارها وقد صحب الشيخ عبدالحميد رحمه الله الدكتور محمد حسين هيكل إلى زيارة آثار مكة المكرمة ومن أبرزها غار حراء وقد كتب الدكتور هيكل عن ذلك بالتفصيل في كتابه المشهور في منزل الوحي الذى ألفه بعد كتابه « حياة محمد » ﷺ وما أذكره عن رحلة الدكتور هيكل هذه إلى مكة المكرمة أنه كان أحد الخطباء في الحفل الذى كان يقيمه شباب مكة وأدباؤها في كل عام في منى في أيام التشريق ولم يكن قد أعد نفسه للخطابة ولكنه استجاب للطلب وألقى خطابا جيدا في ذلك الحفل نشرته جريدة صوت الحجاز فيما بعد وأشرف على تصحيحه الشاعر والكاتب الكبير الأستاذ محمد حسن ققى بطلب من الدكتور هيكل نفسه كما علمت منه في ذلك الزمان .

مَوْلِدُ النَّبِيِّ ﷺ

ولد النبي صلى الله عليه وسلم بمحلة شعب على المعروفة بمكة المكرمة والتي تسمى في الوقت الحاضر سوق الليل وكان الشيخ عباس قطان يتمنى أن يقيم في هذا المكان مكتبة عامة واتفق مع اصهاره آل الكردى أن يشتري منهم مكتبة المرحوم الشيخ ماجد كردى الشهيرة بالمكتبة الماجدية وهى من أثمن المكتبات الخاصة وينقل محتوياتها إلى هذه الدار صيانة للموضع الذى ولد فيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أن يبقى معرضا للاهبال وتكريما له باقامة عمل نافع للناس فيه ، وكانت العقبات التى واجهها الشيخ عباس قطان لتحقيق هذه الأمنية الكبيرة كثيرة ولكنه استمر فى محاولاته تلك دون كلل أو ملل فاستطاع بعد سنوات طويلة من الصبر وتصيد الفرص المناسبة أن يحظى بموافقة جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز للسماح له باقامة المبنى الذى يريد وما أن حصل على الإذن من جلالاته بإقامة المبنى حتى سارع باتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك عام ١٣٧٠ هـ وكان يشرف على البناء بنفسه فى كل يوم راغبا فى سرعة إنجازه وتحقيق الأمنية التى كان ينشدها برؤية المكتبة العامة مشيدة فى موضع مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفى يوم من أيام شهر رجب ١٣٧٠ هـ ذهب كعادته لرؤية العمارة مصطحبا بعض أصدقائه ولكنه شعر بألم مفاجئ وهو واقف فى الموقع فقد فاجأته نوبة قلبية حادة فأمسك به الحاضرون من أبنائه واصدقائه واستدعى له أحد الأطباء ثم نقل إلى بيته وفى اليوم التالى فارق الحياة فكانت هذه العمارة التى تمنى أن ينشئها هى الخاتمة السعيدة لحياته ولقد قام أبنائه من بعده بإكمال العمل الطيب الذى بدأه والدهم العظيم كما نقلوا إليها المكتبة الماجدية وسلمت إلى وزارة الحج والأوقاف وهى مفتوحة للجميع .



موضع مولد النبی ﷺ



موقع بيت السيدة خديجه رضى الله عنها

دار السيِّدة خديجة

حينما تزوج النبي ﷺ أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد كان يسكن في منزلها في زقاق الحجر المعروف بزقاق الصَّوْغ وفي هذا المنزل نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وفيه ولدت السيدة خديجة رضوان الله عليها أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من ذكور وإناث وبعد وفاة السيد خديجة رضوان الله عليها استمر النبي ﷺ ساكنا هذه الدار الى حين هجرته إلى المدينة المنورة فأخذ الدار عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه وباعها إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا^(١) ، ولقد عدت على هذه الدار عوادى الزمن فأصبحت خرابا وكان الشيخ عباس قطان قبل وفاته قد استأذن من جلالة الملك عبدالعزيز في إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن في هذا المكان الذي نزل فيه القرآن والذي كان مسكنا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه لسنوات طويلة وكما حصل على الإذن ببناء موضع ولادته صلى الله عليه وسلم حصل على الإذن بتشيد المدرسة المطلوبة في دار السيدة خديجة والتي أصبحت تسمى أخيرا (مولد السيدة فاطمة) نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد باشر الشيخ عباس قطان عمارة هذا المكان عام ١٣٦٨ هـ مبتدئا به قبل عمارة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وحينما توفى أكمل أبناؤه من بعده إتمام العمارة المذكورة وسلمت إلى وزارة المعارف لافتتاحها للغرض الذي بنيت من أجله وقد تم افتتاح المدرسة لهذه الغاية وهي مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ولا تزال باقية حتى اليوم . إن هذا العمل العظيم الذي قام به المرحوم الشيخ عباس قطان هو من الأعمال الجليلة دون شك فعلاوة على ما بذله من المال

(١) ملخصا عن كتب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمؤلفه الشيخ محمد طاهر الكردي .

في تشييد المكتبة والمدرسة وافتتاحها للإفادة منها فإنه صان بذلك المكان الذي ولد فيه النبي ﷺ كما صان المكان الذي نزل فيه القرآن على قلبه صلوات الله وسلامه عليه ، ولقد كانت محاولة الحصول على الاذن ببناء هذين المكانين في حد ذاتها تتسم بالإخلاص والشجاعة لأن بعض الناس كانوا يتخذون من بعض الأماكن الكريمة مقرا للشعوذة والضحك على بسطاء العقول وخاصة من الحجاج والجهلة ولقد أدركت الناس في جدة في العهد الهاشمي وهم يتخذون من مقبرة حواء مكانا للشعوذة ويدخل إليها الحجاج للتبرك ويستدرون منهم الأموال بهذه الوسيلة ولست أشك أن جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله كان يعرف أولا إخلاص الشيخ عباس قطان وصفاء عقيدته ولهذا سمح له باقامة المدرسة والمكتبة في المكانين المشار اليهما ولم يكن من السهل على غير الشيخ عباس قطان في ذلك الزمن الوصول إلى ما وصل اليه وقد أعانه الله على ذلك فكانت له هذه الحسنة الجارية في بلد الله الأمين تقبل الله منه وجزاه أفضل الجزاء .

القرى لقاصد أم القرى

وما يذكر للشيخ عباس قطان رحمه الله انه قام على طبع القرى لقاصد أم القرى لمؤلفه محب الدين الطبري وهو كتاب جليل في تاريخ مكة المكرمة فكلف بعض النساخين بنسخ أصل الكتاب المذكور وطبع منه ألفى نسخة على نفقته الخاصة قام بإهدائها إلى العلماء والأدباء وإلى أصدقائه من محبي المعرفة والاطلاع وهي مأثرة حسنة تضاف إلى مآثره الكثيرة .

إصلاح ذات البين

حينما كنت أقيم بمكة المكرمة في الفترة ما بين ١٣٥٥ - ١٣٦٤ هجرية كان الشيخ عباس قطان مشهورا بإصلاح ذات البين وكان يتحرى الإصلاح بين

العائلات التى يطول بينها الجفاء أو يستقر بينها العداء أو الأفراد الذين تشد بينهم البغضاء فتقطع أو اصر المودة ويحل الكره محل الحب ولقد كان قضاء مكة يحيلون إليه من القضايا التى تعرض عليهم ما يرون أن من المصلحة تدخله فيها حفظا لصلة الرحم وحسن الجوار وكان الشيخ عباس قطان رحمه الله يبذل جهده ووقته للإصلاح ما وسعه ذلك مستعينا بمن يتوسم فيهم الخير من الرجال لتحقيق هذه الغاية بأدلا فى ذلك جاهه وماله وربما اقتضى الأمر مراجعة المسؤولين فى دوائر الحكومة لتذليل العقبات التى تعترض سبيله حتى إذا أثمر سعيه جمع المتخاصمين فى داره المضيافة على مائدة العشاء أو الغداء مع من إشتراك معه فى الإصلاح ليذهبوا فى اليوم التالى إلى المحكمة فيطلبون من القضاة إلغاء القضايا التى كانوا يقيمونها معلنين تصالحهم وتراضيتهم ولاشك أن هذا العمل من أجل الأعمال التى لا يقوم بها إلا أولئك الرجال الكبار الذين اتسعت صدورهم لمشاكل الناس فأبوا الصدع وأقاموا المودة مقام العداوة وسعدوا بما رأوا من ثمار سعيهم الطيب بين الناس .

وفاته

لقد ذكرت أن الشيخ عباس قطان فاجأه المرض وهو يقف على العمارة التى أنشأها فى مولد النبى ﷺ وقد توفى فى اليوم التالى بداره بالشامية صباح الاثنين ١٦ رجب ١٣٧٠ هـ عن عمر يناهز الثانية والخمسين عاما بعد حياة قضاها فى العمل الطيب تغمده الله برحماته الواسعة وأحسن جزاءه فى دار الخلود .





عبدالله محمد باقر خان

عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ بِأَحْمَدَيْنِ

قصير القامة ممتلىء الجسم أسمر اللون واسع الجبهة نظراته تشع ذكاء وفطنة يضع على عينيه نظارة ذهبية ويرتدى العباءة العربية بينما يعمم رأسه بعمامة ملفوفة على الطريقة الحجازية - وهذه العائم يستعمل فيها الشال البغدادى وهو من صناعة حلب - ولد بمكة المكرمة فى عام ١٣٢٩ هجرية وتعلم بمدارسها ثم تعلم اللغة الانكليزية على يد بعض أساتذتها من الهنود بمكة المكرمة كذلك ، وكان المتكلمون بهذه اللغة فى مكة بالذات من أبناء البلاد ندرة قليلة تعد على الأصابع .

وتوفى والده وهو شاب وكان يعمل فى متجر أبيه بالجودرية واراد الشاب عبدالله باحمدين أن يجمع شمل الأسرة وأن يبقى المتجر الذى أسسه والدهم مفتوحا يعمل فيه الجميع ، ولكن إخوته لم يوافقوا على هذا الرأى واقتسموا الثروة التى تركها والدهم وانفرد كل منهم بعمله الخاص ، ورأى عبدالله باحمدين نفسه وحيدا ولم يكن نصيبه القليل من تركة أبيه كافيا لتحقيق طموحاته الكبيرة حدثنى عن هذه الفترة من حياته ، قال كنت قد اشتريت سيارة لاستعمالى الشخصى وكانت السيارة تحتاج الى سائق وإلى مصاريف للوقود فتركتها مخزونة بضع شهور لأننى لم أكن قادرا على توفير ما يلزم لها من منصرفات .

وانكب الشاب عبدالله باحمدين على العمل في المتجر الذى أسسه لنفسه وأخذ يواصل عمل أبيه في استيراد الأقمشة وما إليها ولكن طموحه كان أعظم من هذا العمل الروتينى المحدود فما أكثر حوانيت الأقمشة من حوله وما أكثر مستورديها ، إنه يفكر فى أعمال كثيرة تحتاج إليها مكة المكرمة ولم يقدم عليها أحد بعد وهكذا فكر عبدالله باحمدين رحمه الله فى صناعة الثلج .

مَصْنَعُ الثَّلَجِ

كان هناك مصنع وحيد للثلج فى مكة المكرمة أسسه رجل سورى إسمه الحاج نسيم واشترك معه فى تأسيسه من الناحية المالية بعض أهالى مكة وكان عبدالله باحمدين واحدا من هؤلاء المساهمين ولست أدرى أن كانت هذه المساهمة من عهد والده وأرجح انها كانت كذلك المهم فى الأمر ان عبدالله باحمدين وجد نفسه فى المجال الذى يرغب والذى يعلم أنه الأصلح لمواهبه والألزم لبلاده ولم يكن عبدالله باحمدين راضيا عن شركة الثلج بأوضاعها تلك ففكر فى استيراد مصنع خاص للثلج يديره هو ، وكانت مكة مفتقرة إلى أكثر من مصنع فالبلد شديد الحرارة والجو الحار يبقى أكثر من سبعة شهور فى العام ولم تكن هناك الكهرباء ولا التلاجات - فكانت الحاجة إلى الثلج تستمر طيلة العام وتزداد فى موسم الحج وهكذا أقدم عبدالله باحمدين على الدخول فى مضمار العمل الصناعى وهو فى مطلع شبابه فاستورد لنفسه مصنعا كبيرا للثلج واختار له مكانا مناسباً فى منطقة المعلاة بجوار مقبرة المعلاة ، ولقد استطاع التغلب على المشاكل الفنية التى واجهته فى استيراد المصنع ونقله إلى مكة ثم تركيبه وإدارته ولقد علمت أنه كان يشرف على كل صغيرة وكبيرة أثناء تركيب المصنع الذى تم بواسطة فنيين محليين ويشارك فى تذليل الصعاب التى تعترض إتمام هذا العمل حتى أنه قضى ما يقرب

من يوم ليلة في مقر المصنع منهمكا في العمل ناسيا أنه لم يطعم ولم ينم حتى تم إنجاز العمل ورأى الآلات تدور ، وهذا التصميم إن دل على شيء فانما يدل على العزيمة القوية والإرادة العظيمة لتحقيق النجاح مهما كانت المصاعب والعقبات .

الشركة العربية للتوفير والاقتصاد

لم يكتف عبدالله باحمدين بما حققه لنفسه من تأسيس مصنع كبير للثلج يسد حاجة مكة المكرمة في ذلك الوقت أو معظم احتياجاتها من الثلج فلقد كان رجلا واسع الطموح ، عظيم الهمة وكان يرى أن بلاده مفتقرة إلى الكثير الذي يمكن تحقيقه من الأعمال الجديدة وخاصة ما يتعلق بالصناعة ولكن إمكانياته المادية لم تكن لتساعده على تحقيق ما يريد ، وكان عضوا في مجلس إدارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بمكة المكرمة ثم أصبح رئيسا لمجلس إدارة الشركة وأخيرا عهد اليه بإدارة أعمال الشركة المذكورة فوجد المجال أمامه مفتوحا لتحقيق بعض طموحاته في هذه الشركة الفتية فقام بشراء باخرتين صغيرتين للشركة وأخذ يسيرهما بين موانئ البحر الأحمر وخاصة بين موانئ جدة والحديدة ، ولقد شهدت الرجل يتنقل بين مكة وجدة كلما وردت هذه البواخر أو إحداها ليهيئ لرحلتها القادمه مستخدما كل جهده وتفكيره في إنجاح هذا العمل الجريء ، ولقد علمت أن معالي الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية حين ذاك قدر هذا العمل لمدير عام الشركة العربية للتوفير والاقتصاد وأبدى له من صنوف التشجيع ما جعله مطمئنا إلى الاستمرار في العمل فليس سرا أن عملا من هذا النوع معرض للخسارة أكثر مما هو معرض للربح وفي الأوقات المعتادة تضمن الحكومات لشركات البواخر نسبة معنة من الأرباح للإبقاء على الاتصالات البحرية بين

بلادها والبلاد الأخرى حاملة للبضائع والركاب فالموضوع له أهمية اقتصادية عظيمة للدول ولقد افتتح عبدالله باحمدين فرعاً في جدة لمواجهة أعمال البواخر والاشراف عليها من قريب وبقيت هذه البواخر تمخر عباب البحر الأحمر طيلة المدة التي قضاها عبدالله باحمدين على قيد هذه الحياة .

مَصْنَعُ النَسِيجِ

وكان لشركة التوفير والاقتصاد مصنع صغير للنسيج فقام عبدالله باحمدين بادخال التحسينات عليه وهو مصنع يدوى على الطريقة القديمة ولقد رأيت الصناع من الشباب السعودى يعملون على هذه الأنوال اليدوية وينتجون بعض الأقمشة وكان هذا في أيام الحرب العالمية الثانية وأذكر أننى كنت في القاهرة وكان عبدالله باحمدين هناك وكنا جميعاً في مجلس الشيخ محمد سرور الصبان - رحمه الله - بداره بمصر الجديدة وكان يحضر المجلس أحد كبار أصحاب مصانع النسيج من أصدقاء الشيخ محمد سرور فجاء ذكر مصنع الشركة العربية للتوفير والاقتصاد فاقترح معالى الشيخ محمد سرور أن يقوم عبدالله باحمدين وأنا بزيارة مصانع الغزل الذهبية التى أسسها الرجل الحاضر معنا بالمجلس وحدد لنا الرجل في الحال موعداً في اليوم التالى وذهبنا إلى هناك فرأينا الآلات الميكانيكية تنتج الأقمشة المتنوعة في سرعة وإتقان وجمال وخرجنا من المصنع ونحن ممتلئون إعجاباً بما رأينا ، وتحدثنا في الأمر فاتفق الرأى على أن مصر تزرع القطن ولديها مصانع الغزل التى تحول القطن إلى خيوط ومن ثم يمكن لمصانع النسيج أن تستعمل هذه الخيوط في نسج الأقمشة وإنتاجها ، ونحن في بلادنا نحتاج إلى استيراد كل شئ ، استيراد خيوط الغزل من الخارج ثم نسجها إذا أردنا استيراد مصانع للنسيج مثل تلك التى شاهدناها ، وكان السؤال الذى يدور في رؤوسنا

أيها أجدى اقتصاديا هل هو استيراد خيوط الغزل ونسجها في البلاد أم استيراد القماش منسوجا وجاهزا ؟ وهل تستطيع الصناعة المحلية الناشئة مزاحمة السيل المتدفق من الصناعة الخارجية من جميع أنحاء العالم ، هذا هو السؤال الذي كان يدور في أذهاننا بعد مشاهدة هذا المصنع الميكانيكي للنسيج ويبدو أنه كان هاما ولا يزال ليس لصناعة النسيج فحسب ولكن لأى صناعة يراد إدخالها إلى البلاد ولهذا فإن وزارة الصناعة تطالب قبل إصدار ترخيص بأى صناعة جديدة تطالب بدراسة للجدوى الاقتصادية وتقوم الوزارة نفسها بالدراسات للصناعات المختلفة قبل اتخاذ قرار بشأنها وهى الطريقة المثلى لإقامة الصناعات على أسس سليمة قوية حتى لا تتعرض للتعثر والانهيار .

الحافِظَةُ العَرَبِيَّةُ

فى أيام الحرب العالمية الثانية حدث نقص فى أشياء كثيرة كما يحدث فى أيام الحروب وكان بمستودع الشركة العربية للطبع والنشر التى تطبع فيها جريدة صوت الحجاز فى ذلك الزمان كميات من الورق على اختلاف أنواعه . وكانت الشركة تعاني من الخسارة وعلم عبدالله باحمدين بالأمر فقال ليس من المعقول أن نخسر الشركة وفى مستودعاتها الورق المهدوم فى الأسواق والذي يحتاج إليه الناس وطلب الاطلاع على قائمة البضائع الموجودة بالمستودعات وما أن إطلع عليها حتى أبدى استعداده لشرائها وقد دفع فيها ثمنا يبلغ أربعة أضعاف الثمن المقدرها فى ذلك الوقت. وتمت الصفقة وكنت أتوقع أن يقوم بعمل عادى مثل تصنيع الورق إلى دفاتر للكتابة وبيعه فى الأسواق ولكنه فاجأنى كما فاجأ الناس جميعا بشيء لم يكن فى الحسبان ، كانت فى مستودعات الشركة كميات كبيرة من الورق المتين الذى يصلح لغلافات الكتب. وكانت الشركة فيما

مضى تمارس طبع بعض الكتب المدرسية ثم توقفت عن ذلك وبقي هذا الورق بمستودعاتها كميات مهمة لا يستفاد منها ، أقول أن عبدالله باحمدين فاجأني باستخراج هذا الورق وقصه وتقسيمه الى ملفات لحفظ الأوراق مثل الملفات - (الدوسيهات) التي كانت ترد إلينا من الخارج والتي كانت معدومة في الأسواق تماما ، وطبع على هذه الملفات كلمة (الحافظة العربية) ولم يكتف بهذا فأحضر إلى مقر المطبعة بعض السماكرة الذين كانت دكاكينهم مجاورة لها بالشامية - وأطلعهم على الحديد التي تمسك الأوراق التي توضع في الملفات واشترك معهم في ترتيب الصنع وما هي إلا أيام حتى كان السماكرة الوطنيون قد صنعوا هذه الحديد وخرجت الحافظة العربية ملفا كاملا لا أغالى إذا قلت أنه كان يمتاز على الملفات الخارجية بجودة الورق وجمال الطبع . وأذكر أن وزارة المالية اشترت كل ما أنتجه عبدالله باحمدين من هذه الملفات لأن الدوائر الحكومية كانت تفتقر إليها . أن الورق كان موجودا في مخازن الشركة ولكن المسؤولين عنها كانوا يعتبرونه كمية مهمة وقد استطاع عبدالله باحمدين بفكره النير أن يحول هذه الكمية المهمة إلى عمل نافع يسد به حاجة البلاد في ذلك الوقت العصيب ، ومن هنا تظهر إتجاهاته الفكرية التي تدل على ذهن متفتح يبحث دائما عن الجديد والمفيد^(١) .

مَكَائِنُ الْكَهْبَاءِ

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أدخل عبدالله باحمدين تطورا ملموسا على تجارته أو على الأصح حاول إدخال تطور مفيد في التجارة في مكة المكرمة فلقد كان من أوائل الناس الذين قاموا باستيراد المكائن الزراعية ومكائن الانارة -

(١) بعد نشر هذه الحلقة اتصل بنا كثير من اصدقاء المرحوم عبدالله باحمدين منسرين الى مصنع الحلاوة الطحينية الذي اسسه عبدالله باحمدين فوجبت الاشارة الى ذلك . . .

المجموعات الكهربائية - في مكة المكرمة وبذلك يسر على الناس إنارة بيوتهم أو محلاتهم التجارية ، وإنى لأذكر مدينة جدة والإنارة الكهربائية مقتصرة فيها على بيوت السفارات ولم يكن في مدينة جدة كلها مكنة كهربائية إلا في بيت الشيخ محمد نور جوخدار. وكان من أوائل المواطنين الذين أدخلوا الكهرباء إلى بيوتهم وأذكر أن الحاج عبدالله على رضا حينما احتفل بزواج ابنه - معالي الشيخ محمد عبدالله رضا - وزير التجارة السابق - قام الشيخ محمد نور جوخدار بمد النور الكهربائي من منزله إلى منزل الحاج عبدالله على رضا لهذه الغاية كما أن آل قابل كانوا من أوائل الناس الذين أدخلوا الكهرباء لا إلى منزلهم فحسب وإنما قاموا بإنارة شارع قابل المعروف باسمهم حاليا وزودوا كل دكان بمصباح للإضاءة ومروحة كهربائية. وكان هذا العمل في ذلك الوقت يعتبر فتحا جديدا لأنه أتاح الإنارة الكهربائية والتهوية لشارع كامل. وبهذه المناسبة فإن هذا الشارع كان قد قام بتعميره الشريف الملك الحسين بن علي أبان العهد الهاشمي الأول وفي عهد الملك علي بن الحسين اشتراه آل قابل من الحكومة ومن الملك علي شخصيا رحمه الله لأنه كان محتاجا إلى المال والتموين لصرف أغذية ومرتبات الجنود أثناء الحصار الذي كان مضروبا على مدينة جدة خلال الحرب الهاشمية السعودية .

نعود الآن إلى المرحوم عبدالله باحمدين فنقول إنه بعمله هذا في إدخال التطور الحضاري على تجارة مكة المكرمة فقد يسر للراغبين الحصول على المكائن الكهربائية لإنارة بيوتهم ومحلاتهم بما يتبع هذه الإنارة من تهوية وتبريد وأنه لأذكر أن هذه التجارة كانت محصورة في أيدي البيوت التجارية الأجنبية فإذا رغب المرء في شراء مكنة كهربائية ذهب إلى أحد هذه البيوت التجارية وطلب مترجما للدخول على المدير الانجليزي وبعد شرح الطلب يدفع معظم القيمة التي

يحددها هذا المدير وهى عادة كبيرة ومبالغ فيها ثم ينتظر بضعة شهور حتى ترد الماكينة فتسلم له أوراقها لإخراجها من الجمارك ثم يبحث عن مهندس لتركيبها وإذا كان هذا الأمر يتم بهذه الصعوبات فى مدينة جدة التى يكثر فيها الأجانب ويكثر فيها الفنيون والمتكلمون باللغة الانجليزية فإن الأمر بالنسبة لمكة المكرمة أكثر صعوبة دون شك ، ولهذا فإن النظرة إلى هؤلاء الرجال الذين اتجهوا بتجاراتهم إلى توفير الوسائل الحضارية للناس يجب أن تكون نظرة تقدير وإكبار وخاصة فى ذلك الزمن السحيق .

رِحْلَتُهُ إِلَى أَمْرِيكََا

انتهت الحرب العالمية الثانية وقبيل انتهائها قام عبدالله باحمدين رحمه الله برحلته الأولى إلى امريكا وأراد الله أن أقوم برحلة بعده مباشرة إلى هناك وكانت السفارة السعودية فى واشنطن قد قامت مشكورة باختيار مرافق لى فى هذه الرحلة وكان هذا هو نفس الرجل الذى رافق عبدالله باحمدين أثناء زيارته للولايات المتحدة ، وحدثنى الرجل عن انطباعاته عنه بعد مرافقته بضع أسابيع ، قال كان عبدالله باحمدين مهتماً باستيراد قطع الغيار ولكنه لم يكن يتصل بالبائعين وإنما يحاول الوصول إلى الصناع الذين يمونون البائعين بإنتاجهم ولقد سمعت أحد رؤساء الشركات الأمريكان يثنى عليه ويقول له إنك نمط فريد من الرجال الذين يزورون هذه البلاد من الشرق الأوسط أحدثك عن البيع فتحدثنى عن الصنع ، وهذه الحوادث وأمثالها تظهر طريقة تفكير الرجل كما تكشف عن تطلعاته .

مَصْنَعُ بَاحْمَدِين

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية أتيح لعبدالله باحمدين أن يحقق بعض طموحاته فحصل على أرض كبيرة خارج مكة المكرمة وأنشأ عليها مصانع

باحمدين ، هذه الأرض أقامت عليها الدولة فندق مكة انتركوتنتال وهدمت مباني مصانع باحمدين بعد شراء الدولة لها لإقامة هذا المبنى عليها ، والذي كان الغرض منه أن يكون مبنى للمؤتمرات الدولية ثم تحول إلى فندق كما هو عليه الحال الآن . نقول أقام عبدالله باحمدين على هذه الأرض مصانعه أو على الأصح النواة الأولى لهذه المصانع فأنشأ عليها مصنعا كبيرا للثلج ومصنعا كبيرا للتجارة كذلك وورشة ميكانيكية ، وكان قد بدأ النواة الأولى لتأسيس عمله العقارى بشراء أرض فى مدخل مكة المكرمة وإقامة فيلات صغيرة عليها ثم بيعها للراغبين وقد أنشأ فعلا فيلا بمدخل مكة المكرمة اشتراها فيما بعد المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب من ورثته كما أسس فيلا أخرى أمام المصانع وقد بيعت لأحد المواطنين حين بيع المصانع .

وفاة عبدالله باحمدين

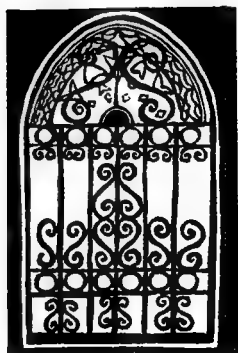
كان عبدالله باحمدين يفكر فى أشياء كثيرة ويعمل لأشياء كثيرة وكان منكبا على عمله فى متجره وفى مصانعه وفى الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بجهد عظيم فلقد كان من الرجال الذين يحبون العمل ويتفانون فيه حتى أنه كان يقضى كل نهاره فى مكتبه ومتجره متناولا غداءه وربما عشاءه فى مقر العمل ولا يعود الى داره إلا بعد صدر من الليل وفى يوم من ايام رمضان عام ١٣٦٩ هجرية شعر بتأثر فى صحته فلم يستسلم للراحة أو يستدعى الطبيب وظن انه مرض عارض لا يلبث ان يزول وذهب إلى المسجد الحرام للإفطار هناك وصلاة المغرب جماعة كما تعود وطاف بالبيت وصلى المغرب وعاد الى داره وبعد الإفطار شعر بأعراض المرض ولكن التوبة القلبية التى داهمته كانت شديدة فأسلم

الروح وانطفأ كما ينطفئ المصباح وهو أكثر ما يكون حيوية وأعظم ما يكون نشاطاً وأشد ما يكون طموحاً نعم اختطف الموت عبداً لله باحدين وهو في عنفوان رجولته إذ كان عمره حوالى الأربعين ولكن للقدر أحكامه وللخالق حكمته فتوفي مبكياً عليه من كل من عرفه من الناس وما أكثرهم ودفن في اليوم التالى بمقبرة المعلا وظلت الصحف تنشر للكتاب من أصدقائه مرثياتهم له وذكرياتهم عنه رحمه الله رحمة الأبرار فلقد كان طلعة بين من عرفت من الرجال في ذلك الزمان •



إعلام البحار

في القرن الرابع عشر للهجرة



الشيخ عبد الرؤوف جمجوم

ولد الشيخ عبد الرؤوف جمجوم بمدينة جدة عام ١٢٩٩ هـ وكان أبوه الشيخ عبدالعزيز جمجوم قد ورث عن والده الشيخ صلاح جمجوم تجارة واسعة وكان بيت الجمجوم معروفا بمركزه التجارى الكبير فى مدينة جدة فى ذلك الزمان وتعلم الشاب عبد الرؤوف جمجوم الكتابة والقراءة والعلوم الدينية على أيدي أساتذة عصره وكان جميل الخط جيد الحساب وبعد اكمال تعليمه عمل فى بيتهم التجارى إلى أن توفى والده وهو فى سن الشباب وكانت وفاة الوالد كارثة على الشاب وإخوته من آل الجمجوم مما اضطر الشاب عبد الرؤوف إلى العمل كاتبا لدى التجار بعد أن كان لأسرته بيت تجارى مرموق ، وكانت العائلة التى يتكون منها آل الجمجوم كبيرة وتحتاج الى مصرف كبير فعمل الشاب عبد الرؤوف وكان كما قلنا حسن الكتابة جيد الحساب عمل لدى أربعة من التجار فى وقت واحد فكان يعمل لدى الحاج على لطيفه ، جد معالى الشيخ محمد عبدالله رضا - وزير التجارة الأسبق لوالدته - ولدى الشيخ عبدالله الصغير التلمسانى ، سبقت الترجمة له فى إحدى الحلقات السابقة ، ولدى الشيخ على شبكشى والد الأستاذ عبد المجيد شبكشى وإخوانه ، ولدى التاجر صديق ميرخان وكان يقسم أوقاته فى العمل لدى هؤلاء التجار الأربعة من الصباح إلى ما قبل منتصف الليل وكان فى

نفس الوقت يشتري الغاز بالجملة حيث يقوم أخوه الشيخ محمد صالح مجموع على بيعه بالفرقة في بيتهم التجاري كما كان يقوم بأعمال الدلالة بين التجار وهكذا وجد الشاب عبد الرؤوف نفسه ملزما بالعمل المتواصل من الصباح الباكر إلى منتصف الليل ليقوم بالإتفاق على هذه العائلة الكبيرة التي تركها أبوه وتربية أخوته وتعليمهم ولقد استمر على هذه الحال ثلاث سنوات ثم تولى العمل وكيلا لتجار مكة المكرمة بالدلالة يقوم بشراء البضائع لهم وتحميلها بالجمال إلى مكة المكرمة وكان يقوم بالعمل بمفرده مشتريا للبضائع ومشرفا على استئجار الجمال ثم تحميلها وعلى كتابة الرسائل المتعلقة بها إلى التجار المكيين وقيد حساباتهم في الدفاتر وهو عمل مضن يتولى القيام به عدة أناس ولكن عبد الرؤوف مجموع وجد نفسه متحملا مسؤوليات عظيمة وهو في هذه السن الباكرة فاضطر أن يجعل من نفسه وكيلا يقوم بكافة الأعمال في وقت واحد .

وعلى ذكر البيوت التجارية أود أن أذكر أن البيوت التجارية في جدة كانت عبارة عن مدارس صغيرة يتعلم فيها الطلبة أعمال الحسابات التجارية حيث يعملون كتاب حسابات للتجار يسكون دفاترهم (على طريقة الدوبيا) وبعد سنوات طويلة يتحول قدامى الكتبة التجاريين إلى تجار وقد حذقوا أثناء عملهم الطويل في البيوت التجارية أعمال التجارة نفسها ولقد كان بيت المرحوم الشيخ محمد بن حمد - والد الشيخ أحمد بن حمد التاجر المعروف حاليا - من أبرز البيوت التي يلتحق بها التلاميذ التجاريون إن صح هذا التعبير ولقد التحقت شخصا كتلميذ في هذا البيت وأول ما كنا نتعلمه هناك هو القيد في دفتر الخرطوش ، وهو دفتر صغير تسجل فيه الأعمال اليومية للمبيعات ثم ينقل منه إلى القيد في دفتر اليومية الدفتر الكبير ، كما تعلمنا فيه كتابة التحارير التجارية وتتم بأن يجلس الكاتب بين يدي التاجر فيملأ عليه الرسائل إلى العملاء مبتدئا بافتتاح الكتاب

مستفسرا عن صحته أولا هو وصحة عائلته ثم يتحدث عما يريده مما يتعلق بالأعمال التجارية ثم يختم الكتاب بالتحيات وما إلى ذلك وبعد إتمام كتابة الرسائل تطبع في مطبعة (البالوظة) ويتم الطبع بالصاق الرسالة في دفتر معد لذلك من الورق الخفيف بعد أن توضع بداخله الرسالة وعليها قطعة مبللة بالماء من الخيش ثم يوضع الدفتر بكامله تحت مكينة ضغط من الحديد تدار باليد لتضغط على الرسالة فيتم طبعها على الورق الخفيف داخل الدفتر بطريقة الضغط فإذا الرسالة مطبوعة نصا وحرفا وهذا بطبيعة الحال قبل وجود الآلات الطابعة والآلات المصورة التي تزخر بها المكاتب التجارية في الوقت الحاضر ، ويتدرج التلميذ في العمل فإذا أنس التاجر منه نجابة كلفه بالكتابة في الدفاتر الكبيرة مثل دفتر اليومية او دفتر الذمامات والصوائف وما إلى ذلك فإذا احتاج البيت التجارى إلى كاتب حسابات انتقل التلميذ الى مرحلة العمل ولقد عرفت كثيرا من تجار جدة الكبار وقد بدأوا حياتهم كتابا في هذه البيوت التجارية أذكر منهم المرحومين الشيخ محمد بن حمد والشيخ حسين فايز وكانا يعملان في بيت الفضل ثم انفرد كل منهم بتجارته الخاصة وأصبح من اشهر تجار جده وخلفهم أبناؤهم من بعدهم والشيخ عبدالرزاق عجلان شفاء الله وعافاه كان كاتباً لسنوات طويلة في بيت الشيخ محمد بن حمد ثم انفرد بعمله التجارى المستقل ، والشيخ محمد على أبوداود كان كاتباً في بيت الشيخ ابوبكر باغفار رحمه الله ثم أسس عمله التجارى الضخم المعروف الآن مع شقيقه الشيخ إسماعيل أبوداود رئيس الغرفة التجارية وآل داود هم أصحاب مصانع التايد والكلوركس ومؤسسيها والغرض من ذكر هذا الاستطراد هو أن البيوت التجارية كانت عبارة عن مدارس صغيرة يتخرج منها المحاسبون ثم التجار ، وكان البيت التجارى مفتوحا من الصباح إلى المساء يتناول فيه التاجر مع أبنائه وكتبته وضيوفه طعام الغداء ،

ويستمر العمل فيه إلى المساء ثم يعود أكبر الكتاب بعد صلاة العشاء ليقضى ساعة أو أكثر في القيد في الدفاتر وفي هذه الحالة يتناول الجميع طعاما خفيفا للعشاء ، وهكذا فإن العمل كان يستمر طيلة النهار وصدرا من الليل في بعض الأحيان كما أن أيام الجمع لا تعتبر أيام أجازات إذ تفتح فيها المكاتب التجارية في النصف الأول من النهار إلى وقت الصلاة وغالبا يتبادل فيها التجار الزيارات مع أصدقائهم من الموظفين والأعيان وكانت المكاتب التجارية في مدخل البيت أو الدور الأول فيه بينما يسكن التاجر في الأدوار العليا ، وكانت أغلب البيوت التجارية مزودة بمخازن تخزن فيها البضائع ، ولا يزال بعض هذه البيوت موجودا بجدة حتى الآن على الوضع الذي وصفناه .

نعود بعد هذا الاستطراد الطويل عن البيوت التجارية ودورها في تخريج التجار إلى الشيخ عبدالرؤوف مجموع لنقول انه استطاع بعد جهاد شاق إعادة بيتهم التجاري إلى المركز المرموق الذي كان له في حياة أبيه وجده .

مَدَارِسُ الْفَلَّاحِ

ذكرنا في ترجمة الحاج محمد علي زينل رضا مؤسس الفلاح أنه حينما قام بتأسيس المدرسة الفلاحية في جدة كان هناك له زملاء تعاونوا معه في تأسيسها وذكرنا أن الشيخ عبدالرؤوف مجموع وشقيقه الشيخ محمد صالح مجموع كانا من هؤلاء الشبان الذين تعاونوا مع مؤسس الفلاح فكانوا يأخذون التلاميذ من بيوت آبائهم بعد غروب الشمس ويعيدونهم إلى بيوتهم في جنح الظلام حينما كانت الدراسة في المدرسة تتم ليلا لعدم الحصول على الترخيص من الحكومة العثمانية بافتتاح المدرسة وبعد الحصول على الترخيص لم تكن هناك حاجة لهذه الرحلات الليلية وخصوصا بعد أن اشترى الحاج محمد علي المبنى الأول لمدارس الفلاح

والذى لاتزال المدرسة تشغله كواحد من أهم مبانيها ولقد ذكرت ان التوسع فى الدراسة اقتضى من الحاج محمد على زينل أن يهاجر الى الهند للعمل هناك حتى يتمكن من التوسع فى الصرف على مدارس الفلاح وهى تنمو عاما بعد عام ويزيد طلبتها فى كل يوم .

حينما قرر الحاج محمد على زينل السفر الى الهند كان محتاجا الى رأس المال الذى يبدأ به عمله هناك كما كان محتاجا إلى الإنفاق على مدارس الفلاح فترة غيابه وقد اختار الشيخ عبدالرؤوف مجموع وكان صديقا شخصيا له ومن اكبر معاونيه ليتولى وكالة مدارس الفلاح فى جدة ومكة ولقد قام الشيخ عبدالرؤوف بمجموع هذه الوكالة خير قيام فكان هو يتولى الإنفاق على المدارس الفلاحية ويحرص على تقديم مرتبات مدرسيها وموظفيها شهريا دون تأخير وكثيرا ما كان يدين المدرسة أو على الأصح مؤسسها المبالغ الطائلة فى سبيل هذا الإنفاق الى ان تصل المبالغ المطلوبة من الهند فى شكل بضائع أو نقود ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فانقطعت التجارة بين الهند والحجاز وكان الحلفاء قد قرروا حصة الحجاز فى البضائع التى تصدر له من الهند فى باخرة واحدة شهريا تحضرها باخرة اسمها الكويت وكان الحاج محمد على يرسل فى هذه الباخرة ما تسمح به ظروف التصدير منها وكانت أقل كثيرا من حاجة مدرستى الفلاح فى مكة وجدة حتى أنه فكر فى الاكتفاء بمدرسة واحدة خلال سنوات الحرب ولكن الشيخ عبدالرؤوف مجموع أصر على أن تبقى المدارس فى مكة وجدة مفتوحة الأبواب وأخذ على نفسه تدبير الإنفاق عليها مما اضطره إلى التضييق على عمله التجارى والاختصار فيه ، كان الناس يقبلون على شراء العقار والذهب الذى كان يباع بأرخص الأسعار ويكدسون أموالهم فيها ليستردوها مضاعفة بعد انتهاء الحرب ويقال ان بعض تجار جده اشتروا الكثير من العقار فى مكة فى تلك الأيام حيث كان يباع

البيت الواحد بما يساوى خمسين جنيها ذهباً ، وكان هو يجمع الدينار فوق الدينار ليواجه به مرتبات المدرسين والموظفين لمدارس الفلاح محتسباً ذلك كله عند الله قائماً بعمله كوكيل لمدارس الفلاح بروح المؤمن المحتسب وكان بعض التجار يدفعون للمدرسة إعانات شهرية فلما طال زمن الحرب امتنعوا عن تقديمها ولم تكن ذات شأن .

ويروى الشيخ عبدالرؤوف هجوم فى ذلك قصة لطيفة ، قال كنا فى أواخر شهر رمضان ١٣٣٤ هـ وحل موعد دفع مرتبات الفلاح وكنت قد دفعت آخر جنيته فى الصندوق لمرتبات المدرسين وآويت الى فراشى فى الليل وأنا مغموم فالعيد سيأتى غداً أو بعد غد ولم يبق عندي ما أنفقه على أسرتى بما تضمه من أولاد وبنات كثيرين وفى الساعة السابعة ليلاً ، قبيل الفجر وأنا أتقلب على فراشى وقد جفانى النوم من كثرة التفكير والهـم وإذا مناد ينادينى من أسفل البيت ويدعونى الى مقابلته فنزلت فوجدت المرحوم الشيخ محمد الطويل ناظر عموم الرسوم ومعه الشيخ أحمد ناظر باشكاتب الجمرك - رئيس الكتاب - والشيخ محمد نور تركى امين صندوق الجمارك وهم يحملون معهم صرة من الريالات وقال لى الطويل : هذا مبلغ ستائة ريال مجيدى ارسله لك الملك الشريف الحسين بن على لتصرف منه مرتبات خدم المساجد والأئمة والمؤذنين - وكان الشيخ عبدالرؤوف مديراً لأوقاف جدة - قال الشيخ عبدالرؤوف ولاشك أن هذا الفرج الذى أرسله الله إلى كان ببركة مدارس الفلاح وبحسن النية الذى انطوت عليه النفس فى القيام بهذا العمل ، قال وفى اليوم التالى صرفت مرتبات موظفى المساجد وكانت تبلغ ثلاثائة ريال مجيدى واستدنت الثلاثائة ريال الباقية للانفاق على أهلى وأولادى لأعيدها بعد العيد

ولسنا فى حاجة لأن نقول إن مؤسس الفلاح قام بتسديد كل ما أنفقه الشيخ عبدالرؤوف هجوم بعد نهاية الحرب وعودة الأمور إلى طبيعتها الاعتيادية ولكن

الفكرة هى : ما الذى كان يحدث لمدارس الفلاح لو لم يكن وكيلها الشيخ عبدالرؤوف على هذا المستوى العظيم من التفانى فى الإبقاء عليها وإبعادها عن أى تأثير يعوق مسيرتها الخيرة ؟ ففى مثل هذه المواقف العصبية يظهر عظماء الرجال وتظهر تضحياتهم وأعمالهم ، ولقد كان الشيخ عبدالرؤوف مجوم بعمله هذا عظيما ومخلصا فى حبه للعلم وتيسيره للناس .

بَدَل مِصَارِيف زَوَاجٍ وَوَفَاةٍ لِلْفَلَّاحِ

ولقد انعكس حب الشيخ عبدالرؤوف مجوم للعلم الذى كانت مدارس الفلاح مثالا حيا له فى ذلك الزمان على التصرفات الاجتماعية بالنسبة لعائلة المجموم فقد اطلعت على الوصية التى تركها المرحوم الشيخ عبدالرؤوف مجوم بخط يده لإخوانه وفى مقدمتهم المرحوم الشيخ محمد صالح مجوم الذى قام بعبء وكالة الفلاح من بعده أحسن قيام ، أقول اطلعت على الوصية التى كتبها الشيخ عبدالرؤوف مجوم والتى يوصى فيها اخوته وفى مقدمتهم الشيخ محمد صالح مجوم رحمهم الله أنه فى حالة حدوث زواج فى الأسرة ألا تقام الحفلات الباذخة بل تتم فى غاية البساطة ويستعاض عنها بدفع خمسين جنيها لمدارس الفلاح كما أنه فى حالة حدوث وفاة ان تتخذ اجراءاتها ببساطة متناهية وألا تقام الولائم فى العشرين والأربعين التى كانت تقام فى ذلك الزمان وأن يستعاض عنها بمبلغ عشرين جنيها ذهبيا تدفع لمدارس الفلاح ولاشك أن هذا التصرف يدل على منتهى الحكمة لدى الشيخ عبدالرؤوف مجوم وآل المجموم لأنه توفير للمال وصرفه الى مصارفه الصحيحة النافعة وإعطاء القدوة الحسنة للناس على ما يجب أن يفعله الأغنياء فى سبيل الخير العام ولقد أدركت آل المجموم وهم يتبعون الوسائل المتناهية فى البساطة فى تزويج أولادهم وبناتهم وأوائل

الخمسينات رغم مركزهم التجارى الكبير ومكانتهم بين أكبر الأسر فى مدينة جدة ، ولقد قيل لى إنهم كانوا يسمون البنت حين ولادتها على ابن عمها الذى يكون قريبا من سنها ويكون معروفا لدى الأبوين أن فلانة لفلان وكان منزلهم الكبير فى جدة ملاصقا لمسجد المعمار وكان رجال العائلة وأولادهم يصلون الفرائض كلها فى المسجد ويراقبون أولادهم بل ويعاقبونهم أن تأخروا عن أدائها فاذا رأوا الفتى والفتاة قد بلغا مبلغ الزواج قام الأب فى صمت بإعداد حجرة الابن وجهزها بالفرش البسيط السائد فى ذلك الزمان وإعداد مراتب النوم والألحفة وشراء سحارة للملابس وكانت تقوم مقام الدواليب وكذلك تجهيز هذه الحجرة بالمصباح الغازى اللازم لها ويقوم والد العروس بالإشارة الى زوجه بإعداد الملابس اللازمة للفتاة وهى فى حدود المعقول ، ويجتمع الأبوان بعد صلاة العشاء فيعقدان للعروسين فى المسجد وينطلق الفتى ليجد عروسه وقد زفت الىه فى تلك الليلة ، وبعدها فى حفل يقتصر على كبار العائلة من رجال ونساء ولقد كنت أعزو ذلك إلى كثرة أفراد الأسرة واضطرابهم إلى تزويج أولادهم وبناتهم فلو انهم اتخذوا الأساليب المعتادة فى دفع المهور الغالية واقامة الأفراح والليالى الملاح التى تليق بمكانتهم فى المجتمع لما وسعهم ذلك ولم أكن أظن أن للشيخ عبدالرؤوف هجوم يدا فى اتباع هذه الخطة الحميدة وأن وراءها فكرا ثاقبا ورغبة خيرة الا بعد أن اطلعت على الوصية التى كتبها بخط يده رحمه الله

مرضه ووفاته

فى عام ١٣٣٨ هـ شعر الشيخ عبدالرؤوف بهجوم بأعراض المرض فى صدره وبعد أن طال به الأمر سافر إلى الهند للاستشفاء واستقبله صديقه الحاج محمد على زينل أحسن استقبال وانزله بداره فى مدينة بومباى وعرضه على الأطباء

المختصين وبعد أن بقى فى الهند ما بقى عاد إلى الحجاز ولكنه كان يشعر بآثار المرض ونصح له أصدقائه بالسفر إلى الطائف وكان موسم الحج قد حل فذهب إلى مكة وأدى فريضة الحج ونزل بمدرسة الفلاح وكانت بالقشاشية قريبا من المسجد الحرام ولكن المنية لم تمهله فتوفى فى شهر ذى الحجة عام ١٣٣٨ هـ بمكة المكرمة ودفن بمقبرة المعلاة وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر ولئن كانت سنو عمره قصيرة فلقد كانت هذه السنوات مباركة مملوءة بالعمل الجاد النافع فلقد استطاع إعادة مجد الأسرة وحفظ كيانها كما استطاع القيام بأعباء مدارس الفلاح فى أشد الأوقات وأصعبها • جزاه الله خير الجزاء •





عبدالله السليمان الحمدان

عَبْدُ اللَّهِ السَّلِيمُ الْحَمْدَانِ

نحيل الجسم ، قصير القامة ، كبير الرأس ، أسمر اللون ، واسع العينين ،
أقنى الأنف ، خفيف اللحية ، يرتدى العباءة العربية والعقال .

ولد الشيخ عبدالله السليمان الحمدان بمدينة عنيزة عام ١٣٠٢ هـ وتلقى العلم
على أيدي علماء بلده كما أتقن الكتابة والحساب وكان يتميز بحسن الخط وجماله
وكان عبدالله السليمان طموحا منذ نعومة أظفاره فما أن بلغ مرحلة الفتوة حتى توجه
إلى الهند وعمل كاتباً في بيت آل الفوزان في مدينة بومباي كما كان يعمل أمثاله
من الفتية الطامحين ، يلتحقون بالبيوت التجارية العربية في الهند فيفيدون من
ذلك دخلاً حسناً ودربة جيدة على شؤون التجارة ، ولم يمض طويل وقت حتى
انتقل إلى البحرين فافتتح له مكتباً تجارياً برأس ماله البسيط الذي جمعه أثناء
عمله في الهند ، فلقد كان الفتى عبدالله السليمان طموحاً إلى عمل تجاري
مستقل ، ولكن الفتى يقدر لنفسه شيئاً وتريد الأقدار له شيئاً أعظم فقد كان
أخوه الأكبر محمد السليمان كاتباً في ديوان السلطان عبدالعزيز آل سعود - جلالة
الملك عبدالعزيز فيما بعد - فمرض محمد بأذنيه واضطر أن يعتزل العمل فترة من
الزمان استدعى فيها أخوه عبدالله السليمان ليحل محله في الكتابة للسلطان
وانقضت الفترة المرضية وعاد محمد السليمان إلى عمله بديوان السلطان عبدالعزيز

فعاد هو إلى عمله في البحرين الذي كان أخوه حمد السليمان يديره في غيابه ، ولكن المرض يعاود الأخ الأكبر فيعتزل عمله لدى السلطان عبدالعزيز نهائيا ، ويطلب السلطان من عبدالله السليمان ١٣٣٠ هـ أن يتسلم الكتابة في ديوانه ويعتزل عمله نهائيا في البحرين ويتكفل السلطان عبدالعزيز بسداد ديون محله التجارى وتسوية أموره ليتفرغ لخدمة السلطان عبدالعزيز بصورة نهائية وهكذا دبر الله الأمور لعبدالله السليمان بحكمته الأزلية حين ربط أسبابه بأسباب السلطان عبدالعزيز الذى كان نجمه يسطع في سماء الجزيرة العربية في ذلك الزمان فتنضم أقطارها واحدة تلو الأخرى إلى عقد مملكته العظيمة فتنضم إليه إمارة حائل وعسير ، ومملكة الحجاز ، وقبلها تنضم إليه إمارة الهفوف ثم أخيرا إمارة الأدراسة في جيزان ، ويرى جلالة الملك عبدالعزيز بفراسته العظيمة أن مجال عبدالله السليمان الحقيقى ليس هو في ديوان الكتابة وإنما هو في المهام العظيمة لهذه الدولة الفتية التى تمتد رقعتها يوما بعد يوم والتى تخرج من دور البساطة إلى مجال يتعاضم مع الزمن والتى تفتقر إلى جهود الرجال الكبار الذين يشيدون صرح الدولة وقيمون أسسها بما يتفق مع متطلبات ضخامتها وامتدادها وتشابك مصالحها الداخلية والخارجية فأسند جلالته إلى عبدالله السليمان الشؤون المالية للدولة فكان مديرا لها ثم وكيلًا للمالية وللتاريخ فإن أول من ولى الشؤون المالية لجلالة الملك عبدالعزيز بعد فتح الحجاز هو المرحوم الشريف شرف رضا - عضو مجلس الوكلاء فيما بعد - ثم النائب الثانى لرئيس مجلس الشورى أخيرا - وبعدها تسلم شؤون المالية الشيخ عبدالله السليمان ولم يمض طویل وقت حتى أصبحت وكالة المالية وزارة وكان عبدالله السليمان أول وزير لها ثم اسندت إليه وزارة الدفاع فيما بعد وفى وقت من الأوقات تولى وزارة الخارجية نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير فيصل الذى كان يتولى وزارة الخارجية منذ تأسيسها - جلالة الملك فيصل رحمه الله -

عبد الله السليمان وزير المالية

ولكى نتحدث عن عبدالله السليمان لابد أن نذكر للتاريخ شيئاً عن الصلاحيات الضخمة التي كانت في يد الرجل أثناء ولايته لوزارة المالية التي امتدت طيلة حياة الملك عبدالعزيز رحمه الله - لفترة من عهد ولاية الملك سعود . كانت أمور الدولة مقسمة إلى قسمين أو على الأصح بين رجلين ، الرجل الأول هو صاحب السمو الملكي الأمير فيصل - جلالة الملك فيصل فيما بعد - وكانت وظيفته الرسمية النائب العام لجلالة الملك في الحجاز وكان مرجعاً للشؤون الداخلية فكانت الشرطة والمعارف والبلديات والصحة والبريد والتلغراف تابعة له كما كان يتولى الشؤون الخارجية وهي تمثل جلالة الملك عبدالعزيز في الخارج كما كانت اتصالات السفراء الأجانب ومفاوضاتهم تتم عن طريق مكتب وزارة الخارجية ويرجع إلى سموه في كل الأمور الخارجية وهو يعرض بدوره ما يرى عرضه على والده المغفور له الملك عبدالعزيز ، أما وزارة المالية التي كان وزيرها الشيخ عبدالله السليمان فكانت تمثل في الواقع كل شيء في الدولة باستثناء ما ذكرناه عن مهام النائب العام لجلالة الملك فكانت وزارة المالية هي المرجع في الشؤون المالية جميعها ، كما كانت تقوم إذا صبح هذا التعبير بأعمال وزارة الأشغال والحج والمواصلات والدفاع وأعمال الخاصة الملكية وكان الشيخ عبدالله السليمان يتلقى صلاحياته العظيمة من ثقة المغفور له الملك عبدالعزيز الشخصية فيه فكان يتمتع بسلطة عظيمة لانغالي إذا قلنا إنه كان ينفرد بها طيلة السنوات الطويلة التي قضاها في منصبه العظيم ولقد قام بتدوين الدواوين في وزارة المالية وأسند رئاستها إلى رجال أكفاء كما قام بتأسيس الدوائر الرسمية في الملحقات الشرقية والجنوبية فتأسست رئاسة أموال وجمارك الإحصاء كما تأسست رئاسة

أموال وجمارك جيزان وأخذ ينتدب الرجال المشهود لهم بالقدرة والكفاءة لإدارة هذه المراكز وتأسيسها وتثبيت قواعدها ، وكان يلقي من جلالة الملك عبدالعزيز تأييدا كبيرا وثقة كاملة فاستطاع بهذا التأييد وبهذه الثقة أن ينهض بالأعباء الضخمة التي وكل إليه أمرها فكان رجل الدولة وواحدها في ذلك الزمان ، ولقد بلغ من ثقة جلالة الملك عبدالعزيز فيه أنه كان يدخل كل صباح مهجع جلالته دون استئذان ، وللتاريخ فان عبدالله السليمان كان رجلا يتميز بالإخلاص التام في خدمة الدولة حتى أنه يعتبر من أكبر العاملين في تأسيسها .

الملك فيصل وعبدالله السليمان

حدثني المرحوم الشيخ إبراهيم السليمان بن عقيل رئيس ديوان صاحب السمو الملكي النائب العام لسنوات طويلة - السفير السعودي بالقاهرة فيما بعد - قال جاء الشيخ عبدالله السليمان مريضا إلى مصر وذهب إلى مدينة حلوان للاستشفاء وكان سمو الأمير يقصد الأمير فيصل رحمه الله - إذ ذاك في القاهرة وعلم بالأمر فقال لي انه سيذهب لزيارة عبدالله السليمان في حلوان ولكنه طلب مني أن أكتب أمر الزيارة لأنه يريد أن يفاجئه بها فلو علم عبدالله السليمان بأن فيصل سيزوره لسارع هو إلى ترك المصحى ، وبدأ سموه بالزيارة فكتمت الأمر وفي أصيل ذلك اليوم ذهبت بعمية سموه إلى حلوان وفوجئ عبدالله السليمان بزيارة فيصل فبكى من التأثر وقال لسموه أنت فيصل بن عبدالعزيز تحضر لزيارتي وما أنا إلا خادم لأبيك . قال الشيخ إبراهيم السليمان ولكن فيصل طيب خاطره وقال له إنك من بناء الدولة - والذين يعرفون الملك فيصل رحمه الله يعرفون أنه في مثل هذه المواقف إنما يزن كلامه بميزان الذهب والواقع أن الرجلين يمكن أن يطلق عليهما أنهما من بناء الدولة رحمهما الله .

إلغاء رسوم الحج

حينما تم توحيد المملكة العربية السعودية كانت الدولة تعاني من صعوبات مالية عظيمة وخاصة في سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية في الثلاثينات الميلادية وكانت واردات الدولة تتمثل في الرسوم الجمركية ثم رسوم الحج وهو مبلغ خمسة جنيهاً ذهبية تتقاضاها الدولة على كل حاج باعتبارها رسم الحجر الصحي ، وكان من أجل أمانى الملك عبدالعزيز رحمه الله أن يلغى هذه الرسوم المفروضة على الحجاج لأن ضميره لم يكن مطمئناً لها - وطالما أفضى بأمنيته تلك إلى وزير ماليته عبدالله السليمان ، ولكن عبدالله السليمان لم يكن باستطاعته المجازفة بإلغاء مورد يعتبر المورد الثانى من موارد الدولة إذ ذاك وهى فى حاجة إلى المزيد من المال ، وحينما ظهر الزيت لأول مرة فى شرق المملكة راود جلالته الأمل فى أن يكون هذا الزيت سبباً فى إلغاء هذه الرسوم يعوض الله به الدولة ما تفقده منها ، ولقد كان من أعز أمانى عبدالله السليمان أن يحقق لجلالة الملك عبدالعزيز هذا الحلم العظيم ، وحينما توصل الشيخ عبدالله السليمان مع شركة أرامكو إلى اتفاق المشاركة الذى يسمح للدولة بمشاركة شركة أرامكو أرباحها أسوة بما فعلته فنزويلا فى اتفاقياتها سارع بالكتابة إلى جلالة الملك عبدالعزيز يزف إليه بشرى التوصل إلى هذه الاتفاقية ومن ثم يستطيع جلالته إلغاء رسوم الحج وتحقيق الأمانة الغالية التى كان يتمناها فبادر جلالة الملك عبدالعزيز بإلغاء رسوم الحج وأعلن هذا الإلغاء فى حينه ، وكان لهذا الإلغاء رنة فرح كبرى فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، وللتاريخ فان إتفاقية المشاركة هذه تعتبر أول إتفاقية من نوعها فى المنطقة بالنسبة للدول المنتجة للنفط فى ذلك الزمان وكان ذلك عام ١٩٥٠ ميلادية الموافق لعام ١٣٧٠ للهجرة .

إنجازات عبد الله السليمان

إذا أردنا تقييم رجل من الناس فلا بد أن ننظر في إنجازاته وما قام به من عمل نافع في حياة قومه وأثر هذا العمل في نهضة البلاد وتقدمها فإذا تلمسنا هذه الآثار النافعة في تاريخ عبدالله السليمان وجدناها بارزة في إنجازاته سواء أكانت هذه الإنجازات وهو في مركز القوة والسلطان وزيراً يأمر فيطاع أو رجلاً عادياً تخلى عن المنصب والنفوذ وأصبح واحداً من الناس لا يتميز عنهم إلا بما وهبه الله من صفات ، كما هو شأن الخاصة من الناس ، ولسنا هنا في مجال إنجازات عبدالله السليمان كوزير للمالية فلسنا نترجم هنا للتاريخ وزيراً ورجل دولة بقدر ما نترجم لعبدالله السليمان كشخصية عامة ظهرت في حياة الناس فأثرت بأعمالها في هذه الحياة ولهذا فاننا سنترك الجانب الرسمي الحكومي من تاريخ عبدالله السليمان ونتحدث عن الجانب الشخصي الذي هو هدف الترجمة فنجلو منه ما يظهر الصورة الحقيقية للرجل بعيداً عن المنصب والسلطان .

إنشاء الفنادق

كانت المملكة في العقود الأولى من تاريخها تعاني من نقص في كل مظاهر الحضارة والتمدن فالحياة كانت تتخذ شكلاً بسيطاً في النصف الأول من هذا القرن الهجري ولقد كان القادمون إلى البلاد يفتقرون إلى فندق ينزلون فيه فلا يجدون من ذلك شيئاً في أى مدينة من مدن المملكة وكان هذا يظهر بصورة جلية في مواسم الحج حينما يؤم البلاد أعداد ضخمة من الحجاج الموسرين والذين يرغبون أن يجدوا الفندق الملائم في مكة وجدة والمدينة المنورة ومشاعر الحج ، كما أن الدولة نفسها كانت تفتقر إلى ذلك بالرغم من بيوت الضيافة التي خصصتها

لضيوفها وكان زعيم مصر الاقتصادى الكبير محمد طلعت حرب باشا قد أسس شركة مصر للملاحة كما أسس شركة مصر للسياحة وحضر إلى الحجاز لاداء فريضة الحج واتصلت أسبابه بأسباب الشيخ عبدالله السليمان رحمهما الله فأبدى رغبته فى إيجاد فنادق لحجاج مصر فى كل من جدة ومكة لينزل بها الحجاج المصريون وقام فعلا باستئجار منزل الحاج يوسف زينل على رضا - أمام فندق جدة بلاس - ليكون فندق مصر فى جدة ولكن المشكلة كانت فى إيجاد فندق فى مكة يضم الأعداد الكبيرة من الحجاج التى تفد للحج والتى تستقر جميعها فى مكة قبيل أيام الحج وبعد أداء المناسك وهنا انبرى الشيخ عبدالله فتكفل ببناء الفندق على حساب وزارة المالية وأفردت للفندق قطعة أرض فى شارع اجياد امام مبنى وزارة المالية وقامت الوزارة فعلا بتشيد الفندق الضخم المكون من عدة طوابق وبهذا تم تأسيس أول فندق حديث فى مكة المكرمة وأطلق عليه اسم فندق بنك مصر وقد تم تأجيره على شركة مصر للسياحة وكان الفندق يضم المئات من الحجاج المصريين وغيرهم فى كل عام ، هذا الفندق باعته وزارة المالية فيما بعد على الشيخ صدقة وسراج كعكى ولايزال يدار كفندق حتى اليوم ، الواقع أن عبدالله السليمان لم يكتف بهذا وانما شجع كذلك الشيخ عطا الياس على انشاء فنادق التيسير فى مكة وجدة والمدينة المنورة ومنى وكان هذا التشجيع نواة لانطلاق الحركة الفندقية فى البلاد ولكن عبدالله السليمان بطموحه لم يرض عن الفنادق المذكورة فقام هو شخصيا بإنشاء الفنادق الخاصة به فى جدة وهى فندق الكندرة وفندق البساتين ثم فندق قصر الكندرة ثم فندق قصر جدة الذى تم بناؤه بعد ترك الوزارة واستقدم لهذه الفنادق المديرين المتخصصين وأجهزة الادارة والخدمة الكاملة حتى أصبحت هذه الفنادق هى أولى فنادق الدرجة الأولى فى المملكة واعترف بها على المستوى الدولى للفنادق وهو بهذا العمل الجرىء قد

أدى لبلاده خدمة من أجل الخدمات لأنه سد حاجة البلاد من الفنادق كما أسبغ عليها مظهرها حضاريا كانت في أشد الحاجة إليه ، قد يقول البعض ولكنه أفاد شخصا من هذا العمل ربحا ماديا ودخلا ثمرا ونقول أنه ليس من الضروري أن يكون العمل النافع مجردا من المنفعة والربح فما أكثر الأعمال المربحة والمثمرة ماديا ! ولكن العمل إنما يقاس بنفعه للبلاد والعباد فإذا كان يحقق هذا النفع ويعود على صاحبه بالربح فهو عمل طيب مشكور لا مراء في ذلك ولا جدال ، ولا ينتقص منه إلا حاقدا أو كسلان ..

المستشفى اللبناني

وكما كانت البلاد تعاني من نقص الفنادق كانت تعاني كذلك من قلة المستشفيات ولعل الكثيرين لا يعلمون أن مدينة جدة بل كل المدن الكبيرة في المملكة لم يكن فيها سوى مستشفى واحد هو المستشفى العام - مستشفى حكومي واحد في كل مدينة - ومن المعلوم أن المستشفى العام الحكومي هو غير المستشفى الخاص سواء في تجهيزاته أو خدماته ، وحينما قدم إلى جدة بعض الأطباء اللبنانيين ولديهم فكرة افتتاح مستشفى خاص في جدة لم يجدوا من يحقق طلبتهم سوى الشيخ عبدالله السليمان فهل يعلم القراء ماذا فعل عبدالله السليمان لاجراء الفكرة إلى حيز الوجود ، لقد شجعهم في البداية على افتتاح المستشفى وافتتح فعلا ولكن في مبنى قديم متهاالك فلم يلبث الشيخ عبدالله السليمان أن أدخل فندق الكندرة في جدة - بعد استكمال بناء فنادقه الأخرى وحوله إلى مستشفى فانتقلت إليه إدارة المستشفى اللبناني وقام الشيخ عبدالله السليمان ببناء جناح جديد في المستشفى وهكذا قام أول مستشفى خاص في مدينة جدة بل في المملكة بتشجيع كريم من الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله وبمثل هذه الأعمال تقاس هم الرجال ..

عَبْدُ اللَّهِ السَّلِيمَانُ وَالْمَلِكُ عَبْدُ الْعَزِيزِ

كان الشيخ عبدالله السليمان يسكن في جدة في بيوت صغيرة في محلة الكندرة في موضع فنادق الكندرة الحالية قبل بناء هذه الفنادق وكان بمعية جلالة الملك عبدالعزيز في السيارة أصيل يوم فمر موكب جلالته أمام هذه البيوت فسأله جلالته أين يسكن ؟ فأشار إلى هذه البيوت الصغيرة فقال جلالته كيف ترضى وتطمئن للسكن في هذه الدور الصغيرة فقال إننى مكتف بها يا طويل العمر وأثناء هذه الرحلة مر الموكب من طريق المدينة فرأى جلالة الملك عبدالعزيز قصرأ مشيداً في طريق المدينة المنورة فسأل لمن هذا القصر؟ فقيل : إنه للشيخ محمدرضا ولم يكن من جلالته إلا أن طلب من الشيخ محمد رضا أن يتنازل عن القصر بأنائه لعبدالله السليمان ولم يحجد الشيخ محمد عبدالله رضا بدا من إجابة الطلب واستدعى جلالته عبدالله السليمان وقال له : هذا القصرأصبح لك فانتقل إليه ولكن عبدالله السليمان قال لجلالته إن سمو الأمير فيصل لا بيت له في جدة وهو أحق بهذا القصر منى أما أنا فيكفينى ما أنعم به من رضاء جلالتك وهكذا يثبت الشيخ عبدالله السليمان بأدبه العالى أنه رجل الدولة يؤثر جانب المليك وأبنائه على نفسه ، ولم تكن هذه هى الأولى من عبدالله السليمان ، فحينما ولى العرش جلالة الملك سعود كانت الحاجة تدعو إلى وجود صاحب السمو الملكى فيصل بجانب أخيه الملك سعود في جدة وكان الملك سعود قد بنى قصورا له في جدة ولم يكن ليفصل سوى البيت الذى أشرنا إليه آنفا والمخصص لسكنه وأسرته ، وذهب عبدالله السليمان إلى فيصل في مكة يقول له لا بد من بقائك بجانب أخيك في جدة قال ولكن لا يوجد لى مكتب في جدة وكانت السيدة نورة الخريجي حرم الشيخ عبدالله السليمان وأم ابنه خالد قد شيدت فيلا جميلة في جدة وأتمت تأثيثها فلم يكن من

عبدالله السليمان إلا أن قال له هذا بيت أم خالد بين يديك فاستعمله مكتباً لك ولم يقبل سموه بذلك فأرسل الشيخ عبدالله السليمان السيدة نورة إلى سموه ترجوه أن يقبل المنزل وهكذا كان .

هذه الالتفاتات العالية من الشيخ عبدالله السليمان تدل على علو همته ونبل شخصيته ولو كان غيره في مكانه لفرح بمنحة الملك واستأثر بالقصر كما استأثرت زوجه بقصرها ولكن الرجل كان يتصرف بروح رجل الدولة وأحد بناتها ومؤسسيها رحمه الله .

الاستقالة

بعد وفاة جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وولاية الملك سعود للعرش تقدم الشيخ عبدالله السليمان إلى جلالة الملك سعود باستقالته من منصبه ولكن الملك (سعود) أصر عليه بالبقاء واستمر الشيخ عبدالله السليمان في منصبه فترة من الزمن ولكنه رأى بثاقب نظره أن الظروف تتغير وأن الدولة الجديدة قد تحتاج إلى نمط جديد من الرجال - لكل زمان دولة ورجال - وهكذا لم يمض طویل وقت حتى رأى عبدالله السليمان نفسه مضطراً للتخلي عن المنصب الذي احتفظ به طيلة عهد الملك عبدالعزيز والذي امتد نحوه من خمسين عاماً أو تزيد فتقدم من جديد إلى جلالة الملك سعود بالاستقالة وراجياً بالحاح إعفائه من العمل بعد أن كبرت سنه وضعفت صحته وهكذا أجيب إلى طلبه وصدر بلاغ من الديوان الملكي بقبول هذه الاستقالة مع كلمة تقدير طيبة لجهود الرجل في بناء الدولة وتفانيه في الإخلاص وهكذا بدأ لوزارة المالية عهد جديد كان مختلفاً عن العهد الماضي القديم ، حينما كانت أمور وزارة المالية إنما تدبر بأمر رجل واحد وقد يكون ذلك العهد يفتقر إلى التنظيم ، على أي حال كان يتميز بالنفوذ العظيم لهذا الرجل الذي كان إخلاصه للدولة وللمليك واضح المعالم بارز السمات .

مَصْنَعِ الإسْمَنْتِ

لم يقبّع عبدالله السليمان بعد تركه الوزارة في منزله ليأسى على ما فاتته من سلطان أولينعم بما تجمع له من ثروات طيلة الخمسين عاما التي قضاها في خدمة الملك عبدالعزيز وإنما نظر بثاقب بصيرته إلى ما تحتاجه البلاد من مشروعات وما تنتظر من مستقبل عظيم فقام بتأسيس أول مصنع للأسمنت في المملكة في مدينة جدة أكبر ميناء في البلاد ، وكانت مدينة جدة قد بدأت تنمو وتمتد بعد إزالة السور الذي كان يحيط بالمدينة وبعد وصول الماء إليها ، كان هذا السور يمتد في الناحية الشمالية أمام ميدان البيعة من عمارة النشار حاليا إلى عمارة الشيخ أحمد موصلى المتخذة كفندق وفيه باب اسمه باب جديد ويمتد شرقا من أمام عمارة باخشب إلى باب مكة وكان هناك باب يسمى باب مكة ويمتد غربا من موضع فندق قصر البحر الأحمر إلى موضع عمارة الشيخ سليمان الحمد في ميدان الملك عبدالعزيز ، وتمتد جنوبا من موضع البنك العربي ماراً بامتداد شارع الملك عبدالعزيز إلى مقبرة الأسد وفيه باب اسمه باب شريف ، وكل العمران الذي حدث بعد ذلك هو حديث بعد إزالة السور وهو يساوى مئات أضعاف مساحة المدينة القديمة نقول رأى عبدالله السليمان إن المدينة ستنتطلق وتنمو وتمتد ، وأنه لابد من إيجاد مصنع للأسمنت يسد حاجة البلاد وكان قد حصل على امتياز ببناء مصنع الأسمنت ، هذا - لعل ذلك في أواخر عهد الملك عبدالعزيز - فقام بإبراز الفكرة إلى حيز الوجود وأسّس شركة الأسمنت السعودية في جدة التي باشرت في بناء أول مصنع للأسمنت في المملكة حيث قام ولا يزال يقوم بسد كثير من حاجة البلاد إلى هذه المادة الهامة للإعمار ، وهكذا ساهم عبدالله السليمان بعمله هذا في تعمير البلاد وتطوير وسائل الإعمار فيها .

توزيع الأراضي وتأجيرها

وعلى ذكر الإعمار - أود أن أذكر أن عبدالله السليمان رحمه الله ساعد على تعمير مدينة جدة بطريقة عملية فقد قام بتوزيع الأراضي في شارع الكندرة وهو الشارع الممتد من مقبرة حواء إلى ميدان المطار القديم - فبنى في هذه الأراضي آل الخريجي والمعلم محمد بن لادن رحمه الله والشيخ محمد السليمان التركي وغيرهم كما وزع أراضي أخرى من موضع عمارة الشيخ أحمد موصلى أمام قصر جدة إلى باب مكة وقد قام بالبناء فيها كل من الشيخ أحمد موصلى والمرحوم محمد باخشب والشيخ محمد سرور الصبان ، وغيرهم وكانت الأراضي في منطقة البغدادية شمال جدة محجوزة لشركة عقارية تقدمت إلى الدولة بفكرة تعمير الأرض وبيعها بالتقسيط ولكنها لم تفعل شيئا طيلة سنوات ، فأشار عبدالله السليمان على البلدية بتأجيرها بأجور رمزية على الراغبين ثم بيعها عليهم

وهكذا انطلقت حركة البناء بعد أن أصبحت الأرض ميسورة وأخذت الأيدى تتداولها بأسعار زهيدة وهكذا انتشر العمران وامتد ، وأصبحت مدينة جدة تتميز في ذلك الوقت عن سائر مدن المملكة بأن العمران الذى امتد فيها هو عمران أهلى وليس عمران حكومى كما هو الشأن في بعض المدن الأخرى الذى بدأ العمران الحكومى فيها أولا ثم جاء التعمير الأهلى وهكذا أثبت عبدالله السليمان أنه رجل دولة يعمل لمصلحة البلاد وإعمارها بكل وسيلة يراها مؤدية لذلك ، ولم نر أنه استأثر لنفسه أو لذويه بشيء من هذه الأراضي التى يسرّ الحصول عليها للناس تيسيرا لا مزيد عليه .

عبد الله السليمان وجامعة الملك عبد العزيز

ويأبى عبدالله السليمان إلا أن يختم حياته بعمل من أعظم الأعمال بهبته السخية العظيمة لجامعة الملك عبدالعزيز فلقد كانت له مزرعة في شرق مطار جدة وبني حولها أربعة قصور ، مساحة أرض كل قصر أربعون ألف متر ، وبني فيها فيلا كبيرة لابنته السيدة أسماء عبدالله السليمان كما ألحقت بكل قصر ملاحق كثيرة وقد انقطع الماء عن المزرعة بسبب نضوب العين التي اشتراها - وهى عين فرج يسر - والتي كانت تمد المزرعة بالماء فبقيت هذه القصور غير مسكونة رِذْحاً من الزمن ثم ظهرت فكرة الدعوة إلى إنشاء جامعة الملك عبدالعزيز في مدينة جدة وبدأت اللجنة التأسيسية في جمع التبرعات للجامعة وكان الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله مريضاً فبعث إلى أعضاء الجامعة يدعوهم للاجتماع به وفاجأهم بتقديم القصور الأربعة مع ملحقاتها والفلا هدية منه للجامعة وأردف ذلك بما يحتاجونه من الأرض التي بلغت نحواً من ستائة ألف متر وهكذا أخرج عبدالله السليمان رحمه الله فكرة الجامعة من طور الخيال إلى عالم الحقيقة والواقع وللتاريخ فإن المرحوم محمد باخشب باشا كان أول من تبرّع بمبلغ سخى للجامعة واقترح إطلاق اسم جلالة الملك عبدالعزيز عليها وكان المبلغ الذى سمّاه لتبرعه هو مليون ريال وكان هذا المبلغ فى ذلك الزمان يعتبر ثروة عظيمة وبينما كانت التبرعات تتراوح بين الألف وعشرات الألوف وأعظم المتبرعين لم يزد تبرعهم عن مائتى ألف أو ما حولها كان تبرع محمد باخشب رحمه الله مليوناً كاملاً من الريالات ، وهذا التبرع الضخم الذى دفع الكثيرين فيما بعد إلى التبرع مع هبة الشيخ عبدالله السليمان العظيمة الضخمة هما اللذان أسرعا باخراج الجامعة إلى عالم الحقيقة والواقع كما ذكرنا ، بقى أن نقول إنه إذا كان تبرع باخشب بمليون ريال

فان قيمة تبرع الشيخ عبدالله السليان في وقتها كان يزيد عن العشرة ملايين ريال فالقصور الأربعة والفيلة كانت تتراوح تكلفتها دون قيمة الأرض المقامة عليها - نحواً من أربعة إلى خمسة ملايين من الريالات ، وحينما نقرر هذا الرقم فإننا نقوله من واقع نعرفه أكثر مما يعرفه الغير لأن كاتب هذه السطور هو الذى تولى الإشراف على بناء هذه القصور وملحقاتها للشيخ عبدالله السليان رحمه الله أما الأرض فقدر ثمنها في ذلك الوقت بنحو من ستة ملايين من الريالات وهى في الوقت الحاضر تساوى بضع مئات من ملايين الريالات إن لم تصل إلى أكثر من ذلك .

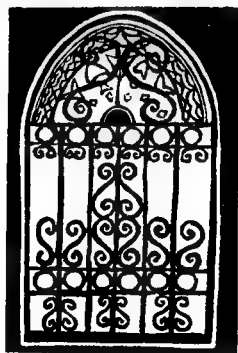
وهكذا ختم الشيخ عبدالله السليان حياته بهذه الهبة العظيمة التى هى من أعظم الحسنات الجارية وأجلها إذ وهب قصوره للعلم فأصبحت هذه القصور تمثل كليات الجامعة الفتية جامعة الملك عبدالعزيز وأخذت الجامعة تُعِدُّ مخططات توسعها على الأرض الكبيرة التى وهبها لها الرجل العظيم وهكذا أراد الله تعالى لعبدالله السليمان أن يختم حياته بأجل الأعمال وأعظمها إذ هباً بهبته السخية هذه بيوتاً للعلم جزاه الله خير الجزاء وأحسن ثوابه فى جنات الخلود .

وَفَاةُ عَبْدِ اللَّهِ السَّليمان

هذا وكانت وفاة عبدالله السليمان رحمه الله عام ١٣٨٥ هـ بعد مرض طويل استقدم له بعض كبار الأطباء من انجلترا وبعد ان أجريت له استعدادات الجراحة وجد أن الداء قد استشرى وتمكّن فلم يجد فيه علاج ففاد هذه الحياة وقد وصل فيها إلى ذروة المجد والسلطان كما وهب من ثروته ما نسأل الله تعالى أن يكون له عوضاً فى دار البقاء رحمه الله وأحسن مثوبته فلقد كان من أعظم الرجال .

إعلام الحجاز

في القرن الرابع عشر للهجرة



عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الصَّغِيرُ

متوسط القامة لا بالطويل ولا بالقصير ، حنطى اللون واسع العينين يضع على عينيه نظارة ذهبية ، عظيم الأنف ، خفيف شعر اللحية والعارضين حتى لتظنه أجرد يرتدى الجبة والعمامة الحجازية فيه سمت ووقار ، ذلكم هو الشيخ عبدالله محمد الصغير أحد رجالات مدينة جدة وأعيانها البارزين .

لم أتمكن من تحديد تاريخ ميلاده ، وأرجح أنه توفى فى العقد السادس من هذا القرن الهجرى الذى تقترب من نهايته . كان الشيخ عبدالله محمد الصغير نمطا فريدا من الرجال وقد هيا نفسه لخدمة الناس والسعى فى مصالحهم ، ولم يكن حينما عرفته ذا مال ولكنه كان يملك القدرة على أصحاب الأموال ، قدرة منبعها الحب ومبعثها الثقة والتقدير ، وقد كان كما عرفت فى مطلع حياته تاجرا من أوساط التجار ولكنه ما لبث أن ترك التجارة واكتفى بما يصل إليه من غلة البيت الذى يسكن جزءا منه ويؤجر الجزء الآخر ، ومن بيت ثان يؤجره للغير وكان ليس له ولد وإنما يعيش هو وزوجه السيدة مصباح بنت محمد سعيد جاسر ثم ما لبثا ان تبنيا ابن أخيها على جاسر الذى ولد لأخيها بجزائر جاوه ثم أرسل إليها بعد وفاة والده هناك .

عرفت الشيخ عبدالله محمد الصغير في الفترة ما بين الأربعينات إلى أواخر الخمسينات إذ كانت تربط زوجه صلة قريى بعائلتنا وكما علمت فإنها زفت إليه من منزل أسرتنا في جدة عرفت الرجل في هذه الفترة وقد وهب نفسه لخدمة الناس ورأيته يدخل إلى مكاتب التجار من أصدقائه ومحبيه فيقول لأحدهم بلهجة الأمرات جنيتها أو جنهين أو عشرة فيؤديها له في الحال دون أن يسأله عن وجهه صرفها ودون أن يفصح هو عن ذلك يحافظ بها على أسرار الناس ، يستر عوراتهم ويقضى حوائجهم ويؤدونها له راضين وهم يعلمون أنها إنما توضع في موضعها الصحيح لأنها إنما تؤدي عن يد الثقة الأمين ، وكان له مجلس في مدخل داره التي هدمت وأدخلت في الشارع الجديد شارع الذهب صباح كل يوم فيفد إليه أصحاب الحاجات ويسرون إليه بشؤونهم فاذا كان الضحى انطلق إلى داخل المدينة يزور أصدقاءه في مكاتبهم ومتاجرهم والكل يحتفى به ويوسع له ويسارع إلى طلبه عن رضى وارتياح ، وأصبح الرجل مقصدا لأصحاب الحاجات يهرعون إليه في حوائجهم فلا يتردد لحظة في الاستجابة وما أسرع ما يكون قضاء هذه الحاجات على يديه لما وهبه الله من حب القادرين وما حبب إليهم من الاستجابة لكل ما يطلب دون تردد أو سؤال .

وسعى به الساعون إلى الدولة في فترة حرجة فأمر بمغادرة البلاد وهاجر إلى مصر واشتركت مدينة جدة كلها في توديع الرجل الكريم منهم من ودعه في بيته ومنهم من ودعه في الميناء والخاصة من أصدقائه وهم كثيرون استقلوا الزوارق إلى الباخرة وبقوا معه فيها حتى أوشكت على الرحيل وأصبحت زوجته محل عناية أصدقائه فكانوا يترددون عليها ويتفقدون شؤونها تقديرا لزوجها ووفاء له في محنته وسعى الكثيرون من تجار مدينة جدة وجهاتها في إظهار الحقيقة لأولى الأمر ، وإبطال الفرية المدسوسة ، وماهى إلا أشهر قليلة حتى اصدر جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز أمره بالسماح له بالعودة إلى البلاد وكان قد قضى هذه الفترة

ضييفا كريما بمنزل آل باناجه بالعباسية بالقاهرة وكان يوم عودته يوما مشهودا
اشتركت مدينة جدة كلها في استقباله من الباخرة وعلى الميناء وضاق منزله
بالزائرين الذين توافدوا عليه ليل نهار يهنئونه بسلامة الأياب ويهنئون أنفسهم
بعودته اليهم . « عين الوزيرية »

وكانت مدينة جدة يعسى من نص شديد في الماء وكان كبار أهلها يفكرون
في الوسيلة أو الوسائل التى يمكنهم بها توفير الماء اللازم لمدينتهم وقد بذلت في هذا
الصدد مساع كثيرة من ضمنها إصلاح العين الوزيرية التى عنيت حكومة
السلطان عبدالحميد الثانى بايصالها إلى جدة فى عام ١٣٠٤ هـ والتى كانت
تتوقف وتتلح حينما تشع الأمطار ، وكانت إذ ذاك متوقفة من سنوات طويلة فتم
اصلاح مجاريها وبذلك تدفق منها الماء مرة أخرى وكان الشيخ عبدالله محمد
الصغير أحد الساعين فى إنجاز هذا المشروع فأسندت اليه ادارة هذه العين
ولكنها ما لبثت أن توقفت فيما بعد إلى أن أكرم الله مدينة جدة بالمأثرة الكبرى
لجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وهى إجراء العين العزيزية التى كانت من أكبر
عوامل نمو مدينة جدة واتساعها وذلك فى أول المحرم ١٣٦٥ هـ .

نقول: إن الشيخ عبدالله الصغير اختير لإدارة العين الوزيرية بعد
اصلاحها ، لما يتمتع به من سمعة عاطرة فى مجال الخدمة العامة للشعب ، وهكذا
وجد الشيخ عبدالله الصغير فى هذا المشروع مجالا يكرس فيه وقته للعناية بأهم
مرفق فى حياة المدينة التى احبته وأحبها حتى توفاه الله ، ولقد أصيب فجأة
بالشلل النصفى وقضى أيامه الأخيرة التى لم تطل كثيرا وهو يعانى من هذه
العلة الفادحة حتى اختاره الله تعالى إلى جواره فكان يوم وفاته يوما مشهودا
شاركت فيه مدينة جدة كلها فى تشييعه إلى مثواه الأخير وكانوا يعزون أنفسهم
فيه كما يعزون ذويه ، فقد كان فقيده الجميع تغمده الله بواسع رحمته وأحسن
مثوبته فى دار الخلد إنه على ما يشاء قدير .



عبدالله عريف

الاستاذ عبد الله عريف

أسمر شديد السمرة ، أسود العينين أقرب الى الطول منه الى القصر كان معتدل الجسم في شبابه ولكنه ثقل بعد ان أكتهل فأصبح جسيا ، يرتدى العباءة العربية والعقال ويضع نظارة على عينيه بصورة دائمة .

ولد عبدالله عريف بمكة المكرمة عام ١٣٣٦ هـ وتلقى تعليمه الابتدائي بها ثم ابتعث الى القاهرة وتخرج من دار العلوم بمصر ، وكان خلال سنوات ابتعائه على صلة مستمرة بمعالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذي كان يشجعه كما كان يفعل مع الكثيرين من الطلاب المبتعثين ، وبعد عودته الى مكة المكرمة عمل فترة من الوقت بديوان التفتيش بوزارة المالية ، وفي عام ١٣٦٥ هـ أسندت اليه رئاسة تحرير جريدة البلاد السعودية - صوت الحجاز سابقا - بعد ان عادت الى الصدور بعد احتجاجها مع بقية الصحف طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ولم يكن عبدالله عريف غريبا عن دنيا الصحافة والكتابة فقد كان يكتب في جريدة صوت الحجاز كما كان يكتب في جريدة أم القرى ، وفي صوت الحجاز جرت بينه وبين الأديب المجيد الأستاذ حمزة شحاتة مناقشات طويلة عن الفن وعلاقته بالأدب ، ولقد ذكرت من قبل ان أغلب من عرفت من الكتاب والشعراء كانت لهم بدايات حسنة تنبىء عن الأصالة وعبدالله عريف كان واحدا من هؤلاء

الكتاب ، فقد لفتت كتابته الأنظار وهو ما يزال طالبا في دار العلوم بالقاهرة الى ان استوى كاتبا كبيرا يرأس تحرير اول جريدة يومية في المملكة وهى جريدة البلاد السعودية ، التى تحولت فى عهده الى جريدة يومية بعد ان كانت تصدر باسمها الأول صوت الحجاز - اسبوعية - كما زادت صفحاتها ولقد ظل عبدالله عريف رئيسا لتحرير جريدة البلاد فترة طويلة امتدت الى ما يقرب من عشرة أعوام من عام ١٣٦٥ هـ الى عام ١٣٧٥ هـ وعرف فيها ككاتب يعالج الشؤون العامة بأسلوب رزين وكان ناقدا يطالب بالاصلاح شأنه شأن من يتصدى للكتابة اليومية فى الصحف وخاصة فيما يتعلق بالأمور التى تتصل بحياة الناس اليومية فى المجالات العامة وخلال رئاسته لتحرير جريدة البلاد أصدر كتابه المسمى « رجل وعمل » وهو ترجمة لحياة الشيخ محمد سرور الصبان وأعماله ٠٠ ولقد اضطر عبدالله عريف الى ترك العمل فى جريدة البلاد السعودية بعد ان ظل حليف القلم طيلة سنوات عشر وبعد ان كان اسمه يضافح القراء كل صباح ، ولعل بعض ما كتب كان السبب فى اقصائه عن العمل الذى أحبه وعرفه الناس منه وليس هذا هو المهم فى حياة عبدالله عريف ولكن المفاجأة التى كانت تنتظره والتى كانت الاختبار الحقيقى الذى تعرض له هى عمله فى أمانة العاصمة فى مكة المكرمة .

أَمِينُ الْعَاصِمَةِ

قالوا : - كان صاحب السمو الملكى الأمير فيصل - جلالة المغفور له الملك فيصل فيما بعد - على علم بما يكتبه عبدالله عريف كما كان يتابع أهم ما يكتب فى الصحف باعتباره المرجع الأعلى فى البلاد ، كان فى ذلك الوقت هو النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء كما كان ولى العهد ، وذلك من منتصف الستينات الى منتصف السبعينات - فلما أقضى عن العمل فى جريدة البلاد وخلت بعد ذلك

بفترة وظيفة أمانة العاصمة في مكة المكرمة استدعاه جلالة الملك فيصل - كان يومها رئيسا للوزراء ووليا للعهد - وقال له اننى قد عينتك أمينا للعاصمة في مكة المكرمة وأريد منك ان تحول الأقوال التى كنت تنادى بها الى اعمال فممالك اليوم ليس فى القول وإنما فى العمل ولديك الفرصة لترجم الاصلاحات التى كنت تدعو اليها الى عمل ملموس ، قالوا : وقال عبدالله عريف، اننى اذا لقيت من سموك العون فإننى فاعل ذلك باذن الله ، وقد انطلق عبدالله عريف أمينا للعاصمة بتأييد قوي من ولى الأمر معتمدا على جهده الشخصى فى اعداد المشروعات التى يرى انها لازمة للمدينة المقدسة مجندا لذلك كل ما يقع تحت يده من خبرات الخبراء وجهد العاملين فكان يعد المشروع ويذهب به الى جلالة الملك فيصل شارحا أهميته ومطالبها برصد المال اللازم له فاذا أخذ الموافقة عليه انطلق فى تنفيذه فى غير تردد ولا إحجام متخطيا كل العقبات متغلبا على كل الصعاب ، وللحقيقة فان عبدالله عريف كمكى كان متيا بحب بلده - أم القرى - وكان يرى ككاتب ومثقف ان مكة المكرمة هى ام المدائن ، فهى مهبط الوحى ، ومقر البيت الحرام ، ومهد الرسالة واليها يتجه الناس من كل أقطار الأرض خمس مرات كل يوم واليها تحج مئات الألوف كل عام وان مدينة هذا شأنها يجب ان تكون آية فى النظافة والتنظيم وقدوة فيما يجب ان يتوفر فى أى مدينة كبيرة مثلها ، وبهذا الحب العميق ، وبهذا الوعى الذكى وبذلك التأييد القوى استطاع عبدالله عريف أن يحول القول الى عمل ، وان ينحى القلم جانبا ليعمل بكلتا يديه وبعقله وكل قوته فى بناء مكة المكرمة مدينة حديثة نظيفة فشقت الشوارع بل وفلقت الجبال لتكون طريقا ممهدا للناس واصلحت حوافيها وزينت وانتشرت الاضاءة فى كل شوارع مكة المكرمة التى امتدت وتضخمت فأصبحت تمتد من ناحية الشرق حتى تجاوزت منى وابتلعته ومشيت من ورائها عشرات

الكيلومترات فكان حيُّ العزيزية وحوض البقر ، وامتدت من جنوبها حتى شملت شارع المنصور والحفائر وحيُّ النزهة وامتدت شمالا فاتصل حيُّ الشهداء بها الذى اصبح يطلق عليه الزاهر ، وقامت نواطح السحاب فى مكة المكرمة طبقات تعلوها طبقات كل هذا مع الحرص على توفير كافة الخدمات التى صاحبت هذا النمو من شوارع عريضة ، ومن اضاءة كافية ، ورصف للطوار وتشجير للشوارع وامتدت يد الاصلاح الى ضواحي مكة فكان القادم الى الحديبية على بعد بضع عشرة كيلومترات يجد مدخل مكة المكرمة هناك مضاء يمتد الشجر على جانبيه وكأنه يشير الى ما سيجده القادم فى مكة نفسها من جمال وتنظيم ، بل أن عبدالله عريف سعى لتجميل مدينة بحرة وهى فى منتصف الطريق بين جدة ومكة باعتبارها تابعة لمكة المكرمة ، ولم تقتصر جهود عبدالله عريف على ذلك ولكنه سعى الى ايجاد المسالخ الحديثة فى مكة ومنى كما انه كان يجند كل امكانات امانة العاصمة لنظافة منى والمشاعر المقدسة فى مواسم الحج وكان دائم التفكير والتخطيط لكل ما يراه لازما لتجميل المدينة المقدسة وتحسين مرافقها واظهارها بالمظهر اللائق بمكانتها الدينية والتاريخية ونستطيع ان نقول ان عبدالله عريف قد نجح فيما هدف اليه فتغير وجه مكة المكرمة فى عهد رئاسته لامانة العاصمة المقدسة تغيرا ملموسا يلمسه كل زائر وكل مقيم . وكانت النظافة اهم المرافق التى حرص عليها عبدالله عريف فقد كان يمر بنفسه على الشوارع وخاصة الشوارع النائية ليرى حال النظافة فيها ويحاسب المسؤولين عنها فاستطاعت مكة بهذا ان تحافظ على نظافة شوارعها وطرقها فى الوقت الذى كانت تشكو فيه مدن كثيرة اخرى من تردى أعمال النظافة فيها وللحق فإن العمل فى تحسين مكة المكرمة لم يكن وقفا على امانة العاصمة وحدها وإنما كان يشترك فى ذلك بحكم مركز المدينة المقدسة جهات كثيرة فالدولة نفسها كانت ترعى مشروع توسعة

الحرم المكي الشريف وهو أضخم مشروع من نوعه في التاريخ للمسجد الحرام شمل مشعري الصفا والمروة ، كما أن الدولة وخاصة بعد تأليف الوزارات المختصة تكفلت بشتى المشاريع التى تعتبر ضرورية للمدينة المقدسة والتى ساعدت فى تحسينها وإكمال مرافقها كمشاريع مياه عين زبيدة والعزيزة التى كانت ادارة مستقلة ثم أصبحت تابعه لوزارة الزراعة والمياه ، ومشاريع الحج سواء مايتعلق منها بمنى وعرفات والمزدلفة أو ما يتعلق بمكة المكرمة والتى تألفت لها لجان خاصة ترعاها الدولة ويضطلع بها سمو أمير منطقة مكة المكرمة وسمو وزير الداخلية ووزارة الحج واللجان المتفرعة عن هذه الجهات كلها ومشاريع الكبارى والطرق فى منى وعرفات وطرق الحج والتى امتدت الى مكة المكرمة فشملت مداخلها وبعض شوارعها الرئيسية ، نعم إن الدولة بكامل أجهزتها كانت ولا تزال مجتدة فى تحسين مرافق المدينة المقدسة وما يتبعها من مشاعر الحج، فمن العدل ان نذكر هذه الجهود كلها الى جانب جهود امانة العاصمة ، ولعل من حظ عبدالله عريف أن عهد رئاسته لأمانة العاصمة شهد كل هذه المشاريع وكل هذه الانجازات ولاشك انه امين للعاصمة محظوظ ولاشك أيضا انه كان يستحق هذا الحظ الطيب لأنه لم يركن الى الحظ فينام متكلا على أعمال غيره وإنما ساهم بكل قوته فى تجميل المدينة وتحسينها وكان منسجما مع كل إصلاح يطرأ ومع كل مشروع ينفذ كما كان يحافظ على مكتسبات هذا النجاح بالسهر الدائم والعمل الدؤوب .

تقدير الدولة

وحين تأسست أول وزارة للبلديات فى المملكة وأرادت ان تكافئ القائمين على بلديات المدن تقديرا لأعمالهم كان عبدالله عريف أمين العاصمة المقدسة هو

الوحيد بين رؤساء البلديات الذى استحق تقدير الدولة فقلد وساما منحه له
جلالة الملك خالد بتوصية من صاحب السمو وزير الشؤون البلدية والقروية
تقديرا لجهوده فى خدمة المدينة المقدسة وتحسين مرافقها والمحافظة على نظافتها
ومرافقها .

تكريم المواطنين

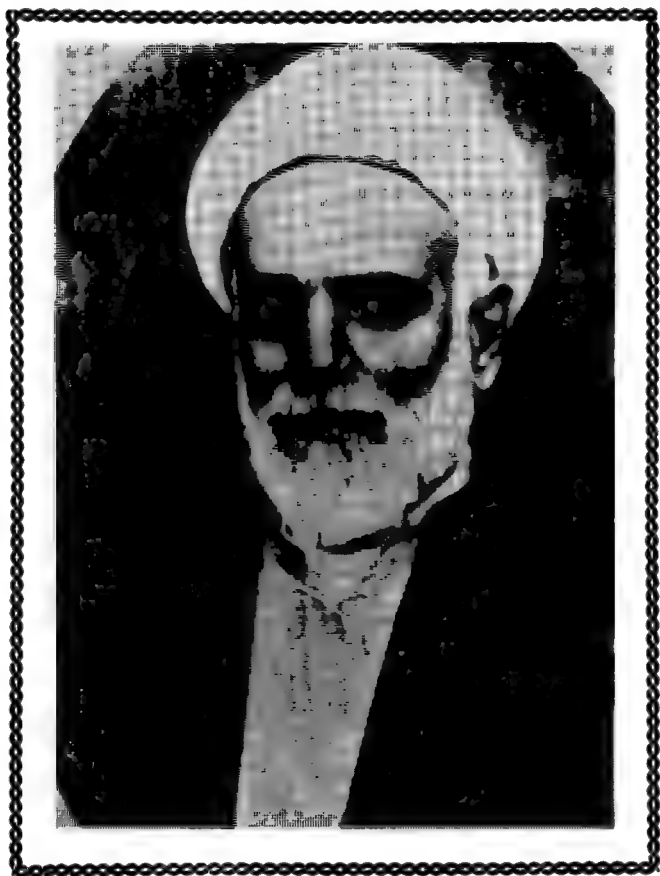
ويطيب لى هنا أن أذكر كلمة وردت فى إحدى مقالات عبدالله عريف عن
نفسه وعما يطمح إليه وأن علق عليها. أذكرانه فال مرة فى إحدى مقالاته يخاطب
نفسه ما معناه « من انت يابائع الفحم حتى تضع نفسك بجانب هذه الأسماء
الكبيرة الشهيرة » وهو يشير بهذا الى انه نشأ فى اسرة متواضعة كان يعمل بعض
أفرادها فى تجارة الفحم ، ولكنه كان منذ نشأته طموحا الى المجد يرنو ببصره الى
الاعمال العظيمة الكبيرة التى كانت تسند دائما الى كبار الرجال وأقول إن
عبدالله عريف استطاع ان يخرج من محيط اسرته المتواضع ليكون أولا كاتباً
كبيرا يرأس تحرير أول وأكبر جريدة يومية طيلة عشر سنوات ثم استطاع ان يصل
ليكون أنجح امين للعاصمة المقدسة شهدت المدينة فى عهده من التوسع والازدهار
ما لم تشهده فى عهد أمين آخر ممن سبقوه من ذوى الأسماء الكبيرة الذين
هيات لهم مراكز أسرهم ان يتبوأوا هذا المنصب ، نعم استطاع عبدالله أولا بعلمه
وثانيا بجهوده واخلاصه ان يضع اسمه الى جانب هذه الأسماء الكبيرة بل وان
يتفوق عليها وهكذا فان الطموح اذا ما صاحبه العلم والعمل كان من أكبر
أسباب النجاح ، ولقد سعد مواطنو مكة المكرمة بتقدير الدولة لأمين عاصمتهم
فسارعوا الى الدعوة لاقامة حفل تكريمى له بهذه المناسبة وساهم الجميع فيه
متبرعين بالمال الكثير ، فلم يكن من عبدالله عريف إلا أن استجاب لهذه

العواطف الزاخرة من المواطنين ولكنه فاجأ المجتمعين بطلب إحالة هذه الأموال التي تجمعت الى مشروع خيرى نافع للبلد المقدس وساهم هو فيه بمبلغ مائة الف ريال وقد أحيلت هذه المبالغ جميعها الى احدى الجمعيات الخيرية بمكة لتصرف فى أعمال البر للمدينة المقدسة ومساعدة المحتاجين للعون من سكانها ، وهكذا أبى حب عبدالله عريف لبلده إلا أن يظهر فى كل مناسبة من المناسبات .

وفاته

هذا ولقد فوجيء الناس بوفاة عبدالله عريف رحمه الله فى أواخر رمضان من عام ١٣٩٧ هـ فلقد كان يقضى بأسرته بعضا من هذا الشهر فى مدينة الطائف فحضر الى مكة فى نهاية الشهر معتمرا وبعد أن أدى نسك العمرة وصلى الفجر ذهب الى بيته ليخلد الى شىء من الراحة ولكنه وجد بعد ذلك فى سريره وقد أسلم الروح ، تغمده الله برحمته الواسعة ، فلقد كان رجلا مخلصا محبا لوطنه كل الحب ، ولقد كانت لوفاته رنة أسمى فى جميع الأوساط لما عرف عنه من جليل الأعمال ، اسبغ الله عليه شآبيب رحمته وأحسن جزاءه فى جنات الخلد إنه سميع مجيب .





الحاج عبدالله على رضا

الحاج عَبْدُ اللَّهِ عَلِي رَضَا

قصير القامة ممتلئ الجسم واسع العينين أبيض اللون أشيب اللحية والعارضين كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، وظل محتفظا بهما إلى آخر حياته ولكنه كان يرتدى العباءة والعقال المقصب حينما يذهب للقاء جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز ولذلك قصة رواها لى ابنه معالى الأخ الشيخ محمد عبدالله رضا قال كان والدى يوما فى مجلس جلالة الملك عبدالعزيز فأهداه جلالته عقالا مقصبا فكان بعدها يرتدى العباءة ويضع هذا العقال المقصب كلما ذهب للقاء جلالته .

ولد الحاج عبدالله على رضا فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى وقد أدركته فى أواخر عهد الملك الشريف الحسين وهو قائممقام جدة - محافظ المدينة كما هو الاصطلاح حاليا - وقد استطاع هذا الرجل أن يحتفظ بمنصبه هذا فى العهد العثمانى ثم فى العهد الهاشمى ثم فى العهد السعودى ، ولعل مما يجدر ذكره ان الحاج عبدالله على رضا هو الذى تولى تسليم مدينة جدة إلى السلطان عبدالعزيز حينما اتفق على تسليمها صلحا فقد سافر الملك على بن الحسين من جدة بالباخرة وفى اليوم الثانى بدأ تسليم المدينة للسلطان عبدالعزيز - جلالة الملك فيما بعد - وقد رأيت الحاج عبدالله على رضا يذهب بسيارته إلى مقر الملك عبدالعزيز فى الكندرة ويعود معه كبار رجال الملك عبدالعزيز الذين عهد إليهم

بالدخول إليها قبل جلالة ، وهكذا استمر الحاج عبدالله في الذهاب والأوبة إلى أن عاد مع الملك عبدالعزيز في سيارة واحدة ودخلا من باب مكة حيث نزل جلالة في بيت نصيف وتقبل البيعة من الناس ، هذا ولقد كان الملك عبدالعزيز يؤثر الحاج عبدالله على رضا بمودته وإكرامه فلم يُعَيِّن أمير المدينة جدة طيلة حياة الحاج عبدالله على رضا وكان أول أمير لها هو الأمير عبدالعزيز بن معمر رحمه الله وذلك بعد وفاة الحاج عبدالله على رضا ، ولم يكن يتقاضى مرتبا على عمله كقائم مقام وإنما كان يخدم المنصب بصورة شرفية دون مرتب فلقد كان واسع الثراء ، وكان هو وأخوه الأكبر الحاج زينل قد قاما بتأسيس بيتهم التجارى في جدة عام ١٢٨٤ هـ ثم قاما بتأسيس فرع لهم في مدينة بومباى بالهند ، وحينما انقسمت الهند إلى دولتين بعد الاستقلال انتقل بيتهم التجارى إلى مدينة كراتشى مع ميلاد دولة باكستان .

إن ما لفت نظرى في تاريخ الحاج عبدالله على رضا ليست قدرته على الاحتفاظ بمنصبه كحاكم إدارى لمدينة جدة خلال ثلاثة عهود سياسية مختلفة فحسب ، وإنما محاولاته الأولى لاستخلاص الأعمال التجارية من أيدي الأجانب الذين كانوا يسيطرون عليها ، فلقد كانت هناك بيوت تجارية أجنبية كثيرة في مدينة جدة : إنجليزية ، وفرنسية ، وهولندية ، وإيطالية . وكانت هذه البيوت تتولى وكالة البواخر المختلفة التى ترد إلى مدينة جدة وكان الحاج عبدالله على رضا من أوائل التجار الوطنيين الذين فكروا وعملوا لاستخلاص بعض هذه التواكيل من أيدي هؤلاء الأجانب مفتحا بذلك وكالته التجارية للبواخر وهو أمر كان يعتبر في ذلك الزمان عملا عظيما بلا مرأ .

ولعله من المستحسن أن نذكر الآن طرفا عن ماضى التجارة وأحوالها في الحجاز خلال العهد الهاشمى وأوائل العهد السعودى .

كان العمل التجارى يعتمد بصورة تكاد أن تكون كلية على الاستيراد وكانت الهند هى المصدر الأعظم للاستيراد فلقد كانت الهند تصدر كل شئ إلى جدة سواء من الحبوب أو الأقمشة الشعبية أو الأحذية وأوانى الطعام وما إليها وكانت البواخر الشراعية خلال أواخر العهد العثمانى فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى هى واسطة هذا الاستيراد وكان كثير من التجار يملكون هذه البواخر أو قسما منها ، كان يشترك تاجران أو أكثر فى ملكية باخرة واحدة وكان هناك ربانة وطينون للبواخر ومازال بعضهم يمارس هذا العمل مثل آل سلامة والرقبان وخلافهم ، ولم تكن هناك بنوك تجارية لتحويل النقود بواسطتها وإنما كانت ترسل صراً فى هذه البواخر الشراعية إلى البيوت التجارية فى الهند وكان التجار يعمدون إلى تقسيم المبالغ المرسلة فى عدة بواخر حتى إذا غرقت باخرة لم يفقد التاجر إلا جزءا من ماله المرسل إلى الهند وكانت هذه البواخر الشراعية تسافر فى مواعيد معينة وتعود كذلك فى مواعيد معينة متجنبه أوقات الفيضانات واضطراب البحر ولقد علمت أن هذه البواخر الشراعية كانت تجلب حاجة الحجاز من الأقوات والبضائع كما تجلب حاجة مصر منها وذلك قبل شق قناة السويس فكانت هذه البواخر الشراعية بمثابة مخازن عائمة تبقى فى البحر وينزل منها إلى ميناء جدة ما تحتاجه البلاد ويبقى الباقي فى هذه البواخر لتصديره إلى مصر التى كانت تستورد كثيرا من البضائع التى تحتاج إليها بواسطة التجار الحجازيين وعن طريق هذه البواخر التى تصدر هذه البضائع إلى ميناء السويس والقصر ، وبعد شق قناة السويس انتهت حاجة مصر إلى الاستيراد عن طريق ميناء جدة ، وأصبحت تستورد ما تحتاج إليه سواء من الغرب أو الشرق عن طريق قناة السويس .

أقول وقد أدركت البواخر الشراعية وهى تسير بين ميناء جدة وميناء الحديدة فى اليمن ، حيث تستورد القلال من ميناء الحديدة أو جيزان كما كان استيراد

الشعير والتمر يتم من ميناء البصرة في العراق ، هذا وقد انتهت الحاجة إلى هذه البواخر الشراعية بعد توفر البواخر التجارية الكبيرة ، وتعاظم كميات البضائع التي تحتاج إليها البلاد ، وكانت هناك بيوت تجارية معينة في مدينة بومباي بالهند هي بيوت الحاج عبدالله بهائي وهو هندي مسلم ، كما كانت هناك بيوت تجارية حجازية هي بيت الحاج عبدالله على رضا وبيت الحاج سليم الخنجي ولقد كانت الطريقة أن ترسل هذه البيوت التجارية برقيات إلى عملائها من التجار في جدة بأسعار البضائع حينما يتعين تاريخ سفر إحدى البواخر الكبيرة إلى جدة ويرتبط التجار بالشراء لترد بضائعهم في وقت واحد وعلى باخرة واحدة وكان وكلاء البواخر يعمدون إلى التبليغ عن وصولها وسفرها بواسطة المنادى - حينما كانت مدينة جدة محصورة داخل أسوارها وكان المنادى يطوف في شوارع جدة وأسواقها يتنادى ويقول على سبيل المثال - بابور بوسطة إنجليزى اسمه جهانكير ان شاء الله بكرة حضوره هنا ، كل من عنده صرّه أو أمانة يراجع في الحال الوكيل الحاج عبدالله على رضا وهكذا على البواخر الأخرى موضحا اسم الباخرة وموعد وصولها واسم الوكيل .

ولقد ظلت التجارة محصورة مع الهند تقريبا ولم يتم الانفتاح بصورة عامة إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبانتهائها بدأت النهضة التجارية العظيمة في البلاد وأصبح الاستيراد والتزاحم مفتوحا للجميع ، وبدأت البيوت التجارية السعودية تمارس نشاطها الواسع الذي قضى على النفوذ التجارى للبيوت الأجنبية بل وأنهى وجودها تماما ولعله من الطريف أن نذكر هنا أنواعا من التجارة انتهت تماما فلم يعد هناك من يمارسها .

كانت هناك تجارة الماء ، وكانت لمدينة جدة صهاريج كبيرة لحفظ مياه الأمطار ، وكانت هذه الصرّيج تبني في طريق السيول خارج المدينة ، ومن أشهر

هذه الصهاريج صهريج المشاط ، وصهريج باناجه ، وحفرة حميد الشيخ فاذا جاءت الأمطار وامتألت هذه الصهاريج تغلق فوهاتنا ويبقى الماء محفوظا فيها إلى حين الحاجة إليه بعد انتهاء موسم الأمطار فتفتح هذه الصهاريج ويباع الماء للجمهور ، وكانت أغلب بيوت جدة القديمة مزودة بهذه الصهاريج لحفظ الماء الذى ينحدر من السطوح بواسطة مواسير من القماش إلى الصهريج فى أسفل المنزل ، وكان البعض يملأ هذه الصهاريج بشراء الماء فى موسم الأمطار وتخزينه فيها إلى حين الحاجة إليه ، وكما كانت هناك تجارة للماء ، كانت هناك تجارة السمن يوم كان اعتماد الناس على السمن الطبيعى وهناك مثل مشهور متداول وهو من لا يشتري السمن فى الثور ثور والمعنى أن السمن يكثر فى فصل الربيع فى برج الثور فكان الناس يقبلون فيه على الشراء لحاجة بيوتهم أولتجارتهم ، ومثل ذلك ينطبق على الفحم قبل دخول الكهرباء والغاز إلى البلاد فكانت هناك مواسم معينة يكثر فيها الفحم ويقوم بعض تجاره بشرائه وتخزينه لبيعه بأنما أعلى حين الحاجة إليه .

ونعود بعد هذا الاستطراد الطويل عن ماضى التجارة إلى كبير تجار جدة الحاج عبدالله على رضا لنقول إنه كان يعيش بين الناس وكأنه فرد منهم لا يشعرهم بهيمنة الحاكم ولا بسلطان الحكم ، أذكر أن الحاج عبدالله على رضا حينما كبر ابنه البكر محمد - معالى الشيخ محمد عبدالله رضا وزير التجارة الأسبق - أراد أن يزوجه ويفتح له بيتا تجاريا خاصا باسمه وكان المنزل الذى يسكنه آل المجموم تعود ملكيته إلى زوجة الحاج زينل فطلب الحاج عبدالله من الشيخ محمد صالح مجموع إخلاء المنزل لهذا الغرض فامتنع الشيخ محمد صالح عن ذلك قائلا اننا نسكن هذا البيت من عشرات السنين وفيه محلنا التجارى وعوائلنا الكثيرة ولا نجد بيتا آخر يسعنا فنحن أحوج إليه منكم ، لم يلجأ الحاج عبدالله إلى

سلطته كحاكم ، ولا إلى صلته الشخصية بجلالة الملك او سمو النائب العام ، وإنما ذهب إلى كبير تجار جدة الشيخ عبدالرحمن باناجه رحمه الله وشكاً إليه الأمر وطلب منه أن يفصل فيه باعتبار أن القضية هي بين تاجرين يحتكمان إلى كبير بينهم ، وبهذا الأدب العالى كان يتصرف هؤلاء الرجال الكبار ، وكان الحاج عبدالله يستقبل الناس في بيته التجارى ويقرأ معروضاتهم ويشرح عليها بخط يده ويحيلها إلى الجهات المختصة في بساطة ويسر وكان يخلط نفسه بزملائه من التجار فيزورهم ويزورونه وكان يعتبر نفسه مسؤولاً عن المدينة التى يمثل الدولة فيها فيعنى بأمور أهلها ما وسعته العناية وأنى لأذكر له حادثة واحدة تدل على كبر نفسه ونبل خصاله •

في أوائل الخمسينات وحينما قامت فتنة ابن رفاة الذى وصل إلى مدينة الوجه عن طريق السويس مع مجموعة من المسلحين بادر المغفور له الملك عبدالعزيز بالقضاء على هذه الفتنة في مهدها بصورة سريعة وكانت العلاقات بين البيت السعودى والبيت الهاشمى الذى كان يمثله الملك عبدالله بن الحسين لم تتحسن بعد • أقول: في ذلك الوقت بالذات كانت مجموعة من شباب جدة قاموا بتأسيس أول ناد أدبى في جدة ، وكانت الاجتماعات تتم في هذا النادى حتى قبل الحصول على الترخيص الرسمى بافتتاحه من الدولة وكانت أغراض النادى ثقافية واجتماعية ، وكانت تلقى فيه المحاضرات والقصائد ، وكان هذا النادى يعقد بمنزل المرحوم عبدالعزيز جميل ثم بمنزل المرحوم الشيخ صالح اسلام وكان من أعضاء النادى الأستاذ حسن عواد والأستاذ حمزة شحاته والمرحوم أحمد لارى ، والشيخ حسن أبو الحمايل والأستاذ يونس سلامه وغيرهم وكان كاتب هذه السطور أصغر أعضاء النادى على الإطلاق •

ويبدو أنه نقل إلى الحكومة بعض أخبار هذا النادى بصورة مبالغ فيها في الوقت الذى كانت فيه الحوادث التى ذكرناها آنفاً ويبدو أن جلالة المغفور له

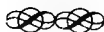
الملك عبدالعزيز أراد اتخاذ إجراء بالنسبة لهذا النادي وغيره من الناس ، ولكنه أثر إرجاء النصح والانداز قبل أى إجراء وعقد لهذا الأمر اجتماع كبير فى مبنى وزارة المالية بمكة سبقه تبليغ كثير من الناس بواسطة الشرطة ضرورة حضور هذا الاجتماع ، وإنى لأذكر أنه عين لنا موعدا للحضور فى الخزانة - المبنى الذى كانت تشغله قائممقامية جدة وهو أمام ميدان البيعة حاليا وقد أزيل المبنى لقدمه - فحضرنا وقابلنا المرحوم الشيخ على طه رضوان الذى كان معاونا لقائم مقام جدة وقال لنا جميعا إن السيارات ستأخذكم إلى مكة فتقابلون الحاج عبدالله على رضا فى منزله بزقاق الحفرة بالشبيكة ، وقد أكد المرحوم على طه عليّ بصورة خاصة أن أذهب إلى هناك فذهبنا ، وكنا مجموعة مختلفة من الناس نجتمع بين فئات كثيرة فهناك التجار وأساتذة المدارس والشباب وأرباب الحرف المختلفة ، وحينما وصلنا إلى مكة تناولنا طعام الغداء فى منزل الحاج عبدالله وقبل الذهاب إلى الاجتماع استدعانى وقال لى اسمع ما أقوله لك إذا انتهى جلالة الملك من خطابه تحضر إلىّ لأقدمك إليه قلت لماذا ، قال : هذا ما ستعرفه بعد ولكن احرص أن تكون قريبا منى وتحضر لأقدمك لجلالة الملك وبالفعل ذهبت إليه بعد إنتهاء خطاب الملك عبدالعزيز رحمه الله فأخذنى بيدي وكنت صغير السن صغير الحجم ، ولعلّى كنت أصغر من تحضر الاجتماع ، وقال لجلالة الملك عبدالعزيز بالحرف الواحد هذا هو محمد على مغربى يا جلالة الملك - ولقد كان جلالتة فى قامته الفارعة وجسمه الملىء وكنت أقف أمامه فى حجمى الضئيل كطفل صغير رحمه الله .

ولقد علمت بعدها أن سبب تقديى لجلالتة من قبل الحاج عبدالله على رضا أنه أراد إقناع جلالة الملك عبدالعزيز بأن ما نمى إليه عبقّ النادي الأدبى أو عن شباب جدة لاصحة له ، وأراد أن يرانى جلالة الملك عبدالعزيز شخصيا ليرى أن من كان فى سنّى الباكر لا يمكن ان يصدر عنه ما يسىء إلى الدولة ، وأن ما أخبر به جلالتة مبالغ فيه .

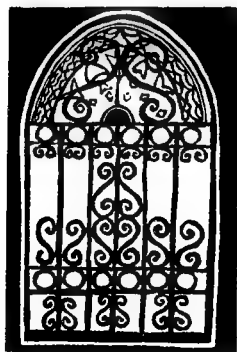
كما علمت أنه تعمد أن يدعى إلى حضور الاجتماع هذه المجموعة المختلفة من الناس حتى لا يعرف المقصودون بالدعوة أو يرتاع أهلهم ، هذا التصرف من رجل كالحاج عبدالله على رضا يدل على الشجاعة لأنه وهو يمثل الحكومة لم يقف موقفا سلبيا إزاء المدينة التي يمثل الدولة فيها وإنما حاول جهده الدفاع عن أهلها بحق سارحا لولي الأمر ما يعرفه في أمانة وشجاعة .

هذا ومن الحق أن أذكر أن بيت آل زينل في الهند الذي أسسه صاحب الترجمة مع أخيه كان إلى جانب عمله التجارى يقوم بعمل إنسانى نبيل فكثيرا ما أرسل الحاج عبدالله والحاج زينل المرضى إلى الهند لعلاجهم أو إجراء العمليات لهم على نفقتهم ممن لا تتوفر لهم فرص العلاج في البلاد في ذلك الزمان .

وفي عام ١٣٥٢ هـ مرض الحاج عبدالله على رضا مرضا طويلا في مدينة الطائف وكان يصيف بها فكان جلاله الملك عبدالعزيز يزوره في الدار التي ينزل فيها بالمشاة ويكرر له الزيارة وقد قدم المرحوم الحاج محمد على زينل ابن أخيه خصيصا لزيارته من الهند واستقدم معه الطبيب المصرى الشهير محمد عرفان بك ولكن المنية عاجلته فتوفى بمدينة الطائف في صيف عام ١٣٥٢ هـ وحضر الصلاة عليه المغفور له الملك عبدالعزيز ودفن بمقبرة ابن العباس تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان من عظماء الرجال .



أعلام البحارة
في القرن الرابع عشر للهجرة





محمد حسن عواد

محمد حسن عواد

متوسط القامة معتدل الجسم ابيض اللون تشوب بياضه حمرة ، له عينان واسعتان ملونتان ، أجرد اللحية والعارضين ، ولد بمدينة جدة عام ١٣٢٠ هجرية وتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح وبعد تخرجه منها عين استاذاً فيها ، كان يرتدى الكوفية الحجازية والشال وبعد تركه العمل في مدرسة الفلاح كما يأتي بيانه اصبح يرتدى الجبة والعمامة الحجازية لفترة قصيرة وبعد انتقاله للعمل في الحكومة ارتدى العباءة العربية والعقال واستمر على ذلك الى آخر حياته وقد ظهر تفوق العواد وبدأت اشارات نجابته منذ ان كان تلميذاً بالفلاح الى ان استوى استاذاً بارزاً فيها ، وقد ادركته في اوائل الاربعينات وهو من ابرز مدرّسي الفلاح ومن احب الاساتذة الى التلاميذ وهو في ريعان شبابه وأوج فتوته ، ومما تجدر الاشارة اليه أن العواد رحمه الله كان استاذاً لكثير من ادباء جدة الذين ظهرت اسماءهم فيما بعد مثل الاساتذة حمزة شحاتة ، واحمد قنديل ، رحمهما الله والاستاذ محمود عارف وعباس حلوانى ومحمد على باحيدرة وخلافهم من ادباء جدة البارزين ، ولست في حاجة لأن اقول اننى كنت من تلامذته في مدرسة الفلاح ووجدت من حسن رعايته وتشجيعه ما كان له اعظم الأثر في نفسى فلقد كان اول من شجعنى على الكتابة اذ كان يدرّس لنا مادة الانشاء - وهو الاسم الذى كان يطلق على مادة

اللغة العربية في ذلك الوقت ان صح هذا التعبير ، ولعل الكثيرين لا يعرفون ان اول مؤلفات العواد كان في شرح هذه المادة واسمه (الاكليل الذهبي في تعليم الانشاء العربى) وقد اهدانى نسخة منه تشجيعا لى على تجويد ما اكتب وكان لهذه الجائزة اثرها الكبير فى نفسى وانا تلميذ صغير فى المرحلة الابتدائية ، وللعواد رحمه الله مؤلف آخر أو على الاصح مشاركة فى مؤلف صغير اسمه معارضات ياليل الصب ، ذلك أن العواد نظم قصيدة يعارض بها قصيدة الحصرى الشهيرة ياليل الصب متى غده ✽ أقيام الساعة موعده

وشجع اصدقاءه من الادباء على نظم معارضات لهذه القصيدة وجمعت هذه المعارضات فى كتيب صغير وطبعت تحت اسم معارضات ياليل الصب وأذكر انه كان من ضمن المشاركين فيها الاساتذة محمود عارف وهو شاعر غنى عن التعريف ، وله دواوين مطبوعة ومحمد على باحيدرة وعباس حلوانى^(١) وغيرهم من الأدباء من تلاميذ العواد واصدقائه وكان هؤلاء الادباء منتدى صغير يجتمعون فيه مساء كل يوم للسمر والمحادثة ولكنه لم يكن منتدى ادبيا على اى حال .

بَرِيدُ الْحِجَازِ

وحينما وقعت الحرب الهاشمية السعودية وتولى الملك على بن الحسين عرش الحجاز صدرت فى مدينة جدة جريدة بريد الحجاز اصدرها الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله ، وكان العواد ابرز كتابها لأنه كان ابرز الادباء فى ذلك العهد واننى انقل هنا ما كتبتنه عن بريد الحجاز فى الحلقة الخاصة بالمرحوم الشيخ محمد صالح نصيف مما له صلة بالاستاذ محمد حسن عواد ما يلى :

(١) وعبدالوهاب نشار رحمه الله

« وقد وجدت عن بريد الحجاز والاستاذ محمد حسن عواد في كتاب
 « ابتسامات الايام في انتصارات الامام » ما يستحق الاقتباس وهذا الكتاب هو
 ديوان يضم قصائد شاعر نجد الكبير الشيخ محمد عبدالله بن بليهد من عام
 ١٣٣٧ الى ١٣٧٠ هجرية ومعظم قصائد هذا الديوان في الوقائع التاريخية التي
 خاضها جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وأنجاله الكرام جلالة الملك سعود
 وجلالة الملك فيصل رحمهما الله والكتاب مهدي الى صاحب السمو الملكي الامير
 عبدالله الفيصل ، وكيل نائب جلالة ملك المملكة العربية السعودية « هذه كانت
 وظيفة سموه الرسمية حين طبع الكتاب » أقول جاء في هذا الكتاب في الصفحة
 ٨٦ عن بريد الحجاز والاستاذ محمد حسن عواد ما نصه وقلت : وانا في مكة مع
 الامام عبدالعزيز وقد وردت قصيدة لرجل من اهل جدة يقال له حسن عواد
 وجعل توقيعه تحت قصيدته الاخطل الاصغر فرددت على ذلك الشاعر وقلت
 القول اللطيف في الرد على شويعر الشريف الحمد لله وحده والصلاة والسلام
 على من لا نبي بعده فقد ورد في بريد الحجاز الخارج من جدة من بلد الشريف
 على بن الحسين قصيدة لمن سمي نفسه الاخطل الاصغر فقلت وهذا خليفة
 الاخطل النصراني فقال في قصيدته في رجب ١٣٤٣ هجرية وهذا مطلع قصيدته
 على الخفيف :

حدثهم عن بأسنا يا حراب ✽ واذهم نكالنا يا عذاب
 وامطريهم قذائفنا يا منايد ✽ كأن الدخان منها سحب
 الى ان قال :

ايها المصلحون في الشرق مهلا ✽ اين اصلاحكم واين الصواب ؟
 الى آخرها وهي ثمانية وعشرون بيتا فقلت مجيبا له :

ما اصبتم وما لديكم صواب ✽ بعد ما نُصِرَ في البريد كتاب
وانتبهنا لقولكم حين قلتم ✽ حديثهم عن بأسنا يا حراب
إن هرمتهم على الحروب فإننا ✽ كلما طالت الحروب شباب
والقصيدة في خمسة وخمسين بيتا ومنها في وصف الاسلاك الشائكة التي كانت
تحيط بمدينة جدة خلال فترة الحصار .

ان ظننتم بان سلككم اليوم ✽ عن رحى الحرب والمنون حجاب
فارقبوها من الكتيب سراعا ✽ طالعات كأنهن الهضاب

ومنها في وصف ما كان يعانيه الحجاج من فقدان الامن :
كم اخذتم من الحجيج فلوسا ✽ طالما ازعج الحجيج النهاب
كم عثت فيهم اللصوص وأمست ✽ عندكم ما على اللصوص عقاب
انتهى نص ما نقلناه عن كتاب ابتسامات الايام والغرض من هذا النقل هو
الاشارة الى الناحية التاريخية في الموضوع لأن هذا العهد قد انقضى والحمد لله
بكل ما كان فيه واستعاضت البلاد عنه امنا شاملا ووحدة كاملة ورخاء عظيما
وهكذا نرى ان الشعر السياسي كان وسيلة من وسائل الاعلام في ذلك العهد وكان
يمثله شاعران من اكبر شعراء المملكة احدهما الاستاذ الشيخ محمد حسن عواد من
اكبر شعراء الحجاز والثاني الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد من شعراء نجد
ومؤرخيها ومن اعلم الناس بالمواقع والآثار في الجزيرة العربية وله مؤلف عظيم في
هذا الباب رحمهما الله .

خَوَاطِرُ مُصَرَّحِهِ

في عام ١٣٤٥ هـ اصدر العواد كتاب « خواطر مصرحة » وهذا الكتاب

احدث ضجة عظيمة في وقته لأنه كان صريحا في معالجته للامور التي تناوها بل نستطيع ان نقول انه كان جريئا بصورة غير مألوفة ولقد تعرض العواد باصدار هذا الكتاب لمشاكل كثيرة فقد عينت الحكومة لجنة للتحقيق معه فيما ورد في كتابه هذا^(١) وخاصة في مهاجمته للعلماء التقليديين الذين هزأ بهم فأكثر الهزء وكلفهم كما كلف نفسه شططا وفقد العواد بهذا الكتاب مكانته الممتازة كأستاذ ملحوظ في مدرسة الفلاح بجدة وهي اهم مدرسة في المدينة وانتقل للعمل في المدرسة الحكومية الابتدائية التي كانت شبيهة بالفلاح ولكن لم تكن لها مكانتها ولم يطل به الامر في المدرسة الابتدائية فانتقل للعمل في مكة في شعبة الطبع والنشر ثم انتقل الى جدة ليعمل رئيسا لكتاب المحكمة التجارية التي كان يرأسها الشيخ سليمان قابل رحمه الله وهو بهذا الانتقال اصبح يعمل في غير مجاله الصحيح وهو مجال العلم والتعليم والأدب والفكر ثم انتقل أخيرا الى مكة المكرمة ليعمل محققا بالقسم العدلى في ادارة الامن العام بالحميدية وبانتقاله الى مكة امكنه المساهمة في تحرير جريدة صوت الحجاز حين ظهورها لأول مرة فقد كان احد رؤساء التحرير الثلاثة الذين اطلق عليهم اسم (نخبة من الشبان) وهم الاساتذة عبدالوهاب آشي ومحمد حسن فقى مد الله في حياتهما والاستاذ محمد حسن عواد رحمه الله ، وكانت الجريدة تصدر اسبوعية وكان كل رئيس تحرير يكتب افتتاحية احد اعدادها ولم يستمر العمل في رئاسة تحرير الجريدة بهذا الاسلوب الا فترة من الزمن ثم عين لها رئيس تحرير مسؤول وقبل أن نستطرد في ذكر الاعمال التي تقلدها الاستاذ العواد لا بد ان نقف بعض الوقت عند كتاب « خواطر مصرحة » •

(١) كانت اللجنة مؤلفة من صاحب السمو الملكي الامير فيصل والشيخ محمد صالح نصيف ومهدى المصلح -

انظر ديوان العواد الاقن الملتب صفحة ٥٧ و ٥٨ ••

لقد قلت في حلقة سابقة اننا نستطيع ان نؤرخ لظهور الادب الحديث في الحجاز بظهور كتابي ادب الحجاز والمعرض اللذين اصدرهما المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان وهما مجموعة مقالات وقصائد لأدباء الحجاز في ذلك العهد وقد شارك فيهما الاستاذ عواد رحمه الله مشاركة واضحة وكذلك بظهور كتاب « خواطر مصرحة » للاستاذ محمد حسن عواد وهو كتاب مستقل بذاته وجميع هذه الكتب ظهرت في النصف الاول من الاربعينات وفي اوائل العهد السعودي عام ١٣٤٥ هـ ولقد كان الأدب والشعر في هذه البلاد في حالة ركود تام والأدباء الذين ظهرت بعض آثارهم من قبل كانوا ادباء تقليديين ان صح هذا التعبير فالتشر تضع معانيه بين ثنايا السجع ، والشعر تغلب عليه المحسنات البديعية التي تحفل بالمبالغات والاستحالات ، والجو الأدبي يخيم عليه الركود والانحلال في هذا الوقت بدأ شباب مكة وجدة ممن تعلموا في مدارس الفلاح خاصة يفتحون عيونهم على ما تحفل به الصحف المصرية من نشر وشعر وما تنتجه المطابع العربية من ثمرات القرائح والأفكار لأدباء العرب في مصر وسوريا ولبنان بل وفي المهجر فقد كانت هناك الرابطة القلمية ولها مجلة تصدر في نيويورك وكانت تنشر آثار الأدباء السوريين واللبنانيين المهاجرين في امريكا كما تطبع مؤلفاتهم ومن ابرزهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا أبو ماضي وغيرهم .

وكانت هذه الصحف وتلك الكتب بما تحتوي عليه من افكار وما تضمه من آثار تجدد صدى عظيم في نفوس الشباب المتعطش للعلم والراغب في تجديد الحياة في جميع مجالاتها فلما أتبع هؤلاء الفتية من المتعلمين ان يعبروا عن رغباتهم وافكارهم كان هذا التعبير ممثلا أولا في الكتابين اللذين اصدرهما المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان وهما كتاب « ادب الحجاز والمعرض » وفي كتاب الاستاذ محمد حسن عواد « خواطر مصرحة » الذي هو موضوع هذه الحلقة ، لهذا كان كتاب العواد في

حينه بما حواه من افكار جريئة مفاجأة لكل من قرأه لا في داخل البلاد وانما في خارجها ولقد اعتبره الدارسون بداية للتجديد في الادب الحجازى واستشهد به عميد الادب العربى الدكتور طه حسين رحمه الله ، كما اشار اليه الكاتب العربى الكبير محب الدين الخطيب حينما ذكر ان موجة التجديد وصلت الى الحجاز ولكنها بدأت من الشارح الخامس في نيويورك اشارة الى ما يحفل به كتاب العواد من النشر الفنى على طريقة ادباء المهجر في ذلك الزمان .

وبما اذكره عن « خواطر مصرحة » اننى اشتريت نسخة منه وانا طالب بمدرسة الفلاح اول ظهوره وابصر الشيخ عمر حفنى رحمه الله وكيل المدرسة النسخة فى يدى فسألنى عنها فقلت انها « خواطر مصرحة » قال وهل تريد ان تقرأه ؟ قلت : نعم قال: لا تقرأه قلت ولكنه لأستاذنا العواد قال: ولو ، انه كتاب سئىء ولكن هذا النهى لم يزدنى الا إصرارا على قراءة الكتاب والاحتفاظ به ولا يزال عندى حتى اليوم ، كما اذكر ان استاذنا الشيخ حسين مطر مدير مدرسة الفلاح رحمه الله القى كلمة فى الطلاب بعد صلاة الظهر حين ذاك قال فيها ما معناه ان محمد حسن عواد كان تاجا على رأس المدرسة ولكنه بعد ان اصدر كتاب « خواطر مصرحة » فقد مكانته فيها ، ولست فى حاجة لأن اقول ان كل هذا العداء لم يزد العواد الا اصرارا على موقفه وتصلباً فى آرائه. فقد كان عنيدا لا يتراجع ولو وقف الجميع ضده ، والواقع اننا لو اردنا تقييم الكتاب بمحتواه بعيدا عن الظروف التى شرحناها لوجدنا انه عبارة عن مجموعة مقالات تدعو الى الاصلاح والى التجديد فى كل شئء ولكن بعضها ينتهج اسلوبا جارحا فى التعبير وخاصة فى تلك المقالة التى يوجهها الى العلماء وكان من الممكن التعبير عن هذه الافكار بأسلوب اكثر هدوءا وقل اندفاعا ، ولكن الكتاب كما قلنا كان مفاجأة مذهلة للناس فاستحق ان يدخل التاريخ ايذانا بابتداء حركة التجديد فى الادب

في الحجاز مع ما سبقه من كتابي « ادب الحجاز والمعرض » وما تلاهما من ظهور
جريدة صوت الحجاز التي كانت تعبيرا مستمرا عن هذا الأدب لسنوات طويلة
فيما بعد .

ولقد اصدر العواد بعد ذلك الجزء الثاني من « خواطر مصرحه » عام
١٣٨٠^(١) فمرت الخواطر دون ان يشعر بها احد ذلك ان ما كتبه العواد في عام
١٣٤٦ هـ كان جديدا على الناس وجريئا في ذلك الزمن ، اما ما جاء بعد ذلك
فقد اصبح امرا عاديا ومألوفا ولكل زمان حكمه ، وقد كان حظ العواد في الخواطر
الاولى هو فضل السبق والجرأة فاستحق بذلك ان يدخل التاريخ كأديب مجدد
رائد شجاع .

المعارك الأدبية

نخاض العواد معارك ادبية كثيرة سنتحدث عن ابرزها إكمالا لتصوير
شخصيته الادبية ومن ابرز هذه المعارك معركته مع الاستاذ عبدالقدوس
الانصارى صاحب مجلة المنهل فقد اصدر الأستاذ عبدالقدوس قصة بعنوان
(التوأمان) لعلها اول ما طبع له من اثار - وانتقد العواد القصة نقدا لاذعا ورد
عليه عبدالقدوس واستمرت المعركة بينهما بعض الوقت كما ان له معركة اخرى مع
المرحوم الشيخ حسين باسلامه مؤلف كتاب « سيد العرب » وبعض الكتب عن
تاريخ مكة والمسجد الحرام كما ان له معارك اخرى مع الاستاذ حمد الجاسر
والاستاذ عبدالعزيز الربيع وغيرهم ولكن اهم معاركه الادبية هي معركته مع
الاستاذ حمزة شحاتة رحمه الله واننى استمد الآن من الذاكرة ما اعرفه عن

(١) خواطر مصرحه جزءان في مجلد واحد مطبعة المدني الطبعة الثانية .٠٠

خفايا هذه المعركة التي استمرت شهورا طويلة والتي كانت معركة شعرية رمزية
ثم انتهت نهاية سيئة مؤسفة .

كان العواد محققا بالقسم العدلى بإدارة الأمن العام في مكة المكرمة وكان
المرحوم الاستاذ طلعت وفا رئيس القسم العدلى صديقا حميا للاستاذ حمزة شحاتة
وكان حمزة دائم الشكوى من العواد ينتقد تصرفاته واعماله واحب طلعت وفا ان
يجمع بين الأدبين الكبيرين لإصلاح ذات البين وتصفية النفوس فاجتمعا وكنت
انا وطلعت نحضر هذا الاجتماع بمنزله في أحياد وطال النقاش وكنت أمل كما كان
الأستاذ طلعت وفا يأمل أن ينتهى الاجتماع بالوفاق خاصة وان العواد هو استاذ
حمزة شحاتة ولكن حمزة غفر الله له هاجمه مهاجمة شديدة جارحة وانتهى الاجتماع
بالقطيعة بل اسفر عن خصام شديد وإنى لأذكر انى عاتبت حمزة رحمه الله بعد
ذلك ووضحت له انه كان قاسيا في هجومه على العواد وانه استباح في مهاجمته
مالا يستباح فاعترف حمزة بذلك ولكنه كان عنيدا وبدأت المعركة بقصيدة او على
الاصح بقصائد شعرية ينظمها حمزة ويرد عليها العواد وكانت قصائد طويلة تنشر
جميعها في جريدة صوت الحجاز وكان الناس يترقبونها كل اسبوع ، وكانت
الجريدة اسبوعية في ذلك الوقت وكان حمزة قد اتخذ اسم الليل رمزا له في هذه
المعركة ثم تحول فيما بعد الى العاصف ان لم تخنى الذاكرة اما العواد فكان الساحر
العظيم هو الرمز الذى اختاره لنفسه ، من الناحية الفنية كانت هذه القصائد
كسبا للأدب لأنها جاءت في اسلوب فنى لشاعرين من اكبر الشعراء في ذلك
الزمان في البلاد كما كانت مجالا للنقاش المستمر بين الأدباء والقارئین ، ولو ان
المعركة اقتصرت على هذا الحد لكان ذلك حسنا ولكنها تطورت للأسف الشديد
الى مهاجمة مقذعة تناول فيها كل صاحبه تناولا سيئاً حتى وصل الى الأعراض
واستباح ما لا يستباح وكانت هذه المهاجمة لا تنشر في صوت الحجاز لانها لم تكن

صالحة للنشر بما حوته من فحش القول وجارح التعبير ولكن هذه القصائد كانت تكتب باليد على نسخ متعددة وتوزع في اماكن تجمعات الناس في مكة وقد جرت المهاجاة بين حمزة والعواد الى دخول شاعرين آخرين فيها وهما الاستاذ الشاعر احمد قنديل رحمه الله مساعدا لصديقه حمزة شحاتة ومدافعا عنه ، والاستاذ الشاعر محمود عارف مساعدا ومدافعا عن استاذه محمد حسن عواد ولم يكف كلاهما عن هذه المهاجاة الا بعد ان اتسع نطاق توزيع هذه القصائد الهجائية وخشى الطرفان ان تجرّ عليهما الجرائر فطويا تلك الصفحة السوداء وحسنا فعلا وقد اعتذر العواد فيما بعد لحمزة بمقطوعة بعنوان « عتاب » منشورة في ديوانه نحو كيان جديد في صفحة (١٧٥) فليرجع اليها من اراد .

العَوَادِ شَوْقِي

ومما يدخل في باب المعارك الأدبية للعواد وان لم تكن معركة ادبية حقيقية لأنها من طرف واحد اذا صح هذا التعبير هو تعريض العواد بشعر امير الشعراء أحمد شوقي رحمه الله ومحاولة اظهاره بمظهر المقلد المسفّ حتى انه بلغ من تعصبه في هذا المجال انه رحب بظهور ديوان شاعرة سعودية هي الآنسة « ثريا قابل » وقِيم شعرها حتى فضلها على احمد شوقي امير الشعراء ولست في حاجة الى القول ان ثريا قابل نفسها قد فوجئت كما فوجيء الناس جميعا بآراء العواد رحمه الله فيها وفي شوقي معا ولكن العواد كان عنيدا كما أسلفنا وكان معجبا شديدا بالاعجاب بالعقاد رحمه الله ولكل ما انتج من شعر ونثر وكان العقاد خصما عنيدا لشوقي فاندفع العواد في مهاجمة شوقي متأثرا بآراء العقاد فيما اقدر لأنى لم اجد مبررا واحداً لموقف العواد من شوقي بعد وفاته وهو اكبر شعراء العصر ومن القمم

البارزة في تاريخ الشعر العربي على امتداد العصور خاصة وان العواد قد رثى شوقي حين مات^(١) وان كان هذا الرثاء لم يسلم من التعريض به الا انه كان ظاهر التقدير له ولشعره ومن المهم ان نقول ان المعركة التي افتعلها العواد انما جاءت بعد وفاة شوقي بزمان طويل .

النَّادِيُ الْأَدَبِيُّ

عرف الناس المرحوم الأستاذ محمد حسن عواد رئيساً للنادي الأدبي بجدة والذي تم تأسيسه مع بقية النوادي الأدبية في المملكة ولكن اول ناد ادبي اسس بجده كان في أوائل الخمسينات وكان العواد ابرز اعضائه وقد كتبت عن هذا النادي في حلقة سابقة ونوجز الحديث هنا عنه مرة اخرى لعلاقة المرحوم الاستاذ العواد به فنقول انه فكر جماعة من الشباب المتعلم في مدينة جدة في تأسيس ناد ادبي وتقدموا للحكومة بطلب الترخيص لهذا النادي في اوائل الخمسينات ولكنهم باشروا نشاطهم فيه قبل ان يتلقوا الاذن بافتتاحه وكان من اعضائه المرحومين عبدالعزيز جميل وابراهيم وصالح اسلام وحزمة شحاتة ، والشيخ حسن ابوالحمائل ويونس سلامه وانيس مجوم وغيرهم وكان كاتب هذه السطور اصغر اعضاء النادي في ذلك الحين كما كان العواد ابرز شخصية في النادي لانه كان استاذاً لمعظم الاعضاء باستثناء الشيخ حسن ابوالحمائل الذي كان يدرس مادة الفقه في الفلاح وهو أسن من المرحوم الأستاذ عواد وكان هذا النادي يتخذ له مقراً في دار المرحوم الشيخ عبدالعزيز جميل بحارة اليمن ثم انتقل الى دار المرحوم الشيخ صالح اسلام بجوار مسجد المعبار وكانت تلقى فيه قصائد ادبية ومقالات وقصص

(١) نحو كيان جديد

وكان نشاط النادى اجتماعيا وادبيا ولكن النادى لم يستمر ولم توافق الحكومة على الاذن بتأسيسه فى ذلك الوقت لظروف شرحناها^(١) فى حلقة سابقة وانى لأذكر للعواد قصيدة حيا بها النادى فى ذلك الوقت وكان مطلعها :

الى عصابة النادى وللليل هدأة ☆ وللفكر فى هذا الهدوء تبتل
تحية مملوء الجوانح غبطة ☆ بان ضم فيكم عنصر متحلل
ومنها إن لم تخنى الذاكرة :

وبارب شيخ جلال الشيب رأسه ☆ ينازعه العليا فتى متدل

والقصيدة طويلة ولم اجدها منشورة ضمن مانشر من شعره ولعلها مطوية بين ما ترك من أوراق رحمه الله .

الأديب التريـد

العواد اديب بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهو شاعر مبدع وكاتب فنان وقد ذكرنا انه وزملاءه من الرعيل الاول الذين ظهرت آثارهم فى كتابى « ادب الحجاز والمعرض » كانوا هم النواة الاولى لظهور الأدب الحديث فى الحجاز قبل اكثر من نصف قرن ويحتل العواد بين هذه الكوكبة الأولى من الادباء والشعراء مكانة بارزة عظيمة باصداره أولا كتاب « خواطر مصرحة » وباستمراره فى العمل الأدبى منذ نشأته الى ان فارق هذه الحياة والمتأمل لبواكير العواد الأولى من شعر ونثر يرى معالم التجديد فى الاسلوب وفى الافكار معاً واضحة وكأنها تشير الى الطريق فهو من المعالم البارزة فى التاريخ الادبى فى الحجاز وهو بهذا يعتبر رائدا من اوائل الرواد ومن اعظمهم اثرا فقد اقتدى به الجيل الجديد من

(١) راجع الحلقة الخاصة بالحاج عبدالله على رضا

الأدباء والشعراء وكان العواد كما ذكرنا استاذاً لكثير منهم ولئن تميز كل منهم فيما بعد بشخصيته وبأسلوبه الخاص فان ذلك لن ينقص من مكانة الأستاذ الرائد العظيم ولقد عرفت العواد رحمه الله كما عرفه الكثيرون يشجع الأدباء الناشئين ويأخذ بيدهم ويبصرهم بمواضع النقص ليتفادوه ، وبجوانب الاجادة حتى يصلوا الى الإبداع وقد احتفظ العواد بميزات شخصيته الأدبية طوال حياته ولم يقتصر في تشجيعه للكتاب من الشباب وانما كان من اوائل الرجال الذين شجعوا الفتاة وكرموا انتاجها وهللوا لتعليمها ولقد عنى بتعليم ابنته الوحيدة السيدة نجاة حسن عواد فكانت من اوائل المتعلقات وكان برنامجها الناجح في الاذاعة السعودية « البيت السعيد » يشير الى ما بذله العواد لكريمته الوحيدة من علم وتهذيب ولعله هو الذى اطلق على المرأة اسم الجنس العطوف بدلا من الجنس اللطيف والعواد بهذا يشير الى ما فطرت عليه المرأة من رقة وعطف أمًا وزوجة وأختًا وبناتاً .

مؤلفات العواد الأخرى

وللعواد مؤلفات أخرى ثرية اهمها كتابه عن سليمان بن عبدالمملك وكتاب تأملات في الادب والحياة واخيرا كتابه الطريق الى موسيقى الشعر الخارجية ولم تتيسر هذه الكتب لى وانا اكتب عنه ولم ارغب تأخير الكتابة الى ان تصلنى بقية مؤلفاته فانى مازلت ألوم نفسى على التأخير والرجل له على فضل الاستاذ وحق الصديق وانى لأرجو ان يكون فيما كتبتة عن الخواطر ما يؤدى بعض حقه على ، وللذين يدرسون ادب العواد ان يقرأوا جميع ما كتب وما انتج لتكون دراستهم اوفى وأكمل ولعله من المستحسن ان نذكر هنا ان العواد كان يكتب باسم مستعار وهو « اريج نسرين » ولعل كثيرا من انتاجه في الصحف يحمل هذا التوقيع .

العَوَادُ الشَّاعِرُ

العواد شاعر مبدع وقد مارس نظم الشعر هواية ان صح هذا التعبير في سن مبكرة يقول هو أنها بدأت وهو في الحادية عشرة من العمر^(١) واستمرت الى آخر العمر وقد بدأ شاعرا مكثرا وانتهى الى الاقتصاد بعد ان علت به السن وقد جمع العواد شعره في ديوانين كبيرين حرص فيها على اعطاء اسم معين لكل فترة من فترات العمر فالفترة الأولى من الحادية عشرة الى العشرين « آماس وأطلاس » وألحقها فيما بعد بالبراعم وهي امتداد للآماس والأطلاس « ونحو كيان جديد » وهذه تمثل الفترة الثانية فترة الرجولة والنضج ويمكن ان تكون ما بعد العشرين الى الأربعين او ما قبلها ، « والساحر العظيم » وهو مجموعة القصائد التي نظمها إبان المعركة التي نشبت بينه وبين الشاعر الراحل الاستاذ حمزة شحاتة واستعرض فيها العواد كل المعارك الادبية التي خاضها وقد طبعها العواد عام ١٣٧٢ هـ وان كنت اعرف ان هذه المعركة كانت في النصف الأول من الستينات، « وفي الأفق الملتهب » ولعلها تمثل شعره ما بين الأربعين الى الخمسين .

والصورة التي يخرج بها القارئ هذه المجموعة الضخمة التي تضم هذه الدواوين كلها او الصورة التي خرجت بها من هذه القراءة بعد ان غادرنا العواد الى رحاب الله هي صورة الانسان الثائر على الجمود الراغب في التجديد والاصلاح، الواقف بالمرصاد لخصومه ونقاده، العنيف في خصومته المسفة لآراء نقاده الذاهب بنفسه كل مذهب ، فالعواد الشاعر هو العواد الكاتب الذي عرفناه في « خواطره المشرقة » ثائرا مجددا عنيفا مسرفا على نفسه وعلى خصومه سواء اكان

(١) انظر مقدمات ديوانية آماس وأطلاس والبراعم في الجزء الاول من الديوان وكذلك مقدمات دواوينه الساحر

العظيم وفي الافق الملتهب روى، ابولون في الجزء الثانى من ديوان العواد ..

هؤلاء الخصوم من الأدباء او من غيرهم من الناس وعندى ان العواد كان مخلصا في التعبير عن نفسه اخلص التعبير واصدقه والصدق في التعبير عن النفس بعواطفها وافكارها وشعورها هو اعظم مقومات الأديب ، وكما له ان يكون بالابداع الفنى في صياغة هذا التعبير سواء اكان ذلك شعرا او نثرا والعواد كان اديبا مفتنا أستوت له هذه الصياغة في مختلف شكوها فكان كاتبها مبدعا وشاعرا عظيما ولنحاول الآن اعطاء بعض النماذج عن هذا الذى وصفناه فيما مضى من سطور .

القلم المكسور^(١)

يقول العواد فى ديوانه الاول آماس وأطلاس :

قد كسرت القلما ☆ وهجرت الكلمـا
وتطرفت الـى ☆ ان جفوت الحكما
اذ ارى فى امتى ☆ فشلا فيما نما
يابنى قومى أما ☆ أن ان نرقى أما
فابعثوها يقـظة ☆ تقلب الارض سـما

نحو النور^(٢)

ويقول فى نفس الديوان :

افلا زحام على الحياة ولا اقتحام ☆ حتى متى قواد فكرتنا نيام
هبوا معا نغنى بفوضى الاجتماع ☆ حكماءنا خطباءنا كتابنا شعراءنا
لاتهملوا مرضا الم بنا سنين
داووا الحياة وبرروا علل الصراع ☆ سلوا اليراع ، ودعوا النزاع

(١) آماس واطلاس صفحة (٤٦)

(٢) آماس واطلاس صفحة (٥٠)

نشأة^(١)

وفي ديوان البراعم يقول :

يا صديقى إليك نشأة رهط ☆ هيجوا شعبهم وما اصلحوه
ادباء سباهم الناس والنا ☆ س اذ عَنَّ حادث كبرؤوه

ومنها يقول عن نفسه بعد ان استعرض الشعراء القدامى ابوفراس وزهير والأدباء
المحدثين الزملاء ، البيارى والفدا والعمودى ومحمد^(٢)

وسأسمو غدا بأروع مما ☆ راح يسمو به ولم يهضموه
رافعا راية الجديد من الفكر ☆ فقد ضقت بالذى رسموه
سوف املى على الجميع احترامى ☆ واعترافا ياطالما همسوه
فأزجى خواطرى والمخليون نيام ☆ ومطمعى عرفــــــــــــــــــــــــــــــــوه
وليدوروا السنين حول التخاميس ☆ وتقليد كل ما ســــــــــــــــــــــــــــــــوه^(٣)
ومنها

ليس بالمعرض الرتيب ☆ ولا صورة ما سطره او حفظوه^(٤)
لا ولكنه شعور وافكار ☆ حرار تسود ما كتبه
ومنها

وتدوى فى الجيل ثم تدوى ☆ فى الذى بعده ومن يتلوه
والعواد يذكران هذه القطعة نظمت قبيل اصدار الخواطر وبعد ظهور كتاب
المعرض الذى اشار اليه العواد وانتقد المشتركين فيه وهو احدهم وقد ظهر المعرض

(١) البراعم صفحة (٤)

(٢) محمد البيارى وعبدالله فدا ومحمد سعيد العمودى ومحمد سرور الصبان .

(٣) البراعم (٧) .

(٤) نحوكيان جديد صفحة (١٨)

عام ١٣٤٥ هـ كما ان الخواطر ظهرت في نفس العام وليس من شأننا التحقيق في التواريخ وانما الغرض هو الاشارة الى ما ستحدثه الخواطر من ضجيج بعد ظهورها وقد أثبتت الأيام صحة هذا الشعور .

داعى الوئام

وفي البراعم قصيدة حيا بها الشاعر جريدة بريد الحجاز التي اسلفنا الحديث عنها والتي كان هو ابرز كتابها بل وشعراتها ومطلعها :
صاح حى الرقى حى السلاما ☆ حى داعى الوئام حى الوئاما
حى عصر النهوض حى تعالى ☆ حى بالمجد أمة تتسامى
ومنها

قد حرمنا حرية العقل عصرا ☆ وحرمنا حتى حرمنا الكلاما^(١)
طال عهد السكوت حتى مللنا ☆ وأردنا ان نكسر الاقلاما
ومنها

طال سجن اليراع والآن يبغى ☆ ان يرى في فم الزمان ابتساما
ومنها

طال عهد السكوت حتى حسبنا ☆ ان هذى الحياة عادت مناما

المثل الأعلى

وفي قصيدة المثل الأعلى وهي من عيون شعر العواد يقول :

ياحبيبي ابدا في كل ظرف يتحور في ضجيج الصبح في همس المساء الهادى

(١) يشير بذلك الى عهد الشريف الحسين بن علي حيث ان بريد الحجاز ظهرت في عهد ابنه الشريف علي .

في غمار الجد في سعى الحياة الهازتي هذانت في العين وفي القلب مصور غير منسى
ومنها :

ولنجاوز مُسَخّاً تمن في الاسفاف في هذا الكفاح
ولنجايز بين من يفعل مخفياً وذى الفعال الصراح
ولنسائر روعة الدنيا بأقدام الجرىء
ولنعضد محسن الأمر ونرثى للمسىء

رثاء عبد الله حمدوه

رثى العواد الشيخ عبدالله حمدوه مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة حين توفى
بقصيدة مطلعها

وقارك لايزجى الوقار منونا ☆ حقيق بأن ينسدى عليك عيونا
أأرثيك شيخ النشء والنشء كله ☆ يذرف دمعا في رداك هتونا

ومنها :

وربة يوم ثرت فيه فخلتني ☆ أداجيك رأيا او أنيلك لينا
فألفيت منى عارفا حق رأيه ☆ عزوما فصافحت العزوم ضنيينا
وأذهلك الحق المبين على فم ☆ تؤمل منه لثم كفك هونا
وذى شرعة السبعين فيمن تزمتموا ☆ نُصَبُ على رأس الشيبة دينا

يَدُ الْفَنِّ تَحْطِمُ أَصْنَامَ الْإِنْبَاءِ (أَوِ السَّاحِرِ الْعَظِيمِ)

نظم العواد قصيدته الكبرى الساحر العظيم في أكثر من خمسمائة بيت وأفرد لها جزءا خاصا من ديوانه وهي تمثل الخصومة الشعرية الكبرى التي نشبت بينه وبين الأديب الراحل الأستاذ حمزة شحاتة كما اسلفنا ولم يكتف العواد في الساحر العظيم بحمزة وإنما تعرض لكل من جرت بينه وبينهم معارك أدبية مثل المرحومين أحمد قنديل والشيخ حسين باسلامه مؤلف كتاب سيد العرب والاستاذ عبدالقدوس الانصارى مدد الله في حياته وغيرهم وقد رمز العواد لكل منهم برمز معين وحسنا فعل وليس هنا مجال الفصل بين حمزة والعواد رحمهما الله وإنما يترك ذلك للدارسين وبعد ان تظهر الى النور آثار المرحوم حمزة شحاتة التي لم تطبع حتى الآن لتكون المقارنة ويكون الحكم ومطلع القصيدة او الملحمة الكبرى هو :

عشق الخلد طامحا ☆ نزعاً فامتطى فنه اليه طامعا
شاعر فنه يخلق بالفكر ☆ الى عالم اشد ارتفاعا
ومنها في وصف هذا الشاعر الذي هو العواد نفسه
واذا قَصُّ فالشخص تناجيك ☆ عيانا كان تحس رثيا^(١)
فترى اسطرا تفيض حياة ☆ كل لفظ تخاله آدميا

(١) الساحر العظيم صفحة ٢٠

ومنها

لم يكن ساحرا كما يفهم الدهماء ☆ لكنه تدفق نـــــــــــــــــــــورا (١)
وهو فن علمته انت اياه ☆ فسبحانك العليم الخبير
وفيها يصف خصومه :

ان آثارهم ثغاء شيا ☆ تبصر الذئب وانذر دجاج (٢)
هم على ما ترى وتعلم منهم ☆ ادباء قد ركبوا من عجاج
ومنها وهي من اجمل مقطوعات القصيدة :

وانجلي الامر عن خيلة زهر ☆ واذا شئت فهي روض انيق (٣)
ابدعته من الحياة يد الفن ☆ فذا هائل وذاك رشيق
غرسته أنامل الشاعر الفذ ☆ ففرس باهر ودوح سحيق
لا تقل انها ورود ففيها الشوك ☆ في كل خطوة مطروق
ومنها

الغروب الجميل يلبسه الزهر ☆ ويكسوه بالبهاء الشروق
فاذا الشمس في الغداة اطلت ☆ فالحيب المسلم المعشوق
واذا ودعت أصيلا فحفل ☆ باهر فيه نشوة وغبوق

ونكتفى بهذا القدر من النماذج التي اوردناها والتي تصور العواد النائر العنيف
والفنان المبدع العظيم لتحدث عن جوانب أخرى من هذا الشاعر العظيم المتعدد
الجوانب ،

(١) الساحر العظيم ٢٢

(٢) الساحر العظيم صفحة ٢٣

(٣) الساحر العظيم صفحة ٢٥

الجزء الثاني من ديوان العواد قسم الاول الساحر العظيم صفحة (١٧)

الشؤون العامة

عنى العواد بالشؤون العامة ان صح هذا التعبير لا لبلاده فحسب وإنما للبلاد العربية كلها وقد بدأ عنف العواد ضد التأخر والجمود والتزمت ثم تحول بعد ذلك الى عنف مع الخصوم الذين وقفوا في سبيله مصلحا مجددا ثم الى الخصوم من الشعراء والنقاد الذين عاصروهم واتصلت أسبابه بأسبابهم يقول العواد في قصيدة يودع فيها الملك الشريف الحسين بن علي بعد ان ترك العرش عام ١٣٤٢ هـ والعواد في اوائل العشرينات والقصيدة بعنوان .

وخز الضمير^(١)

يامالك الملك اليك المآب ما الملك في ملكك الاسراب
يا صاحبي يا خدمي يا اولى الشأن بملكي واللفظي والحراب
حسبي عذبا انسى سامع صوتا من الداخل حسبي عذاب
ومنها :

دعوني الداهي في امة لا تعرف السواس الاصعاب^(٢)
أهالت الألقاب لي ضخمة فاورمت أنفى وذاك المصاب
فخلت نفسي في ربا مكة هرون بغداد رفيع الجناح
ولم اقدر انسى خادم للشعب والشعب دقيق الحساب
ومنها :

عاهدت جونبول ولكنه لم يرع عهدي ما امر الخلاب^(٣)
وكان جيراني أولى بأن اوليهم العهد وعون الصحاب

(١) البراعم صفحة (١٦)

(٢) البراعم صفحة (١٧)

(٣) البراعم صفحة (١٨)

ومنها

والحكم عندي تابع للهوى ☆ أساسه رجاجة كالسحاب
شورى امام الناس لكنها ☆ ابعد عن نهج الصواب
مجلسها مستبعد زائف ☆ اصنامها مركوزة لا تهاب
ليس لها رأى ولا حرمة ☆ تلحظ او حرية تستجاب
وللعواد قصيدة اخرى بعنوان :

متى

متى نرتقى المجد الصريح المخلدا ☆ ونكتب في التاريخ فخرا مؤبدا^(١) ؟
متى نملك الشأو الرفيع جلالة ☆ ونرمى الى العليا سها مسددا ؟
أنبغى المعالى بالتقاعس ضلة ☆ ونطلب عزا في الخليفة رُقدا ؟
ومنها :

أرونا نهوضا واتركوا اللهو واكتبوا ☆ على صفحات العصر ذكرا مؤبدا^(٢)
ولا تتوانوا إن سمعتم مقالة ☆ يردها الشانى وقولا مُفَنِّدا
يفيض على الأسباع والسمع مطرق ☆ محاسن أوروبا ويطرى مرددا
ويوحى إلينا أن للفرب عزة ☆ تربع منها هامة النجم مقعدا
ومنها :

فما ولد الغربى فى الكون راقيا ☆ وما ولد الغربى فى الكون سيذا
وما هو الا الجد من حاك خيطه ☆ تناول عن بعد سماكا وفرقدا

(١) البراعم صفحة (٢٥)

(٢) البراعم صفحة (٢٦)

والعواد شاعر وحدوى نادى بوحدة العرب من المحيط إلى الخليج وقد حياً
بعثة الكشافة العراقية التى قدمت للحج بقصيدة تلمس فيها هذه المعانى واضحة
حلية •

إلى الكشافة العراقية

للنديد النبيل عند النديد ☆ كل ما للعقيد عند العقيد^(١)
ومنها :

إن في فكرة التأخى لارهاصا ☆ يرينا قرب النهوض الأكيد
ولهذا شعارنا في بلاد العرب ☆ هذا دين الإخاء الوطيد
لا حجاز لا سوريا لا عراق ☆ لا ولا نجد في رضى التوحيد
إنما أمة كبيرة آمال ☆ جسام عدوة التبــــــــــــــديد
شعب حق مسترجع عربى ☆ واحد سيره عريق الجدود
إن تنادى فإنما يتنادى ☆ بِمَعَدٍّ فى تاجه المعقود
ومن المهم أن نذكر أن هذه القصيدة إنما نظمت قبل أن تنال معظم البلاد
العربية استقلالها فقد كان العراق ومصر وفلسطين والأردن تحت الحكم البريطانى
كما كانت سوريا ولبنان والمغرب والجزائر تحت الحكم الفرنسى وليبيا تحت الحكم
الإيطالى وللعود قصيدة أقدم من هذه فى وحدة العرب تعود إلى منتصف
الأربعينات ومطلعها .

وحدة العرب (٢)

عرب الجزيرة كم تكون سعيدة ☆ هذى الحياة بوحدة الأبعاد
تتوحد الأشتات فى مجموعها ☆ ويعزز المجموع بالأفراد

(١) نحو کبان جدید صفحہ (١٨٧)

(٢) آماس واطلاص صفحه (١٨)

الشعر الروحى

للعواد قصائد فى الرسول الأعظم صور فيه شعوره حينما زار المدينة المنورة ،
كما صور فى قصيدة أخرى قصة التجائه صلى الله عليه وسلم والصديق الأكبر
إلى غار ثور وقصيدة بعنوان النبى فى شعور الدهر وغيرها من القصائد الروحىة
ونكتفى بأن نورد بعض المقاطع من هذه القصائد كتأذج على الشعر الروحى .

الغار (١)

فى ذات أمسية لثيــــــــــــــــمة ☆ إبليس أودعها سمــــــــــــــــومــــــــــــــــه
جمعت قریش أمــــــــــــــــرها ☆ لاجبذا هى من سخيــــــــــــــــمة
فتجمهرت للكيد والشيطا ☆ ن يلهــــــــــــــــمها علــــــــــــــــومــــــــــــــــه
فكأنمــــــــــــــــا هو ماتــــــــــــــــم ☆ دام ومعــــــــــــــــركة أثيــــــــــــــــمة

وبعد أن يصف انتمار قریش بالرسول الأعظم وتبييتهم أمر القتل وخروجه
صلى الله عليه وسلم إلى الغار وخشية الصديق على الرسول مما قد يكون فى الغار
من الأخطار وتثبيت النبى الأعظم صديقه ورفيقه يقول بعد ذلك :

ولشد ما أتت السكىنة ☆ فاستحال الغار أفــــــــــــــــقا (٢)
وتبدلت أمانا مخــــــــــــــــافة ☆ من تَجَهَّــــــــــــــــة فرقــــــــــــــــا
ورأى السماء تكاد تحتضن ☆ الثرى حديبا ورفــــــــــــــــقا
وإذا السماء تكفلت ☆ بالأرض فالنزعات غرقى
فمن السكىنة كان منبثقا روح السلام على الألى غبروا
وبها يعود بروــــــــــــــــعة دعيت فى الأرض إســــــــــــــــلاما سينتشر

(١) الاق الملتهب صفحة (٧١)

(٢) الاق الملتهب (صفحة ٧٧)

دافق النور

وفي قصيدة النور يقول العواد في المطلع (١)

دافق النور رحمة وسلاما ☆ ومنمسيه عزة ووئسا
فاعتقناه يقظة وسموا ☆ وعقلناه حكمة ونظاما
ومنها

لست رباً كما يبالغ بعض الناس لا لست رباً (٢)
أنت الغيت كل رب سوى الله ☆ وأضرمتها على الشرك حربا
أنت حطمت كل رب على الأرض ☆ دعى مشى إلى الطفولة دربا
فنشرت التوحيد في الناس يمشى ☆ ثورة في النهى وعدلا وحبا
وسلاما ورحمة ومساواة ☆ وعظفا على الضعاف وقربى

ونكتفى بهذا القدر من الشعر الروحي لننتحدث قليلا عن الشعر الفلسفي بل
الشعر الفكري فهذا هو التعبير الأدق عما سنعرضه من نماذج لأنه إنما يتحدث عما
يجول في ذهن الشاعر من أفكار وما يراود خياله إزاء أحوال الحياة ومظاهر
الكون ، والفلسفة هي كما هو معروف لا تكتفى بالتعبير ولكنها تبحث كذلك عن
التعليل وتخرج منه بمذهب متكامل والعواد لم يكن فيلسوفا ولكنه كان مفكرا
وحسب وحيما يقف أمام التناقض الذي يظهر في الحياة أو الذي يراه هو تناقضا
ينتهي إلى التسليم والإيمان ، فهو إذا مفكر مسلم ، والفلسفة لا تعترف بالتسليم
وإنما تختزع المذاهب ولهذا كان الضلال .

(١) الاق الملتب صفحة (٨٦)

(٢) الاق الملتب (٨٩)

سر الطبيعة والحياة (١)

يقول العواد في قصيدة بهذا العنوان

لم هذى الرياح تدوى شمالا ☆ وجنوبا تفرق الأمطارا
لم ذا البحر فى هدوء إذا شاء ☆ وإن شاء أرسل التياراتا
لم فى البحر بُعد جزر ومد ☆ يتبع البدر تارة والسحابا
لم تسرى سيارة الأرض ☆ حول الشمس دابة السرى ادهارا
لم هذى الاجرام تشرق ليلا ☆ لم ذا الشمس تبهر الأبصارا
ومنها

لم نحيا على البسيطة جبرا ☆ ونعيش السنين فيها حيارى
ولم الموت والحياة بكرو ☆ يسلب النفس عزة واقتدارا
ومنها

نحن كالأولين نحيا دواليك ☆ ويحيا من بعدنا أعماارا
وتدور الحياة والشمس والأقمار ☆ والليل والنهار بـادارا
وسيبقى سر الحياة معى ☆ وستلقى العقول بعد خمارا

ولكن الشاعر سينتهى إلى الايمان فيقول :

رب آمنت أنك القادر ☆ الفرد ملكت الظلام والأنوارا
نُهاننا نار الحباحب فى ☆ الليل وأوهى من الحباحب نارا

يا ليل

وللعواد قصيدة أخرى في هذا المعنى يقول فيها

يا ليل كم سامرت أنجمك ☆ الصاء تحكى العقد منتثرا
درر تفوق الدر حيث بها ☆ معنى الحياة يشع منبها
وَأَلَيْتُ أسألها وما برحت ☆ تعطى الجواب أغف مختصرا
لا تستطيع إبانة وكذا ☆ تحلو الحياة لطالب أثرا

وينتهى في هذه المرة إلى أن هذا الغموض هو الذى يعطى للحياة سحرها فلو
كان كل شيء واضحا لغدت الحياة تافهة رتيبة :

لو كان مافى الكون متضحا ☆ كل الوضوح لما غدا صورا
وغدت حياة الناس تافهة ☆ وغدا الخيال العذب محتقرا
كم فى الحياة مظاهر عجب ☆ تقضى وتمنع كلها الوطرا
ومفاتن شتى متنوعة ☆ ووراءها المعنى قد استترا

ونكتفى بهذا القدر من أفكار العواد الشعرية رغم كثرة ما يمكن الاستشهاد به
فى كل باب لأن نَفَسَ الحديث قد طال أكثر مما كنت أتوقع ولنتحدث الآن عن
لمحة من شعر العواد فى الغزل .

شعر الغزل

لعلى أفاجئ القارئ كما فوجئت أنا برأى فى غزل العواد فالوصف الغزلى
عند العواد هو وصف حسى لم يخرج فيه عما فعله القدماء الذين نقدهم فأوسعهم
نقدنا بعد أن بليت عظامهم فى الثرى ولا تعليل عندى لهذا إلا لأن العواد شاعر

فكر أكثر منه شاعر عاطفة ، كما أنه يذهب بنفسه كل مذهب فاذا كانت المرأة تملك مفاتن الجسم فانه هو يملك مفاتن العقل وجرأة الرأي وليس هذا الادلال بالنفس من الغزل فى شىء وليس المحب من يذكر محاسنه وإنما الأديب هو الذى يدع هذه المحاسن تتحدث عن نفسها حتى يلمسها المحب فيتحدث عنها يقول العواد فى قصيدة بعنوان :

الروض الضائع - ١ -

شاقنى الروض فأنجذبت اليه ☆ ساعة وانتجعت أطلب ظلا
فسبتنى زهوره والأفانين ☆ التى حولها غدت تتدلى
وتذكرت من غداثك السود ☆ انسيابا يرى بهن وشكلا
وتذكرت من لواظك الذبل ☆ ارسالها إلى القلب نبلا (٢)
ومنها :

وتذكرت من قوامك ذاك ☆ الهيف الرائع المذل المذلا
ومن الوجنتين ما يرسل الحمرة ☆ من ذلك الشعاع المحلى
ومن المقلتين ما يخجل النرجس ☆ فيه إذا بدا يتجلى
فهذا الوصف الحسى لم يخرج عما وصف به المرأة قدامى الشعراء ولقد كان المنتظر من العواد الشاعر المجدد أن يكون فى شعره الغزلى ذلك الوهج الذى يحس به القارئ لذع العاطفة وتوهجها ودفق الشعور فى خفقات القلب والوجدان ولكن العواد على أى حال ينتهى فى هذه القصيدة إلى نهاية شعرية جميلة فيقول :

(١) نحر كيان جديد

(٢) نحر كيان جديد صفحة (٨٢)

فتلفت باحشا فاذا الروض ☆ على ذكريات حسنك ولى
ضاع منى فلست أبصر ما فيه ☆ من المغريات إلا الأتلا
وامحى كالحيال اذا اخذ الواقع ☆ منه مكان ماهو أولى
أنت يا من أحب روضى وهل ☆ مافيك فى الروض ؟ لا وربك كلا

يد عبقرية تهب الحب - ١ -

ويقول فى مقطوعة أخرى :

غرام سحقتاه فقدرت عهده ☆ وآخر قد وانى فله مجده
فمرحى لذا الحب الجديد ومرحبا ☆ ولا درُّ الدَّهرِ الذاهب الصعب رده
وما هكذا يناجى الحبيب الذاهب ، ولا الغرام الماضى ، لكأن العواد يتحدث
عن خصم من خصوم أفكاره أو ناقد من نقاد شعره وأدبه ، أين القلب وإحساسه
ازاء ما مضى ، وأين آثار ما بقى ويقول بعد ذلك
فلم يدر دار حينا حل مهجتي ☆ أيعبد روحى أم هو الروح عبده
فيا مشعلا منى شبابا أجله ☆ وممتلكا منى فؤادا أعده
ومتخذًا عندى يدا عبقرية ☆ بعثت بها حبا طفقت تمده
هنيئا لك القلب الذى منك نوره ☆ وتعسا لحقد كان والتعس بعده
ونختتم الحديث عن شعر الغزل بقصيدة من أجمل ما نظم العواد فى الغزل
رغم ما فيها من الإدلال بنفسه إلا أنها تستحق الاشادة والتسجيل ، فقد تجافى
فيها عن الوصف الحسى وتسامع مع المحبوب فى خطئه النحوى بل وجاراه فيه
وهى عندى من أجمل ما نظم العواد فى الغزل .

استقالة - ١ -

يا هاجرى واجلُ حسنك ☆ ان تبلى بالهجر خدنسك
لظعنتنى بالكرباء على الهوى ☆ وأجسدت طعنــــــــــــــــك
ومنها

أفذاكر أنت العهد ☆ الغابرات وما أفدتك
أفذاكر أنى أبحتك ☆ قلبى المد المحنك
وأبحتنى ما لا تبيح ☆ من الغرام ولن أظنك
ومنها

وأقول والبسات فى فمك الجميل تبين سنك
ممن تعلمت العناد ☆ منسقا فتقول مِنك
لحن قهرت به صحيح اللفظ ما أن شان حسنك
فنُ تتيه به على الفن القوى فديت فنك
فجرتنى نحو الدعابة لاحقا لأوانسك
وختمتها بمقالتى أنى ☆ أخذت الحب عنك

وهكذا تكون الدعابة فى الغزل عذبة حلوة وهى ساعة من الساعات التى
غفل فيها شيطان العواد العنيف ليستيقظ فيها الشعور الرقيق اللطيف .

الشعر الإنساني

ونختتم الحديث عن شعر العواد بمختارات من شعره الانسانى الذى تجلى

(١) نحو كيان جديد صفحة (٩٤)

فيها شاعرا إنسانيا دافق العاطفة والشعور وأبدأ هذه المختارات بقصيدة العواد في رثاء أمه .

في بيتها وعلى قبرها - ١ -

ايه يانفس هذه شارة القدس ☆ وذا الشعر فانظمى قدسيها
هذه أمى الجليلة في بيت ☆ على قدر زهدا محتويها
هنا تكمن الطهارة والزهد ☆ فتعلو مسرة النفس فيها
ومنها :

ها هنا ها هنا جمال جليل هاهنا ها هنا العزيزة أمى
ويقول في وصف بيت أمه :

هو بيت يلوح جد حقير ☆ قد خلا من مناعم مستطابه (٢)
ليس فيه حفاوة تبهج العين ☆ ولا فيه جدة وخـــــــــــــــــلا به
ثم يقول :

قد تعرئى عن كل ذاك وهذا ☆ من شؤون لكنه بيت أمى
ومنها :

فهو لى في الحياة شارة قدس ☆ وهو لى في مفازة العيش راحه
وهو الكنز إن شكت نفسى ☆ العسر ومعنى الغنى يرينى انفساحه
وهو عيدى اذا انقضت فرحة ☆ العيد لدى الناس انه بيت أمى
ثم يقول

إنه مسجدى وهل يقصد المسجد الا للطهر أو للصفاء
أو لترقى العقول فيه الى ☆ الله وقد جردت من الأهواء

(١) نحوكيان جديد صفحة (١٠٥)

(٢) نحوكيان جديد صفحة (١٠٦)

فاذا ما أمت أمك للبركة فقد زرت مسجدا من نقاء
ثم ينتهى إلى وصف قبر أمه بعد أن وصف بيتها أو على الأصح إلى وصف
شعوره بعد موتها فالقصيدة كلها قطعة من الشعور تحس فيها خفق القلب
ورجفاته وتدفق الوجد حتى يستحيل شجنا يستدر الدمع ويسرى في الوجدان
وهذا هو الشعر بل هذا هو جوهر الشعر وروحه .

قلمى ما نكرت منك انطلاقا ☆ في حياتى فما أصاب انطلاقتك
عدت من دفنها كتيبا ☆ أقاضيك انسياقا فما منحت انسياقك
اندق فالشعور عندى موفور ☆ كفيل ألا يعوق اندفاقك

ولكن القلم يأبى على العواد ان يندفق كما تعود ، فالفاجعة أكبر من أن
توصف أو يقوى على وصفها وهو في تلك الحال فتظل مكبوتة تشتغل في النفس
إلى أن تهدأ الثورة أو تسكن الفورة ولقد ذكر العواد أنه لم يستطع رثاء والدته إلا
بعد مرور عام ونصف العام على وفاتها - ١ -

والقصيدة طويلة ولكننا نذكر المقطع الأخير منها تجنباً للإطالة .

رحمة الله للدفينة في الأضلع ☆ من قبل دفنها في الحفير - ٢

وجلالا لها وسقيا لقبر ☆ ضمها بين نشر ذاك العبير
وسلاما من موطن الخلد والرضوان ☆ يغشى جثمانها بالعطور
وداعا يزف ما انحبس الدمع ☆ لديه إلا لهذا الزفير —

وللعواد قصيدة أخرى شهيرة بعنوان :

(١) نحوكيان جديد صفحة (١٠٥)

(٢) نحوكيان جديد صفحة (١٠٨)

صلاة النفس - ١ -

قالت النفس قم نصل إلى الله ☆ فشر النفوس من لم تُصَلِّي
قلت يانفس سبحي الله طوعا ☆ وأصيخي واستنكري أن تملى
سبحي الله فالطبيعة يقضى ☆ وتعالى قرب الخضم نصل
في صفاء يشع من فلك ☆ الالهام مستمليا إذا الكون على

ومنها :

هذه صيحة الحياة في العالم المطوى بين النفوس طى السجل^(٢)
فيجوب الضمير والفكر يجرى في النواميس بين بعد وقبل
فيرى ما يكمن في الماء والزهرة والأرض والفضاء المطل
هذه صيحة الحياة تنادى عاشقيا لفهم معنى التجلي

ومنها :

سعداء أولو الصلاة ولكن ☆ عندما يدركون مجد الصلاة^(٣)
كم صلاة قوامها الجسد الطالب ☆ سقط المتاع والنزهات
ومنها :

ان في القلب جنة وجحيا ☆ واتساعا لفهم هذه الحياة
وخشوعا وعزة واعتلاء ☆ وهويا لأسفل الدركات
وصعودا إلى السماء بلا ☆ اذن ولو بواسع الفلوات
فدعى كونك الصغير ☆ سويعات وهيا إلى الخضم نصل

(١) نحو كيان جديد صفحة (٣٦)

(٢) نحو كيان جديد صفحة (٣٦)

(٢) نحو كيان جديد صفحة (٣٦)

والقصيدة طويلة ولكننا نختتمها بهذه القطعة :

كلها كلها الأناسى والأنعام ☆ والطير والروى والطيوف
والجمادات والبهائم والأملاك ☆ والجن والصدى والحفيف
والأمائل والعناصر والأزمان ☆ والفقر والمكان الأليف
والسنا والظلال والفكرة ☆ والحسن والهوى الملفوف
كلها تضر الصلاة وتبديها ☆ صنوفا تمتاز عنها صنوف
قوما بالخشوع للواحد الفرد ☆ الوفا تبهزن الوف
فجموع منها توائب سرا ☆ وجموع على الحياة تطوف
غير أنا لانفقه الحمد والتسبيح ☆ منها لأننا غير أهل

والقصيدة من أجل الشعر الروحي وأعذبه ولولم يكن للعواد سواها لكان بها
واحدا من أعظم الشعراء .

وللعواد قصيدة من أرق الشعر الفزلى وأعذبه ولعل بتسجيل بعض
مقطوعاتها أسجل أن العواد قدبر على الابداع فى كل فن من فنون الشعر
وأبوابه .

تذكير - ١ -

يا متعة الأنفس يا ساحره ☆ ويا رضا الشعر وياشاعره
يا مصدر الوحى وموضوعه ☆ ويا غذاء الفكرة الحائرة
لم أنس أيامك لم أنسها ☆ يا حبذا أيامك الناضره

(١) نحوكيان جديد صفحة (٦٠)

ومنها بعد ان يستعرض عهده معها ولقاءه بها

لم أنسها لم أنسها فاسمعى ☆ من عمق قلبى ذلك الاعتراف
رسائل الحب على عهدها ☆ باقية فى نفس ذاك الغلاف
غلافها الأحمر لم تنتثر ☆ منه ولن تبصرها باصره
ثم الرسوم اللات أهديتها ☆ صديقك الحافظ عهد الوداد
وخلفها الألفاظ قد أعربت ☆ عما انطوى تحت شفاف الفؤاد
الفاظ اهدائك معسولة ☆ شفافه كالسحب الماطر

بلا قلب - ١ -

وللعواد قصيدة أخرى تصور شجونه فى هذه الحياة وحظه فيها يقول فيها :
حبيبة قلبى لو عرفت بلاءه ☆ لأقصرت لومى والحياة بلاء
أنا التعب المكدود فى أريقه ☆ تجشمنى نفسى العلا فأنا
ومنها

تلت على فكرى الحياة بهوها ☆ وتزعجنى فى نظمها البرحاء
فأوغل فى استقصاء ما يستحشى ☆ من الفكر فيها والظنون فضاء
ومنها :

حبيبة قلبى إن تسرك بسمة ☆ من النجم خفاقا عليه رداء
تزين الدجى فى ليلة راق صحوها ☆ لها لمعان بارع وضياء
فان هنا قلبا ازاء جمالها ☆ له موقف فيه أسى وهناء
ومنها :

فكم من فروق فى الحياة منظما ☆ مساعى نهى يحدو بهن عما

وكم وقفة بين الرجاء وضده ☆ الحُرْأَسِيَّ في الحياة يساء
تباعده أخلاقه عن مباءة ☆ يعيش بها الأوشاب والبلداء
وتسمو به نفس تعلمت العلا ☆ وقاد خطاها في الحياة حياء
إذا ابتدرت طرق المعالي تعرضت ☆ لها عقبات طرهن وباء
وبينا كثير من رفاق وإخوة ☆ سفائنهم تجرى بهن رخاء
تراه وقد أغرى به الحظ صررا ☆ لها أبدا في مسمعه عواء
وما هو بالمنقوص في ملكاته ☆ وما فيه الا قدرة وكفاء
تضئ معاليه وتسمو صفاته ☆ وتشرف أخلاق لديه وضاء

ونختتم الآن هذه المختارات بعد أن طال بنا نفس القول في شعر العواد
ولكني أشعر وأقولها مخلصا إنني لم أوفه حقه فهو من هذه القمم التي يجد
الدارس فيها مجال القول رحبا واسعا وما قصدت إلى دراسة شعره فليس من
أغراض هذه التراجم أن تقدم الدراسة وإنما غرضها تصوير شخصية صاحب
الترجمة ما أمكن هذا التصوير فاذا كان المترجم أديبا أو شاعرا وجب أن تقدم
الصورة من إنتاجه لتكون أصدق أداء وأوفى تعبيرا ، وللعواد جوانب أخرى لم
نتحدث عنها فهو قد شغف بالأدب اليوناني فيما وصل إليه من تراجم لعيون هذا
الأدب وكذلك نظم بعض المقطوعات عن توماس هاردي بعد أن ترجمها العقاد
نثرا ، وعن رديارد كبلنج كما نظم موعظة المسيح عليه السلام وتحدث كثيرا عن
الآلهة اليونانية الخرافية والقاريء يجدها مثبتة في دواوينه وقصائده ويبدو لي أنه لو
أتيح للعواد أن يتعلم اللغة الانجليزية او الفرنسية وتعمقت قراءاته في عيون
الأدب الأجنبي لكانت له جوانب مشرقة في هذا المجال .

الشعر المنثور

وبعد فاننى قرأت ما استطعت قراءته من شعر العواد وخرجت من هذه القراءة بهذه الانطباعات التى شرحتها آنفا وهناك أشياء أخرى لم أكتب عنها لأن ما فيها لا يخرج عن العدد الذى ذكرنا وأشياء أخرى تعمدت الاغضاء عنها إذا صح هذا التعبير فللعواد ديوان آخر اسمه رؤى ابولون القسم الأعظم منه سماه عواد (شعر منشور) وأنا أسميه النثر الشعرى ولى فى هذا الموضوع رأى تحدثت عنه فى التليفزيون وفى صحيفة البلاد بعد أن ثارت أقلام كثيرة للرد على ومن ضمنها استاذى العواد رحمه الله فليرجع إليه من شاء لأن الشعر عندى هو الشعر الذى تحكمه الاوزان الشعرية والقوافى وقد تقبلت تعدد الأوزان وتعدد القوافى ما دامت الموسيقى متوفرة أما هذا الشعر المنثور فهو نثر وإن اتسمت الأخيلة فيه بالاسلوب الشعرى فانا أقبله كلون من اللون النثر وما أكثر اللون النثر فى لغتنا العربية الغنية بتعابيرها وأخيلتها وما أغنى الشعر العربى بمختلف ألوانه وفنونه ، وطريقتى أن اسمى الأشياء باسمائها والعواد غنى عن اضافة هذا اللون إلى شعره بما انتج وأبدع من الشعر الحق وهو يُعَدُّ من أياديه على النثر الفنى المبدع وما أكثر أياديه فى هذا المجال وما أطولها .

آثار عواد الباقية

ان ما لدينا من شعر العواد وهو ما اشتملت عليه مجموعة دواوينه فى جزأين كبيرين يقف عند منتصف السبعينات أو الثمانينات وقد امتد به العمر الى عام ١٤٠٠ هـ فهناك فترة ربع قرن لم يطبع فيها ما انتجه العواد من الشعر ولا يمكن ان يكون خلال ربع قرن أو حتى خلال عشرين أو خمسة عشر عاما قد توقف

عن النظم وقد يكون قليل الانتاج في هذه الفترة ولكنه لم يتوقف تماما ومن المؤكد أن يكون بين ما ترك من أوراق ومخطوطات ما يسدُّ هذه الثغرة أو يجليها فلعل ابنته الكريمة السيدة نجاة عواد تتفرغ لتخرج للناس ما بقى من آثار والدها العظيم .

النَّادِي الْأَدَبِيّ

للعواد ولصديقنا الاستاذ عزيز ضياء فضل السبق في الدعوة لإنشاء النوادي الأدبية التي تنتظم مدن المملكة في الوقت الحاضر والتي تقدم إنتاج الأدباء والمؤلفين بتشجيع عظيم من رعاية الشباب ذلك أن العواد وضياء دعيا للمشاركة في الحفل الذي أقيم في الرياض للبحث في أحياء سوق عكاظ وقد اغتنما هذه الفرصة السانحة فتقدما إلى صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد ابن عبدالعزيز رئيس رعاية الشباب بفكرة انشاء النادي الأدبي فاستجاب سموه أعظم استجابة واجاز الفكرة وأخرجها إلى حيز الوجود فكان النادي الأدبي في جدة هو أول النوادي التي انتشرت فيما بعد في مدن المملكة الأخرى وبفضل المعونة السخية التي تقدمها رعاية الشباب لهذه النوادي امكن لها أن تقف على قدميها وأن تستمر وتنمو وتقوم بطبع الكتب في مختلف فنون الأدب والعلم وكان العواد أول رئيس للنادي الأدبي بجدة وقد انتخب ونال من الأصوات ما يرشحه لهذه الرئاسة التي كان هو جديرا بها وقد منح رحمه الله النادي الأدبي وقته كله فكان يجلس فيه صباح مساء وكنت أعجب له وهو في الثمانين من العمر كيف يقوى على هذا الجهد ولكنه كان يمارس أعمال النادي بروح الشباب فلقد عاش عمره كله يحلم بأن يكون للأدباء مكان يجمعهم وللأدب كيان يرتكز إليه وقد تحقق له هذه الحلم قبل وفاته بل تحقق له بحمد الله أن يرى بعينه كثيرا مما دعا إليه في .

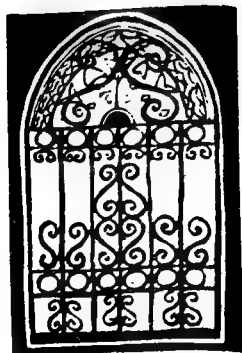
مطلع شبابه نهضة عارمة تشمل التعليم والتطبيب والاقتصاد والبناء نهضة تشمل جميع نواحي الحياة التي كان العواد يحلم بها ويتخليلها ويدعو إليها .

وفاة العواد

هذا وقد توفي العواد رحمه الله في ١٤٠٠ هـ بعد مرض قصير ألم به وكان ينهياً للسفر إلى الخارج للعلاج ولكن المنية عاجلته فصعدت روحه الى بارئها وقد بلغ الثمانين عاما من عمر حافل بالعطاء وإذا كان قد فات العواد حظه من متاع هذه الدنيا فلم يترك لأهله مالا أو عقارا فان الثروة الأدبية والعقلية التي تركها لأهله وإنما للشعر والأدب عظمة وكبيرة فلقد كان بحق رائد جيل وزعيم نهضة واستاذا عظيما وصديقا كريما ، رحم الله العواد وغفر له وأحسن جزاءه في دار الخلد - إنه سميع مجيب ..



إعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر الهجري





محمد جعفر لی

مُحَمَّدُ جَعْفَرُ لُبْنَى

معتدل الجسم والقامة اقرب الى الطول منه الى القصر ، ابيض اللون تخالط بياضه صفرة ييضاوى الوجه ، اسود العينين ، قصير اللحية ، حليق العارضين ، يرتدى الجبة الحجازية ويعتم بعمامة غالبا ما تكون من قماش ابيض رقيق فى الصيف تحتها كوفية جاوية كما يفعل عامة اهل الحجاز .

ولد الشيخ محمد جعفر لبني بمكة المكرمة فى ٧ رجب ١٣٢٣ هـ وحفظ القرآن الكريم فى الحرم المكى الشريف^(١) كما تعلم على ايدى علماء المسجد الحرام وقد عرفته وهو مكتمل الرجولة يتولى رئاسة لجنة قضايا المطوفين فى مكة المكرمة وكانت مكة يومها عاصمة الدولة ومركز الحكومة فى عهد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز فى الخمسينات من هذا القرن ، وكان قد اختاره المغفور له الملك فيصل لرئاسة لجنة قضايا المطوفين لما عرف به من تحرى الحق والعدل ، ولما يتمتع به من ثقة من عامة اهل مكة علاوة على المامه التام بشؤون المطوفين وقضاياهم ، وكان الى جانب رئاسته للجنة قضايا المطوفين^(٢) كان يعمل محاميا امام المحاكم الشرعية بمكة ، كما كانت له مكتبة صغيرة لبيع الكتب فى حانوت صغير فى باب السلام

(١) على يد الشيخ سليمان النورى كما تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بمكة وتخرج منها .

(٢) كما عين مساعدا لامين العاصمة بمكة لفترة محدودة

وكان يسكن البيت الذى يقع هذا الحانوت فى مدخله وقد تم هدم البيت مع كافة البيوت التى حوله وادخل فى التوسعة الأولى للمسجد الحرام ، وقد توثقت صلتى بالمرحوم الشيخ محمد جعفر لبنى منذ ان عرفته فى مكة فى اوائل عام ١٣٥٦ هـ واستمرت صلتى به الى ان توفاه الله تعالى فى ٧ رجب سنة ١٣٧٠ هـ حسبما سيرد فى ترجمته بعد ، عرفت الشيخ محمد لبنى خلال هذه السنوات فوجدت فيه رجلا وقف نفسه فى خدمة الناس وخاصة الأرامل والضعيفات والفقراء من الناس فكان يتولى قضاياهم والدفاع عنهم دون مقابل وقد اصبح بهذا مقصدا لأصحاب الحاجات من الناس وخاصة من النساء الضعيفات والمغلوبات على امرهن فكان يتولى شؤونهن فى المحاكم والدوائر الرسمية كما كان يتولى الإصلاح بين الناس وخاصة حينما يقع الخلاف بين زوجين أو أخوين أو ابناء عمومة وكان الرجل يتمتع بحب الناس لما يبذله فى خدمتهم من وقته وجهده واستطيع ان اقول انى على قدر ما عرفت الشيخ محمد لبنى لم اره مشغولا بأموره الخاصة بقدر ما هو مشغول بشؤون الناس ولعله لم يكن يجد اى وقت للاهتمام بعمله الخاص فقد كان له حانوت لبيع الكتب كما ذكرت ولكنى لم اشهده مرة واحدة يبيع كتابا او يتحدث عن بيع او شراء الكتب ولكنى كنت ارى هذه المكتبة مملوءة باصحاب القضايا من الاصدقاء والفقراء من النساء والرجال فى جميع الاوقات وخاصة فى اصيل كل يوم وما بين المغرب والعشاء ، وكان الرجل معروفا بتفرغه للخدمة العامة وبالتفانى فيها فكان الحكام ورؤساء الدوائر يوسعون من صدورهم له ويكرمونه وساطته وكان بهذا يقضى حوائج الناس التى لم يكن ينقطع لها مدد وكان جلالة المغفور له الملك فيصل يعرف فيه هذه السجايا فكانت وساطته لدى جلالة منذ ان كان نائبا لجلالة الملك فى مكة تحظى بالقبول .

حدثنى رحمه الله قال حبس جارى فذهبت الى سمو الامير وكان وقتها جلالة الملك فيصل نائبا عاما للملك فى مكة - فشرحت القضية لسموه فوافق

رحمه الله على اطلاق سراحه وكان في مجلس سموه احد الأمراء فسألنى ما هى صلتك بالرجل اهو قريب لك قلت كلا ولكنه جار لى فى المنزل ، ومرت شهور وذهبت الى سموه ارجوه فى قضية مشابهة وكانت تخص احدى جاراتى وتفضل سموه فأصدر امره بشأنها وكان نفس الامير حاضرا فى المجلس فسألنى وما هى قرابة هذه المرأة لك قلت انها جارتى قال الا ليتنى جار لك ! هكذا كان الشيخ محمد جعفر لبنى رجلا شهيا يبذل جاهه فى خدمة الناس ومعونتهم وهكذا كان الحكام والعظماء يستجيبون له لثقتهم باخلاصه وحبه للنفع العام .

وخلال عام ١٣٦٤ هـ سافر الشيخ محمد لبنى مع اسرته الى مصر لتطبيب والدته هناك وكنت اذ ذاك اقيم بالقاهرة لغرض مماثل فرأيت الرجل وقد انفق اغلب ما حمله من مال فى مساعدة الكثيرين ممن يعرف ممن كانوا يزورون القاهرة فى تلك الايام ولم يكن الشيخ محمد جعفر لبنى من اصحاب الاموال ولكنه كان كريما لا يبخل بما يصل الى يديه وكان يتوسط للكثيرين من اصحاب الحاجات لدى اصدقائه من اصحاب المال والنفوذ فكانوا يستجيبون لطلبه لما يعرفونه من حبه لخير الناس ونفعهم ، وحينما كنت اعمل مديرا لمكتب المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان كانت طلبات الشيخ محمد جعفر لبنى لمساعدة الناس وخاصة - الشناقطة الموريتانيين الآن - تتوالى بطلبات الإركاب لهم من المدينة الى مكة المكرمة ومن مكة الى المدينة وكانت للكثير منهم صلة حسنة بالشيخ محمد جعفر لبنى رحمه الله .

وقد عمل الشيخ محمد جعفر لبنى فى آخر حياته فى تجارة الارزاق وافتتح دكانا بمدينة الطائف فى موسم الصيف لتوزيع الأرزاق ولكن الزمن لم يطل بهذا العمل ، فان الشيخ محمد لبنى لم يكن مهيتا للتجارة وشؤون المال ، وانما كان

مهيئاً للخدمة العامة بعيداً عن الحسابات والارقام وفي السنة التي توفي فيها عين عضواً بمجلس الشورى عام ١٣٧٠ هـ وقد توفي في نفس العام .

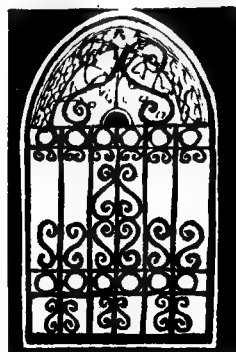
ومرض الشيخ محمد لبنى مرة بالقلب وأمره الطبيب بالراحة التامة فتحول منزله الى منتدى يقصده الناس صباح مساء ، وصدرا من الليل وزرته فوجدت عشرات الناس ذاهبين آتين وهو يستقبلهم ويتحدث اليهم ويحاملهم فقلت له ، ان الطبيب طلب اليك البقاء في المنزل للراحة لا لتستقبل العشرات من الناس صباح مساء قال : ولكنى لا استطيع ان امنع الناس من زيارتى واغلق بابى دونهم وهكذا كان فقد قضى ما قضى في سرير المرض وهو مع الناس الذين احبوه واحبهم دون حجاب .

وكانت نهاية المرحوم الشيخ محمد جعفر لبنى نهاية فاجعة اذ اصطدمت السيارة التي كانت تقله مع المرحومة والدته وابنته الصغيرة نائلة بالسيارة التي كان يستقلها المرحومون الشيخ حسنى قامه والشابان فوزى عابد قزاز ، ومحمد عباس سالم في الطريق بين مكة والحديبية قريبا من وادى فاطمة ، وكان الاصطدام فظيما اسفر عن موت الجميع ولم ينبج من السيارة التي كان يستقلها الشيخ محمد لبنى سوى السائق وباتت مكة ليلة فاجعة حزينة حيث شيعت في اليوم التالى الاربعة رجال والمرأة والطفلة وكانت مقبرة المعلا غاصة بالمشيعين والمعزين وكانت وفاة الشيخ محمد لبنى في يوم ٧ رجب سنة ١٣٧٠ هـ - ومن الغريب ان مولده كان في يوم ٧ رجب كذلك - عن سبعة واربعين عاما .

تغمده الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه في جنات النعيم ..



إعلام الحجاز
في العزلة الربيع عشت للهجرة





الدكتور محمد خالد خاشقجي

الدكتور محمد خالد خاشقجي

معتدل القامة ، معتدل الجسم ، ابيض الوجه تشوب بياضه حمرة خفيفة ،
واسع العينين يطلق لحيته ويعفي عارضيه ، أنيس المحضر ، ذكى لماح ، يجمع بين
دقة العالم وانطلاقة الفنان .

نشأته وتعليمه

ولد الدكتور محمد خالد خاشقجي بالمدينة المنورة عام ١٣٠٩ هجرية
وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدينة المنورة وتوفي ابوه وهو طفل فكفله أخوه الأكبر
عبدالله الخاشقجي ابن محتسب المدينة المنورة وفي اوائل الثلاثينات قام حزب
الاتحاد التركي العثماني بنفى اربعين رجلا من اعيان المدينة المنورة الى الاناضول
وكان من بين هؤلاء الرجال عبدالله الخاشقجي الذي كان ابوه من ابرز رجال
العهد السلطاني في المدينة المنورة والذي قامت على انقاضه حكومة حزب الاتحاد
والترقي ، وأبى محمد خاشقجي ان يترك اخاه الأكبر الذي يحبه الحب كله والذي
احلّ محمداً محل الابن فكان له الوالد والأخ الأكبر أبى محمد خاشقجي أن يترك
هذا الاخ يذهب وحيدا إلى منفاه البعيد في الاناضول فأصرَّ على مرافقته للقيام

على خدمة اخيه وايناسه في منفاه القصى ، وكان هذا المنفى الاختيارى مصدر خير وبركة للصبي الصغير اذ اتاح له فرصة التزود من العلم الذى كان يفتقر اليه والتي كانت مدارس الحجاز محرومة منه في ذلك العهد ، اذ كان التعليم فى مدارس الحجاز لا يتعدى المرحلة الابتدائية ، فالتحق هناك بمدرسة السلطنة لىتم دراسته الثانوية وبعد اتمام دراسته الثانوية رغب فى مزيد من العلم فاتجه بذهنه وقلبه الى الطب فسافر من ازمير الى دمشق والتحق بمعهد الطب هناك وفى هذاالمعهد تعرّف الى كثير من زملائه الشباب العرب من العراق والشام ومصر وكانت حياته فى المعهد حياة جادة وكانت امكانياته قليلة محدودة وكان يعمل ليلا لدى احد تجار دمشق ليستعين على دراسته نهارا بالكلية هناك ، حدث عن نفسه فقال كانت لدىّ بدلتان احدهما ثقيلة للشتاء والاخرى خفيفة للصيف وكنت اسكن مع زملائى من طلاب الكلية فى مسكن مشترك وكان طعامنا متواضعا كما كانت معيشتنا متواضعة ، ولم يكن لنا من هدف سوى العلم والعلم وحده^(١) وكان يعرف ان بلاده مفتقرة الى الطب قبل كل شىء فكان اول طبيب من المدينة المنورة تخرّج من معهد الطب فى دمشق واصبح جراحا مناوبا فى المستشفى العام هناك وتخرّج منه بامتياز ، وبعد التخرج عاد الى البلاد .

ماضى الطب فى الحجاز

واود ان اذكر هنا شيئا عن ماضى الطب فى الحجاز فى هذا العهد الذى سبق ظهور اول طبيب سعودى وعودته الى بلاده ، كانت مدينة جدة ليس فيها الا المستشفى العام وفيه طبيب او اثنان ، وكان هناك مستشفى الكورنتينة - المحجر

(١) مجلة الشريعة العدد ٥٤ صفحة (٩٩) يناير ١٩٧٩

الصحي - وهو خاص بالبواخر التى تصل الى ميناء جدة للتأكد من عدم وجود امراض وبائية فى السفن القادمة الى جدة ولست فى حاجة لأن اقول ان امكانيات المستشفى الحكومى الوحيد بتجهيزاته البسيطة كانت اقل كثيرا من حاجة المدينة وكانت سفارات الدول الاجنبية تقوم بفتح مستوصفات او عيادات لاستقبال مرضى رعاياهم الموجودين فى البلاد ، فكان هناك مستوصف السفارة الانجليزية الذى يقوم على حساب حكومة الهند - التى كانت اذ ذاك مستعمرة بريطانية - وكان يديره طبيب هندى يرافقه صيدلى ، وكانت هناك عيادة السفارة الهولندية التى تقوم على حساب حكومة جاوة التى كانت مستعمرة هولندية ويديرها طبيب جاوى وصيدلى ، ثم قامت حكومة ايطاليا بفتح عيادة لها فى جدة بعد احتلال ليبيا وكان يدير هذه العيادة طبيب ايطالى ، كما كانت هناك عيادة روسية حينما كانت روسيا ممثلة دبلوماسياً فى جدة ويدير هذه العيادة طبيب وصيدلى روسى ، وآخر هؤلاء الاطباء الدكتور عبدالرحمن الطبيب الروسى الذى اسلم فيما بعد ، وكان الناس يترددون بكثرة على هذه العيادات طلبا للعلاج ، وفى مكة والمدينة كانت هناك المستشفيات الحكومية على النمط الذى وصفناه سابقا كما كانت هناك مستوصفات التكية المصرية وكانت تقوم بنفس الغرض ، اما العمليات وما اليها فلم تكن محل تفكير المرضى فى ذلك الوقت فاذا كان المريض يحتاج الى عملية جراحية سافر الى مصر او السودان او اسمره ليجريها فى المستشفيات الموجودة هناك ، هكذا كان الحال فى الأربعينات من هذا القرن الهجرى . وكان الموسرون من الناس يستقدمون هؤلاء الاطباء الى دورهم ويجزلون لهم الاجر ، لأن الفحص والدواء فى هذه العيادات مجانى ، وكان الاحرار من المواطنين يشعرون بهذا النقص ويأسون له اشد الأسى ولكن هذه هى امكانيات البلاد فى اوائل العهد السعودى فى الأربعينات وقد تطور الأمر فيما بعد

الى الأحسن حينما قام الدكتور خالد ادريس بفتح عيادته في جدة وكان قد قدم طبيباً في عيادة امريكية تابعة للسفارة الامريكية ، كما قدم بعض الاطباء اللبنانيين الى جدة وقاموا بفتح المستشفى اللبناني في جدة وقامت المستشفيات الحكومية في نفس الوقت بإدخال كثير من التحسينات على الخدمات الطبية .

الطبيب الجراح

في هذا العهد الذي وصفناه كان قدوم الدكتور محمد خاشقجي بعد تخرجه طبيباً جراحاً فكانت فرحة الناس به فرحة عامة خاصة بعدما رأوا من نجاحه الباهر في اجراء العمليات الجراحية، لقد اذن الله للبلاد اخيراً بان يكون فيها طبيب من ابنائها يعرفه الناس ويعرف هو الناس فيتفانى في خدمتهم ليل نهار، ولقد رأيت الدكتور الخاشقجي في اوائل الخمسينات وهو يعمل جراحاً بالمستشفى العام بمكة المكرمة مستفيض الشهرة ، يحسن استقبال الناس ويعاملهم معاملة كريمة طيبة فيجد منهم الحب كل الحب والثناء كل الثناء، ولقد عمل الدكتور خاشقجي مديراً للصحة في جدة وطبيباً اول جراحاً في مستشفاهما كما عمل في المستشفى العام بمكة المكرمة جراحاً وكان يجري عملياته حيثما يكون في مدن المملكة في المدينة المنورة او الرياض او الطائف وما هو الا ان عينه جلاله الملك عبدالعزيز طبيباً جراحاً له يرافقه حيثما حل او ارتحل بين مدن المملكة .

الدكتور يوسف عز الدين حسين

وأود للتاريخ ان اذكر ان هناك طبيباً مكياً آخر ظهر في هذا العهد ونال من الشهرة والنجاح بمقدار ما نال الدكتور الخاشقجي الا انه لم يبق في البلاد فرحل عنها بعد فترة قصيرة .

هذا الطبيب هو الدكتور يوسف عزالدين حسنين وهو من أبناء مكة المكرمة وأبوه كان الصيدلى الوحيد فى مكة واسم صيدليته ، صيدلية حسنين على اسم الاسرة وقد ادركت هذه الصيدلية يديرها شقيق الدكتور يوسف عزالدين وكانت داخل المشعر الحرام قرب المروة وكان المشعر كله من الصفا الى المروة سوقا من اهم أسواق مكة المكرمة وكانت به اشهر المباني واكبرها ثم هدمت جميعها وادخلت فى التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام واصبح المشعر الآن جزءاً من الحرم ، ليس بداخله الا الساعون بين الصفا والمروة ، ونعود بعد هذا الاستطراد الى الدكتور يوسف عزالدين فنقول إنه كان كذلك فى اوائل الخمسينات يعمل طبيباً جراحاً فى مكة المكرمة والطائف ولكن لم تطل اقامته بالملكة فهاجر الى الاردن والى سوريا أو غيرها من بلاد الله وهنا يظهر فضل الدكتور الخاشقجى الذى لم يبال بما صادفه من عقبات أو مضايقات لم يألفها فاستمر يعمل فى مستشفيات المملكة كالجندى فى المعركة لأنه وجد ان بلاده مفتقرة الى علمه وعمله فتفانى فى اداء واجبه واهبا وقته كله لتطبيب المرضى واسعافهم حيثما كانوا .

التخصّصُ فى الأشعة

وفى الخمسينات حضر الى الحجاز زعيم مصر الاقتصادى محمد طلعت حرب للحج مفتتحاً خطاً جويّاً لشركة مصر للطيران بين القاهرة وجدة لخدمة الحجاج المصريين وكذلك خطاً آخر بحريّاً للبواخر الكبيرة التى تنقل الحجاج فأهدى الى الدولة اول جهاز للأشعة ، وكان هذا الجهاز يحتاج الى اخصائيين للاستفادة منه وهنا ظهر طموح الدكتور الخاشقجى فطلب من جلالة الملك عبدالعزيز انتدابه الى باريس للتخصّص فى العلاج بالأشعة ولقد وافق جلالة الملك عبدالعزيز فتم ابتعث الدكتور الخاشقجى الى باريس لهذه الغاية وبقي هناك حتى أتم دراسته

الجديدة ولم يعد الى بلاده الا وقد تعاقد على شراء جهاز كبير للأشعة يستعمله في عيادته الخاصة .

كهرباء الخاشقجي

لم يكتف الخاشقجي بهذا فالجهاز يحتاج الى القوة الكهربائية لتشغيله والبلاد لم تدخلها الاضاءة الكهربائية الا في بعض البيوت الخاصة فاشترى مولدات ضخمة لتوفير القوة الكهربائية لا لجهاز الأشعة وحده وانما لتوفير الاضاءة للمنطقة التي يوضع بها جهاز الأشعة وهكذا ظهرت موهبة الدكتور الخاشقجي التجارية بوضوح فهو يعرف كيف يستفيد من الفرص المتاحة له بذلك واقدام ، لقد تخطى العقبات التي وقفت في سبيل تعليمه فتعلم وتخطى العقبات حتى اصبح طبيبا شهيرا وتخطى الصعاب حينما أثر البقاء في البلاد على العيش الخفيض في بلد آخر. وأخيرا تخطى الصعاب حينما طمح الى تخصص جديد يُعدُّ الاول من نوعه في البلاد ولم يكتف به بل ادخل الاضاءة الكهربائية الى منطقة ولو كانت محدودة من مكة المكرمة ، نعم لقد استأجر الدكتور الخاشقجي عمارة جديدة اقامها الأشراف في القشاشية بالقرب من المسجد الحرام فجعلها عيادة لأشعته التي تخدم البلد في هذا المجال من الطب وكان لديه الفائض الكثير من القوة الكهربائية فتقدم اليه الناس بطلب الاضاءة ، فأضاء شارع القشاشية كله ولعله ربح من هذه الاضاءة اكثر مما ربح من عمل الأشعة ، واكرر هنا ان الربح الحلال لا يغض من قيمة العمل النافع بل هو مدعاة لاستمراره وتحسينه ، ان عملية اضاءة حوانيت شارع هام من شوارع مكة المكرمة بالقرب من المسجد الحرام يعتبر في ذلك الوقت عملا حضاريا مهما كان محدودا ، فاذا كان الرجل الذي اقدم على هذا المشروع ليس تاجرا وانما هو طبيب جراح او دكتور أشعة

كانت نظرة التقدير الى عمله اكبر واذا كان هو قد استفاد فإن الحى الذى ادخلت اليه الكهرباء قد استفاد كذلك فالمنفعة متبادلة والفضل للرجل المبدع الذى استطاع ان يوفر المنفعة حين الحاجة اليها .

عِلاج الطَّحَال بالأشعة

هل قنع الدكتور الخاشقجى بما احرز من نجاح كطبيب جراح وكطبيب أشعة وبما تدره عليه عيادة الأشعة وبيع الكهرباء ؟ كلا ان الرجل لم ينس قط انه طبيب والطبيب المحاذق يستزيد من المعرفة كل يوم فهو يتابع احدث ما توصل اليه الطب أولا بأول ، وان لم يفعل هذا فانه يتجمد عندما وصل اليه علمه ويتخطاه الآخرون ، يقول الدكتور الخاشقجى^(١) من خلال الممارسة الكثيفة للتشخيص بالأشعة جمعت خبرة ومعلومات دونتها فى رسالة بعنوان معالجة الطحال المتضخم نتيجة الملاريا المزمنة بأشعة اكس ، والملاريا كما هو معلوم منتشرة فى كثير من البلاد الحارة من العالم وكان يعمد فى حالتها القصوى الى اجراء عمليات جراحية لاستئصال الطحال وكان الهدف من الرسالة هو الدعوة الى علاجها بالأشعة .

عُضْوُ الْجَمْعِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ لِلْعِلاجِ

ووجدت الرسالة ما تستحقه من تقدير فعينت الجمعية الفرنسية الوطنية للعلاج صاحبها عضوا من أعضائها وهو نصر علمى يضاف الى امجاد الدكتور الخاشقجى ويستحقه كل الاستحقاق .

(١) مجلة الشرقية العدد (٥٤) يناير ١٩٧٩

تَكْرِيمُ الْوَطَنِ

وما ان ترامى هذا التقدير الفرنسى لطبيبنا الكبير الى أسماع المواطنين حتى قامت حفلات التكريم له بعد وصوله الى ارض الوطن فأقام له اعيان مكة المكرمة من آل الشيبى وشطا والقزاز وسواهم من المواطنين حفل تكريم بمدينة الطائف تقديرا لجهوده العلمية واعتزازا بالطبيب السعودى الناجح كما اقام له اهل المدينة المنورة حفل تكريم حافل حين وصوله اليها فى شعبان عام ١٣٥٧ هـ للعمل فى مستشفاهها .

سَكْرَتِيرُ وَزَارَةِ الصِّحَّةِ

وحين تم احداث اول وزارة للصحة فى المملكة كان وزيرها الاول هو صاحب السمو الملكى الامير عبدالله الفيصل وفى عهد سموه بدأت النهضة الصحية فى البلاد إذا جاز هذا التعبير فتوسعت الحكومة فى فتح المستشفيات فى المدن وكان ان ابتعث سموه الدكتور الخاشقجى اول سكرتير لوزارة الصحة الى مصر للتعاقد مع الاطباء ولم يعد من هناك الا وقد تعاقد على استقدام خمسين طبيبا للعمل فى مستشفيات المملكة مع ما يتبعهم من ممرضات وتجهيزات طبية وهكذا ساهم الدكتور الخاشقجى بخبرته فى تأسيس الكيان الطبى وترسيخه فى البلاد حينما اصبحت الظروف مواتية لتحقيق ذلك .

مَصْنَعُ الْجَبِّسِ

وحين رأى الدكتور خاشقجى انه قد آن الأوان لانشاء صناعات وطنية فى البلاد بادرم مع قيام النهضة العمرانية فى المملكة الى السعى للحصول على انشاء

مصنع للجبس واستثماره في مدينة الرياض لمدة خمسين عاما واسس لهذا الغرض شركة الجبس الاهلية وتولى ادارتها وقد نجحت صناعة الجبس في المملكة وأخذت تسد نقصا كبيرا فقد كانت البلاد تستورد احتياجاتها من هذه المادة من الخارج فقام هذا المصنع بسد جزء كبير من استهلاك البلاد المحلي ، ولم يقتصر عمل المصنع على صناعة الجبس وانما عمد الى تصنيع الجبس في اشكال زخرفية تزين بها المباني وقد نجحت هذه الصناعة كذلك واصبح الكثير من القصور والدارات تزين بها كما ان صناعة الجبس شقت طريقها الى اسواق دول الخليج العربي جميعا والى بعض الدول العربية المجاورة كالسودان وهكذا لم يقف نشاط الدكتور الخاشقجي عند مهنة الطب التي اتقنها ونجح فيها وانما تجاوزها بطموحه وتطلعاته الى مجالات اخرى تفتقر اليها البلاد وقد ظل الدكتور الخاشقجي يدير شركة الجبس الاهلية ويشرف على اعمالها الى أن اشتد ساعدها فتركها مكتفيا بالاشتراك في مجلس ادارتها وظل كذلك الى ان توفاه الله .

تقاعد الدكتور الخاشقجي

هذا وقد هاجر الدكتور الخاشقجي بأسرته الخاصة بعد أن تقاعد عن العمل لعلو سنه وبعد أن رأى الدكتور من ابنائه من يمارسون نشاطهم الكبير فيها ، فهاجر إلى لبنان ولكنه ظل دائما متصلا بوطنه الأم وبعد ان نشبت الحرب الأهلية في لبنان انتقل الى بريطانيا فكان يفد إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في شهر رمضان من كل عام للاعتار وقضاء بعض الأيام في المدينة المنورة كما كان يحضر ببعض أفراد أسرته للحج في كل عام وكان منزله في لندن وبירות غاصا بالضيوف من الأهل والأصدقاء كل يوم فلقد كان رحمه الله مطبوعا على الكرم وحسن الخلق وكان أنيس المحضر متدينا حتى وهو في أوج شبابه حينما كان يدرس الطب في فرنسا ، حدثني معالي الشيخ محمد رضا كيف قرأ لهم الدكتور

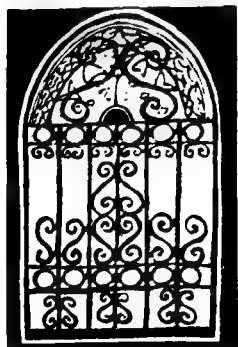
الخاشقجي السيرة النبوية في باريس ، قالوا حضر الحاج محمد علي زينل رضا رحمه الله إلى باريس يوم كان يباشر أعماله العظيمة في تجارة اللؤلؤ هناك وجاء الدكتور الخاشقجي للسلام عليه فأراد أن يضيفه فقال انه صائم واعجب الرجل العظيم بالشاب المدني الذي يصوم في باريس ، وربما كان هذا الصيام تطوعاً فأحبه وما هي إلا أيام حتى حل الموعد السنوي لذكرى ولادة النبي ﷺ فأقام الحاج محمد علي رحمه الله حفلاً بهذه المناسبة دعى فيه الدكتور الخاشقجي إلى تلاوة السيرة النبوية بمناسبة المولد فاستجاب لذلك مسروراً رحمهما الله جميعاً .

وفاة الدكتور الخاشقجي

هذا وقد حضر الدكتور الخاشقجي بأسرته الى مكة المكرمة في حج عام ١٣٩٨ هـ ولكنه شعر بأعراض المرض وبحكم خبرته كطبيب ادرك انه محتاج الى عملية جراحية ولكنه طلب حضور جميع ابنائه وبناته واجتمع شمل الاسرة كلها في الرياض والتفوا من حوله قالوا: وكان يشعر انها النهاية وبالفعل فقد اسلم الروح بعد اجراء تلك العملية الخطيرة له يوم ١٩ ذى الحجة ١٣٩٨ هـ ونقل جثمانه الى مسقط رأسه بالمدينة المنورة فصلى عليه في المسجد النبوي الشريف ودفن في مقبرة البقيع مأسوفا عليه من اهله ومن محبيه وعارفي فضله وما اكثرهم . رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رجلاً عظيماً احب بلاده وامته فسعى في سبيلهما ما وسعه السعى فكان طبيباً عظيماً وادارياً حازماً واقتصادياً كبيراً .

تغمده الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه في عليين .

إعلام الحجاز
في ثمانين سنة





محمد حسين نصيف

مُحَمَّدٌ حَسِينٌ نَصِيفٌ

مستدير الوجه ، أبيض اللون ، واسع العينين ، ألقى الأنف ، أقرب الى الطول منه إلى القصر، وسيم، جسيم، قوى البنية، متين الأركان، تزيّن وجهه لحية غلب فيها البياض على السواد يرتدى الجبة والعمامة الحجازية وكان له سمت خاص في لباسه فهو سلفى المذهب والشارة ، فحينما كان يلبس العمامة كانت عمامته بيضاء خالصة ولم تكن تزdan بالنقوش الحمراء والخضراء التى تتميز بها العمامة الحجازية وحينما تحوّل عن الجبّة والعمامة الحجازية إلى العباءة والعقال كانت عباؤه بيضاء كذلك ولم تكن مزداة بالقصب الذى تتميز به العباءة العربية ، وكان عقاله أبيض خالصا ، فهو رجل متميز بطبعه يتخذ سمات العلماء السلفيين ويرتدى ما يراه متفقا مع كرامة العلم ومقام العلماء

ولد الشيخ محمد حسين نصيف في أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ١٣٠٢ هـ ومات أبوه وهو طفل فكفله جده لوالده الأفندى عمر نصيف وكان كبير أعيان جدة أو على الأصح كان ثانى اثنين هما أكبر أعيان جدة فى ذلك الزمان أما الثانى فهو الأفندى موسى البغدادى وكان الرجلان كما سمعنا يكيدان لبعضهما البعض وينفس كل منهما على الآخر مكانه فيحاول النيل منه وكان الأفندى عمر نصيف وكيل شريف مكة ولعله كان وكىلا لكل من يتولى اامارة

مكة من الاشراف كما كان على صلة كبيرة بالوالى التركى فى الحجاز والذى كان يتخذ من قصر الأفندى عمر نصيف الشهير بجدة مركز إقامة له فى فصل الربيع ، قالوا وكان فى أعلى القصر مجلس منيف يتخلله الهواء من كل مكان وكان الوالى التركى راتب باشا يصعد بفرسه إلى هذا المجلس الذى كان يسمى بالتركية (كشك) وفى حضانة هذا الجد الكبير وفى ظل هذا المجد تربى الشيخ محمد حسين نصيف، وكان الولد الوحيد لجدّه كما بلغنا فقد كانت ذرية الأفندى عمر نصيف جميعاً من البنات ثم تزوج الزوجة الثانية فولدت له حسين نصيف والد الشيخ محمد نصيف، ولكن حسيناً هذا توفى فى أوج الشباب وترك بعده محمداً الذى احتضنه جدة الأفندى عمر نصيف، فكان هو الذكر الوحيد لهذا الجد وهو المعصّب له حين وفاته .

قصر نصيف

والحديث عن الشيخ محمد حسين نصيف يقتضى الحديث عن قصر نصيف الذى فيه نشأ وتربى وعاش طيلة حياته التى امتدت نحواً من تسعين عاماً أو تزيد .

كان قصر نصيف الذى بناه الأفندى عمر نصيف جُذ المترجم معلماً من معالم مدينة جدة بل أبرز معالمها فى حينه نزل فيه الملوك والأمراء والعلماء والوزراء وقد شهدت السلطان وحيد الدين آخر سلاطين العثمانيين ينزل فيه بعد أن أقصى عن الخلافة ودعاه الشريف الملك حسين بن على لزيارة الحجاز ، وكان الوالى التركى يتخذ منه مركزاً لإقامته فى بعض فصول العام كما أسلفنا ، وكان أمراء مكة من الاشراف ينزلون فيه ثم تحولوا إلى قصر آل مهنا فكان الملك حسين ثم ابنه الملك على ينزلون فيه ، وكان كل من قدم إلى الحجاز من الملوك والأمراء وأعظم

الرجال ينزلون في هذا القصر المنيف قصر نصيف ، فلم يكن في مدينة جدة فندق اودار ضيافة فكان قصر نصيف هو قصر الضيافة لكل من قدم إلى الحجاز من عظماء الرجال وفي عام ١٣٤٤ هـ حين استيلاء المغفور له الملك عبدالعزيز على الحجاز بعد انتهاء الحكم الهاشمي كان قصر نصيف بجدة هو منزل جلالته حين دخوله إلى جدة لأول مرة وفي هذا القصر كانت الوفود تصل إلى جلالته لمبايعته ملكا على الحجاز كما شهد هذا القصر كل الاجتماعات التي كانت تعقد لترتيب امور الدولة الجديدة وقد اتخذ جلالته الملك عبدالعزيز رحمه الله من هذا القصر مقرا له لسنوات طويلة كلما قدم إلى مدينة جدة ، ثم انتقل إلى القصر الأخضر بالعمارة الذي بناه المرحوم الشيخ على العماري ناظر عموم الرسوم بجدة خصيصا لنزول جلالته وقد سميت المنطقة بالعمارة نسبة إلى اسم الشيخ على العماري رحمه الله ، وبعدها انتقل جلالته الملك عبدالعزيز إلى قصر خزام بالنزلة وهو القصر الذي قام ببنائه خصيصا لجلالته المعلم محمد بن لادن رحمه الله واستمر جلالته يتخذ من قصر خزام مقرا له إلى حين وفاته .

ولما توفي الأفندي عمر نصيف انحصر إرثه في بناته الست وفي الشيخ محمد نصيف الذي كان المعصب لجده المتوفى فعمل والى جدة التركي راتب باشا على أن يكون القصر من نصيب الشيخ محمد نصيف لأنه الشخص الوحيد من الورثة القادر على ابقائه مستعدا لاستقبال الضيوف من ملوك وعظماء وهكذا كان ، وتقديرا لمكانة هذا القصر ومنزلته التاريخية امر جلالته المغفور له الملك فيصل بشرائه من ورثة الشيخ محمد نصيف بعد وفاته بما يحويه من مكتبة المرحوم الشيخ محمد نصيف ليكون القصر بالمكتبة نواة لمكتبة عامة في مدينة جدة حيث يقع القصر في قلب المدينة القديمة وقد اشترته الدولة ولكن استعماله كمكتبة عامة لم يتم حتى الآن .

نعود الآن بعد هذا الاستطراد عن قصر نصيف إلى إكمال ما بدأناه من حديث عن الشيخ محمد نصيف ففي هذا القصر المجيد وفي ظل جده الكبير نشأ محمد نصيف وتربى وتعلم على أيدي خيرة العلماء في زمانه وكان القصر منتدًى لكل من تضمهم مدينة جدة من علماء ورجال سياسة فلم يكن يقد إلى جدة عضو في سفارة عربية أو اسلامية الا كانت زيارة قصر نصيف والاجتماع إلى الشيخ محمد نصيف من أوائل الأعمال التي يقوم بها بعد وصوله إلى المدينة ، وكان الشيخ محمد نصيف يقضي سحابة نهاره وصدره من الليل في الدور الأرضي من القصر الذي كانت المكتبة تحتل أجزاء كثيرة منه وكان يتناول الوجبات الثلاث في غرفة المائدة في هذا الدور مع أولاده ومن يضمهم القصر من الضيوف والأصدقاء وكانت هناك مضيعة ملحقه بالقصر لاستقبال الضيوف بصورة دائمة طوال العام وخاصة في موسم الحج ولعل لا أفشى سرا إذا قلت أن واردات الشيخ محمد نصيف من العقار الكثير الذي ورثه عن جده الأفندي عمر نصيف لم تكن تكفي دائما لمقابلة المصاريف الضخمة التي كان ينفقها في إبقاء قصره مفتوحا للضيافة طوال العام وقد علمت بحكم صلة القرابة التي تربط أسرتنا به أنه كان يبيع في بعض الأعوام بعضا من عقاره لسد هذه النفقات الطائلة التي كان يتكلفتها كل عام ، وخلال الخمسينات من هذا القرن وحين اشتداد الأزمة الاقتصادية العالمية وهبوط قيمة العقار كان واضحا ان الشيخ محمد نصيف اخذ يعاني من هذه الازمة وما أن علم جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز بذلك حتى أصدر أمرا بصرف قاعدة سنوية له كل عام وكان الشيخ ابراهيم بن معمر قائممقام جدة في ذلك الوقت هو الذي كتب لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز ودون علم الشيخ محمد نصيف بذلك ولا شك ان الشيخ محمد نصيف كان من أحق الناس بعطف جلالة الملك عبدالعزيز ومعونته فقد كان معروفا بعقيدته

السلفية منذ نشأ وقد أخبرني المرحوم الشيخ عبدالرؤوف الصبان وكان من رواد مجلس الشيخ محمد نصيف كما كان من أوائل المتعلمين في ذلك العهد قال كنا نجلس في مجلس الشيخ محمد نصيف وكان ير بنا جماعات الطرق الصوفية وهم يرقصون ويغنون وكان هذا في العهد الهاشمي قال فكنا نسفه آراءهم ونحصبهم بالحجارة ، وحينما تم فتح مكة المكرمة في عام ١٣٤٢ هـ وأحاطت جيوش الملك عبدالعزيز بمدينة جدة كان معروفا ان الشيخ محمد نصيف على صلة بجلالة الملك عبدالعزيز وسواء أكان الخبر صحيحا أم مبالغا فيه فقد سجن الشيخ محمد نصيف ومعه الشيخ سليمان عزيه وغيرهم في الثكنة العسكرية خارج مدينة جدة اذ ذاك ولم يطل الأمر بهما فقد أطلق سراحهما بعد أيام قلائل ثم لم يمض طويل وقت حتى دانت مدينة جدة بالولاء لجلالة الملك عبدالعزيز واتخذ جلالته كما اسلفنا من قصر الشيخ محمد نصيف مقرا لإقامته على مدى سنوات حينما كان يحضر إلى جدة كل عام وهكذا بقى قصر الشيخ محمد نصيف يمثل الوجه المشرق لمدينة جدة منذ تأسيسه في أوائل هذا القرن وعلى مدى ما يزيد من ستين عاما ولولا ان الشيخ محمد نصيف كان رجلا مطبوعا على الكرم والفضل لما استطاع ان يقوم وحده بهذا العبء الذى لا يضطلع به الا الأفذاذ من الرجال .

هذا ولقد كان الشيخ محمد نصيف مرجعا لكثير من المعلومات التاريخية عن العهود التى عاصرها وهى كما ذكرنا تقرب من قرن كامل وإنى لأذكر حينما وصل ماء العين العزبية الى جدة عام ١٣٦٧ هـ ان أصدرت مجلة الحج عددا خاصا عن هذا الموضوع وقد كلفنى يومها معالى المغفور له الشيخ محمد سرور الصبان بكتابة بحث عن تاريخ الماء في مدينة جدة ولم أجد في مدينة جدة كلها اذ ذاك مصدرا لهذه المعلومات سوى الشيخ محمد نصيف رحمه الله وإنى لأذكر كيف كان يتدفق في حديثه عن تاريخ الماء في مدينة جدة بأسلوب يجمع بين حقائق التاريخ

وطرافة المعلومات وقد نشر هذا البحث في مجلة الحج وذكرت فيه مصدر هذه المعلومات في صلب البحث المذكور ، كما كان فضيلة الشيخ محمد نصيف يوافي المجلات والصحف في بعض المناسبات بمعلوماته التاريخية عن الأحداث التي يرى ضرورة التعليق عليها كما كان يجيب السائلين سواء في رسائل خاصة أو على صفحات الصحف عما يسألونه عنه فلم يكن ممن يضمنون بعلمهم أو يكتمونونه .

مَكْتَبَةُ نَصِيف

ولا يكتمل الحديث عن الشيخ محمد نصيف إلا بالحديث عن حبه للكتب واقتنائه لها فلقد نشأ وتربى على حب القراءة وكانت صلته بعلماء عصره سواء المقيمين أو القادمين مدعاة لتنمية حبه للقراءة والدرس وهكذا عكف الشيخ محمد نصيف منذ فجر صباه على جمع الكتب واقتنائها وتتبّع النادر منها حيث وجد، وإني لأذكر أنه علم بوجود نسخة من أحد الكتب الأندلسية القديمة في مكتبتى فلم يتردد رحمه الله في الكتابة إلى بطلبها ولم أتردد في تقديمها له لأن وجودها ضمن مكتبته الثمينة أولى من وجودها لدى وهكذا صرف الشيخ محمد نصيف حياته الطويلة المديدة في جمع مكتبة تعد أثمن مكتبة خاصة في مدينة جدة كلها وهى من أثمن المكتبات الخاصة في الحجاز كله وهذه المكتبة هى التى آلت ملكيتها كما ذكرنا الى الدولة مع القصر لتكون نواة لمكتبة عامة في جدة ونرجو ان يتم تنفيذ هذا المشروع الهام قريباً لئتم النفع به .

ومما يجب ذكره في هذا المقام ان الشيخ محمد نصيف قام بطبع ونشر كثير من الكتب على نفقته وبالاشتراك مع الغير منها كتاب العلو للعلی الغفار الذهبی طبع في عام ١٣٢٥ هـ وكتاب الجواب الباهر في حكم زيارة المقابر ويها مشه .^(١)

(١) كتب التوسل والوسيلة لابن نيمية والمخطوط العريضة لمذهب الشيعة لمحّب الدين الخطيب والرحلة البانية للشيخ عبدالمحسن والجيل الثانى لعدة مؤلفين كما طبع كتاب الأدب المفرد للإمام البخارى على نفقة الحاج يوسف زبيل رحمه الله .

كما اعرف أنه شجع بعض أصدقائه على طبع ونشر بعض الكتب على حسابهم الخاص مثل المرحوم الشريف شرف رضا الذى قام بطبع ونشر كتاب للامام البخارى على ما أذكر بمشورة الأفندى نصيف وتشجيعه ، وتوفى الشيخ محمد نصيف بمدينة الطائف بمستشفى الملك فيصل فى ٨ جمادى الثانى سنة ١٣٩١ هـ ونقل جثمانه الى جدة حيث دفن بها فى مشهد حافل شاركت فيه الجموع الكثيرة وواسى فى وفاته رجال الدولة وعلى رأسهم جلالة المغفور له الملك فيصل رحمه الله وكبار الأمراء وأعيان البلاد .

تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان غطا فريدا من الرجال استطاع بفضله وكرمه أن يكون مصدر فخار لحقبة طويلة من الزمن لمدينة جدة بل للحجاز كله وليس هذا بالأمر السهل أو القليل الأثر فمثل هؤلاء الرجال يعدون من مفاخر الأمم .





محمد حسبي مصطفیٰ

محمَّد بن حَسَنِ بنِ نَصِيفٍ

معتدل القامة والجسم ، أبيض تخالط بياضه صفرة ، أسود الشعر والعينين ،
خفيف اللحية ، حليق العارضين ، يرتدى العباءة والعقال •

ولد بمدينة جدة عام ١٣٥٣ للهجرة الموافق لعام ١٩٣٤ للميلاد وتلقى تعليمه
الابتدائي بالمدرسة السعودية بجدة ، وحصل على الشهادة الثانوية من القاهرة ثم
سافر في بعثة إلى أمريكا فحصل على شهادتي البكالوريوس والماجستير في
الهندسة المدنية من جامعة جنوب كاليفورنيا بمدينة لوس انجلوس بالولايات المتحدة
الأمريكية •

وعينَ فورَ عودته ملازماً أول بسلّاح المهندسين بوزارة الدفاع ورُقيَ الى رتبة
مقدم ثم نقل إلى الملاك المدني واسندت اليه وظيفة مدير الأشغال الهندسية
العسكرية وظل يشغل هذا المنصب حتى توفاه الله في أوج الشباب في
٩٥/١٢/٢٩ هـ وهو لم يكمل الثالثة والأربعين من العمر بعد أن استعصى الداء
ولم يُجِدِ الدواء رحمه الله رحمة الأبرار •

كان المرحوم محمود نصيف وهو من أسرة نصيف الشهيرة في جدة فوالده المرحوم الأستاذ حسين محمود نصيف مؤلف كتاب - ماضى الحجاز وحاضره - وجده العلامة والمؤرخ والوجيه الكبير المرحوم الشيخ محمد نصيف نقول كان هذا الشاب نمطا فريدا في خلقه وعمله ، فقد ولى أخطر المناصب وهو في سن مبكرة بعد أن حصل على شهاداته العليا من احدى كبرى الجامعات في الهندسة في أمريكا ، فلم يقنع بمجد أسرته التليد وإنما بنى لنفسه مجدا جديدا حينما تبوأ مركزه كمدير للأشغال العسكرية الهندسية في وزارة الدفاع بالملكة وهو منصب جدٌ خطير تحيط به المغريات من كل جانب ولم يهينه لهذا علمه فحسب وإنما هيأته لذلك صفاته الشخصية ، فلقد اشتهر بالاخلاص والنزاهة ، ونظافة اليد والضمير واذا علمت ان محمود نصيف أشرف على عدد من المشاريع البالغة المضخامة مثل مشروع المدينة العسكرية في خميس مشيط ، ومطار جدة الدولي ومطار الرياض الدولي ، وكان في كل أعماله مثالا للنزاهة التى تصل الى درجة الزهد ، أدركت مدى قوة الخلق في هذا الشاب العظيم الذى كان يتعالى على كل أسباب الإغراء مترفعا بنفسه عن كل مظنة حتى أصبح مضربا للمثل في عصر عُرِف فيه ، هذا المثال النادر من الرجال ، كتبت عنه احدى المجلات الامريكية المتخصصة في الهندسة والانشاءات كواحد من المهندسين القلائل في العالم الذى أشرف على عدد ضخم من المشاريع الهندسية التى تقدر بـبلايين الدولارات في وقت قصير .

وكان إلى جانب هذا المنصب متديّنا شديدا للتدين قوى الايمان وقد أسبغ عليه هذا التدين ما تميّز به من صفات التواضع الجم والامانة القليلة النظير .

تفرغ لخدمة الجامعة

ولقد عرفت المرحوم محمود نصيف أول ما عرفته حينما انضم الى عضوية المجلس التأسيسي لجامعة الملك عبدالعزيز فرأيت فيه شابا يجمع بين العلم والتواضع ويساهم بعلمه وجهده في خدمة مشاريع الجامعة وما أكثر ما كانت الجامعة في حاجة إلى هذا الجهد على قلة الموارد في ذلك الوقت .

كان المبنى الذى تشغله كلية العلوم قديما لا يقوى على البقاء كما أنه لا يفي بمتطلبات الكلية فاقترح المهندس محمود نصيف اقامة مبنى خاص بالكلية ولكن موارد الجامعة لم تكن تسمح في ذلك الرقت باقامة المبنى المطلوب فقام هو بجمع التبرعات العينية والنقدية للجامعة من الشركات الهندسية والفنية الكبيرة التى كان على صلة بها ، وجند كل أصدقائه من المهندسين والفنيين لانشاء المبنى فى أسرع وقت وبأقل تكلفة وهكذا قام مبنى كلية العلوم بجهد عظيم من المرحوم محمود نصيف خاصة وبمن لبي نداءه من المخلصين والعاملين وقد شمل هذا الجهد كل ما يتعلق بالمبنى من تصميم وتنفيذ .

ولم تقف جهود المرحوم محمود نصيف عند مبنى كلية العلوم فلقد ساهم بجهد عظيم فى كل عمل هندسى للجامعة فكان يشرف على أعمالها الهندسية وانشاء مبانيها منذ أن كانت جامعة أهلية وحتى بعد أن تحولت الى جامعة حكومية دون مقابل ولقد تابع بجهوده الشخصية اخراج المخطط العام للجامعة بجدة الى مرحلة التصميم ، كما شارك فى اخراج مخطط الجامعة بمكة وكان يندفع بكليته فى العمل دون تفكير فيما يجب لنفسه من راحة ولصحته من عناية ، ولقد علمت أنه كان يغادر بيته فى الصباح المبكر دون ان يتناول طعام الافطار منهمكا فى عمله حتى

المساء ، بل إنه حتى في رحلاته للعلاج بعد أن ظهرت عليه أعراض المرض كان يبحث في هذه الرحلات الأعمال الهندسية للجامعة مسرفا على نفسه في الجهد والعمل الى ان توفاه الله .

محمود نصيف والخدمة العامة

ولم تقف جهود محمود نصيف رحمه الله على أعمال الجامعة ومشروعاتها ولكنه كان يندفع الى بذل جهوده في كل عمل يحس فيه النفع العام ولقد علمت انه ساعد على تصميم وانشاء طابق جديد في المبنى الذى كان يشغله البنك الاسلامى بجدة أول تأسيسه وكان المبنى يضيق بمتطلبات البنك وأعماله فقام رحمه الله بعمل التصميم للطابق الجديد وأشرف على انشائه بسرعة مذهلة . وأستطيع أن أقول إنى خبرت شيئا من هذا الاندفاع في الخدمة العامة لا في الجامعة وحدها أو في البنك الاسلامى وإنما في كل عمل نافع ، فلقد وهب الرجل شبابه للخدمة العامة ولم يكن ينتظر الدعوة إلى العمل وإنما كان يقدم نفسه كما فعل في الجامعة والبنك الاسلامى وغيرها من الأعمال .

ولا يظن ظان ان محمود نصيف كان يستغل مركزه الكبير في وزارة الدفاع لهذه الخدمة دون علم من رؤسائه فقد أخبرنى شخصيا أنه علم أن احد الرجال المعروفين كان يفكر في انشاء مسجد في مدينة أبهر لخلوها من المساجد فلم يكن منه الا أن استأذن صاحب السمو الملكى الامير سلطان وزير الدفاع والطيران في أن يقوم المكتب الهندسى لوزارة الدفاع بتصميم المشروع فوافق سموه على ذلك ، وهكذا كان الرجل مبادرا إلى كل عمل نافع وكأنا قد سُخِّرَ لذلك تسخييرا ، وبينما كان غيره يسخِّرون عملهم ووظائفهم للنفع الشخصى وجر المغانم كان هو يسخر نفسه للخدمة العامة فكان بذلك مثالا فريدا قليل النظير .

مَرَضُهُ وَوَفَاتِهِ

أحسنَّ المرحوم محمود نصيف بأعراض الداء قبل فترة من الزمن ولكنه لم يسارع إلى العلاج كما كان الواجب بل كان يؤجل السفر للفحص والعلاج أسبوعاً بعد أسبوع وشهراً بعد شهر حتى أصبحت الحمى لا تفارقه وكان مع ذلك منهمكاً في أداء الأعمال التي كلف نفسه بها حتى ظهرت عليه العلة صفرة في الوجه ونحولاً في البدن فسافر إلى أمريكا ولم ينس أن يحضر أولاً اجتماعاً لبحث مخطط الجامعة العام في مدينة غير التي يقصدها للعلاج ، ثم انتهى به المطاف إلى مدينة روشستر بولاية مينسوتا بأمريكا وقد اقتضى الأمر إجراء جراحة عاجلة له ولكن الداء كان قد استفحل وبقى في غرفة الانعاش وقتاً غير عادي مما استدعى إرسال زوجه وأولاده إليه كما سارع بعض أفراد أسرته للسفر وهكذا أراد الله لهذه الروح ان تعود إلى بارئها مودعاً هذه الحياة وهو في مطلع رجولته بمدينة روشستر بأمريكا بتاريخ ١٢/٢٩/٩٥ هـ وقد نقل جثمانه الى جدة بعد ثلاثة أيام من وفاته فاستقبله اصدقاؤه الكثيرون وصلى عليه في جامع الملك سعود ودفن بمدينة جدة مسقط رأسه وقد نعته صحف المملكة جميعها واستمر الكتاب والشعراء في رثائه وتعداد مآثره وقتاً طويلاً ، فلقد كان شاباً نادر المثل تغمده الله برحمته الواسعة وأحسن جزاءه في دار الخلود ..





محمد سرور الصبان

مُحَمَّدُ سُرُورُ الصَّبَانِ

طويل بائن الطول ، سمهرى القوام ، داكن البشرة ، عظيم الشفتين ، اقنى الأنف حلو النظرة ، حسن الخلق رقيق أنيق يرتدى العباءة العربية والعقال ، وهبه الله سباحة فى النفس واليد فكان من أكرم من عرفت من الرجال ، وكان يسع الناس ببذله وكرمه كما يسعهم بأخلاقه وحلمه حتى تبوأ مركز الزعامة بما بذل من نفسه وماله .

ولد الشيخ محمد سرور الصبان بمدينة جدة كما ورد فى ترجمته التى كتبها عن نفسه فى كتاب أدب الحجاز فى اواخر عام ١٣١٦ هجرية وتعلم فى مكة ثم فى مكتب صادق بمدينة جدة بعد ان هاجر والده الحاج سرور الصبان اليها حيث كان يدير اعمال اسرة الصبان ، وكانت يومها من اكبر البيوتات التجارية التى تخصصت فى تصدير الجلود ، وفى اوائل العهد السعودى كان موظفا بأمانة العاصمة بمكة المكرمة كما كانت له مكتبة لبيع الكتب يعمل فيها اخوه المرحوم الشيخ عبدالله سرور الصبان ، وفى السنوات الأولى من العهد السعودى استقدمه جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز الى الرياض وبقي بها بعض الوقت ثم عاد بجمعية جلالته الى الحجاز وكانت قد اتصلت اسبابه باسباب المرحوم الشيخ

محمد الطويل في الرياض وقد عادا معا الى الحجاز بمعية المغفور له الملك عبدالعزيز فأسند الشيخ محمد الطويل الى الشيخ محمد سرور ادارة شركة القنعة للسيارات بمكة المكرمة والتي كانت رئاستها للشيخ محمد الطويل كما ورد في ترجمته المنشورة من قبل .

وفي شركة القنعة للسيارات اتصلت أسبابي بأسباب المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان فقد كان هو مديرا لإدارة الشركة بمكة المكرمة ، وكنت اعمل بإدارتها في جدة ، وبعد ان اسندت الى الشيخ محمد الطويل رئاسة اموال وجمارك المنطقة الشرقية اصبح الشيخ محمد سرور هو القائم بادارة شركة القنعة في جدة واصبحت اعمل معه جنبا الى جنب طيلة شهور الموسم ، وما لبث الشيخ محمد سرور ان أسس شركة خاصة للسيارات باسمه واسم اخوانه اطلق عليها اسم شركة الفلاح وأسندت ادارتها الى اخيه المرحوم الشيخ عوض سرور الصبان وكانت من اكبر شركات السيارات في ذلك الزمان - هذه الشركات جميعها توحدت فيما بعد في شركة واحدة هي الشركة العربية للسيارات - وفي النقابة الأولى للسيارات التي كان مركزها الرئيسي في مكة المكرمة تجلت عبقرية الشيخ محمد سرور وظهرت مواهبه ، وكانت شؤون السيارات تهتم الدولة اذ ذاك فوقع اختيار معالي المرحوم الشيخ عبدالله السليمان على الشيخ محمد سرور ليتولى ادارة قسم التحريرات في وزارة المالية وللأيام الأولى التي باشر الشيخ محمد سرور فيها هذا العمل ظهر اثره وتبين تأثيره ، وكان معالي الشيخ عبدالله السليمان خبيرا بأقدار الرجال فما لبث ان اسند اليه منصب مدير عام وزارة المالية ، وكانت وزارة المالية اذ ذاك هي كل وزارات الدولة تقريبا فوزارة المالية هي التي تقوم بأعباء وزارات المالية والأشغال والحج والمواصلات والتجارة بينما كان ديوان النيابة العامة الذي كان يتولاه في ذلك العهد سمو الامير فيصل نائب جلالة الملك في الحجاز اذ

ذاك - جلالة الملك فيصل الاول فيما بعد - تتولى الإشراف على الداخلية والأمن العام والمعارف ومجلس الشورى وهيئات الامر بالمعروف والمحاكم الشرعية والبلديات ، وهكذا وجد الشيخ محمد سرور في وزارة المالية المجال الرحب لإظهار مواهبه وقدراته فكان في ذلك العهد ولسنوات طويلة من اكبر الرجال تأثيرا واعظمهم نفوذا فقد كان يستمد سلطاته القوية من اقوى رجل في الدولة بعد ولي العهد والنائب العام ، وقد استطاع الشيخ محمد سرور ان يحسن العمل في وزارة المالية فالتحق بها في عهده صفوة المثقفين إذ ذاك فتحسنت لغة الكتابة في الدواوين بعد ان عمل فيها ادباء معروفون كالاساتذة عبدالوهاب آشى ومحمد حسن فقى ومحمد حسن كتبى واحمد قنديل وكلهم كتاب وشعراء بارزون وكانوا جميعا يعملون بالتدريس في مدارس الفلاح بمكة وجدة وبالمدارس الحكومية وكلهم تولى رئاسة تحرير صوت الحجاز في وقت من الاوقات وللشيخ محمد سرور مآثرة أدبيه كبرى ينفرد بها حين يكتب التاريخ الأدبى للحجاز فقد كان اول من اصدر « كتاب ادب الحجاز وكتاب المعرض » ، وكتاب « خواطر مصرحة » للاستاذ محمد حسن عواد ، وكتاب ادب الحجاز بالذات كان اول مؤلف يضم شعر ادباء الحجاز في الاربعينات من هذا القرن الهجرى كما كان اول صوت يسمع في داخل المملكة وخارجها عن الأدب والأدباء وقد جاء هذا الكتاب بعد فترة من الركود والحمول منذ أواخر العهد التركى وخلال العهد الهاشمى فكان ظهور ادب الحجاز بشيرا بفجر النهضة الادبية في الحجاز وهو على صغر حجمه لم يكن الا تعبيراً شديداً الاختصار عن ولادة الادب الحديث في هذه البلاد ولكن هذا التعبير جاء في وقته فكان له صدى قوى في داخل البلاد وبشارة حسنة لمن يترقبون الأحداث الادبية في خارجها ، وكتاب ادب الحجاز هو كتاب شعرى بينما ان كتاب المعرض هو كتاب نثرى فاذا كان الاول يعبر عن الشعر الحديث اذ ذاك في الحجاز فان

كتاب المعرض هو تعبير عن لغة الكتابة في ذلك العهد ، اما كتاب « خواطر مصرحة » فهو من تأليف الاستاذ محمد حسن عواد وقد احدث في حينه ضجة واسعة ، ومهما كان رأى فيه فلقد كان حدثا قويا وجريئا في حينه ، وللشيخ محمد سرور الى جانب هذه المأثرة الأدبية الاولى مآثر كثيرة فقد طبع ونشر على نفقته كتبا كثيرة جليلة منها كتاب تفسير معانى كلمات القرآن للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الامين للفاسي^(١) وغيرها من الكتب المفيدة الجليلة وكانت هذه الكتب تطبع وتوزع على نفقته بغير مقابل جزاء الله خير الجزاء ، كما أن الشيخ محمد سرور كان مؤسس ورئيس الشركة العربية للطبع والنشر التى اشترت جريدة ومطبعة صوت الحجاز من صاحبها المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف وقد كان الشيخ محمد صالح نصيف من اوائل السباقين الى نشر الصحف فند كان يصدر جريدة بريد الحجاز في جدة في اواخر العهد الهاشمى ثم اصدر جريدة صوت الحجاز بمكة في الخمسينات من هذا القرن الهجرى وكانت جريدة صوت الحجاز اول جريدة وطنية في المملكة بعد جريدة ام القرى الرسمية وكانت في حينها حدثا عظيما لأنها كانت مجالا لأراء الكتاب والمفكرين من الرعيل الأول وكانت محل اهتمام كبير على جميع المستويات وهى تصدر الآن باسم جريدة البلاد ، نعود بعد هذا الاستطراد لنواصل الحديث عن المرحوم الشيخ محمد سرور بعد توليه منصب مدير عام وزارة المالية ، وقد كانت هذه الوزارة كما اسلفنا في ذلك العهد قطب الأعمال ومركز الآمال فالتجار كل التجار يتعاملون معها ، اذ كانت تتولى كافة شؤون الدولة المالية والانشائية والصناعية ، وكانت الوظائف مرتبطة بها والصرف والقبض من اهم اختصاصاتها

(١) وكتاب الصحاح للجوهري بتحقيق الأساتذة أحمد عبدالغفور عطار وعبدالسلام هارون وكتاب جواهر العقود ومدارج السالكين وشذرات البلاتين وكتاب الانصاف فى الفقه وهو فى أحد عشر مجلدا وديوان شاعر العرب الكبير فؤاد الخطيب .

وبهذا اصبح الشيخ محمد سرور مقصدا للناس يقصدون اليه في قضاء امورهم فلم يكن يخيب لهم املا ولا يرد لهم مطلبا ما وسعه ذلك ولهذا كان يجلس الى الناس بعد عصر كل يوم يستقبلهم ويستمع اليهم ويحاول قضاء مطلبهم ، وكان هذا المجلس يمتد حتى صدر الليل ، ولم يكن يعتريه سأم او برم فقد وهبه الله نفسا سمحة وخلقاً كريماً فكان يهب من يهب ويقرض من يقرض ويعين من يعين كل هذا في صمت عجيب وتواضع جم ولقد عملت الى جانبه تسع سنوات رأيت فيها العجب من احسانه وحلمه وكثيرا ما انقذ تجارة منهارة او قضى دين كريم وكثيرا ما أقال العثرات وكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وكثيرا ما اشفقت عليه مما أرى فكنت ألفت نظره بلطف إلى ما يفعل ولكن أئى للسيل العارم أن يرتد فقد جبله الله على الكرم والسخاء .

وكانت للشيخ محمد سرور مطامح اقتصادية واسعة فكان اول رئيس للعديد من المؤسسات والشركات الوطنية مثل مشروع القرش ، الشركة العربية للتوفير والاقتصاد ، الشركة العربية للصادرات ، الشركة العربية للطبع والنشر ، الشركة العربية للسيارات ، شركة ملح وكهرباء جيزان ، شركة الزهراء للعمارة ، شركة مصحف مكة ، وللأسف فإنه لم يبق من هذه الشركات جميعا سوى الشركة العربية للسيارات وشركة مصحف مكة ، اما الشركات الاخرى فقد انتهت تماما ولعل الشيخ محمد سرور كان يتخذ من زعيم مصر الاقتصادى المرحوم طلعت حرب مثالا يحتذى فى تأسيس هذه الشركات ، والواقع ان البعض من هذه الشركات تعرض للصعوبات والمتاعب والبعض كانت تنقصه المهارة الإدارية والخبرة والكل كان فى حاجة الى التطوير والتمشى مع متغيرات العصر ، ولعله مما يؤخذ على الشيخ محمد سرور انه لم يكن يشرك الجمعيات العمومية للشركات فى دراسة ما تعرض له هذه الشركات من مشاكل لتكون القرارات المتخذة قرارات جماعية وليكون المساهمون على علم بتطورات الأمور فى شركاتهم وهكذا انتهت هذه الشركات إلى الانقراض والفناء .

والواقع ان الشيخ محمد سرور يتصرف بمثل هذا في شؤونه الخاصة وكان رجلا واسع الخيال كبير الأحلام ، وكانت هذه الصفات فيه مدعاة لاستغلاله من كثير من الناس فكان كل من تقدم له بمشروع وطلب منه المشاركة فيه استجاب إليه فأمدّه بالمال شراكة أو قرضا، وكثير من هذه المشروعات كان ظاهر التهافت ولم يبن على دراسة كما ان الكثير من اصحاب هذه المشاريع لم يكن التعامل معهم موحيا بالثقة والاطمئنان . كان البعض يفكر في مشروع يصوره له خياله ويأتى إلينا في دار الشيخ محمد سرور وهو نفسه غير متأكد من صحة تفكيره او من نجاح مشروعه فما هي الا ساعة او بعض ساعة يجلس فيها الى الشيخ محمد سرور حتى يخرج والبشر يطفح من وجهه والأمل يملأ جوانحه فقد وجد من الشيخ وتعظيمه ما يحمله على الظن بأنه عبقرى الدهر وواحد الزمان ويأخذ دفعة من المال يبدأ بها الخطوات الأولى لمشروعه العتيد وتمضى الأسابيع والشهور واذا بهمة الشيخ تفتت عن السير مع احلام الرجل ولكنه لا يصارحه بشيء وتبدأ الأمور في التعقيد وينقلب اعجاب الرجل بالشيخ محمد سرور وثناؤه عليه الى نقد صارخ فيسبق إلى ذهنه انه اساء إليه وأوقعه في ورطة ولا يجد الشيخ محمد سرور مفرًا من تفادى المشكلة إلا بالتنازل عما دفع من مال بفدية أخرى يفتدى نفسه مما كان ، وكان من الممكن تفادى كل هذا الحرج وكل هذه الخسارة بصرف الرجل من البداية صرفا حسنا أو بالاعتذار المؤدب عن الدخول في هذه المشاريع ، والواقع أنى لست أدري حتى الآن وبعد معاشتي للشيخ محمد سرور السنين الطوال هل هو حب المجاملة للناس ، أو الطموح الكبير هو الذى كان يدفع الشيخ محمد سرور إلى مثل هذه المواقف أو انها الصفتان معا كانتا الدافع إلى مثل هذه الأمور ، وأستطيع أن أضيف إلى صفات الشيخ محمد سرور رحمه الله انه كان كثير الحياء كاتما لأسرار الناس ، وكانت هذه الصفات فيه تمنعه من

مصارحتهم بما يكرهون ، وبالإسراف في مجاملتهم وملاطفتهم . كما أن كتمانه لأسرار الناس كان يمنعه من تقصى أحوالهم والواقع أن هناك فرقا بين كتمان أسرار الناس وبين التقصى فيما يجب التقصى فيه خاصة في الأمور الاقتصادية . وقد جاء وقت أصبح فيه الكثير من الناس يدعون أنهم شركاء للشيخ محمد سرور فيما يقومون به من أعمال ومشاريع ، والكثير من هؤلاء الناس لا يستحقون أن يقرن اسمهم إلى اسمه ، فشتان بين مشرق ومغرب وقد انتهت هذه المشاركات كلها إلى التلاشى وفقد الشيخ محمد سرور رحمه الله أموالا طائلة فيها نتيجة لعدم التقصى عن أحوال هؤلاء الناس وعدم التروى في الدخول معهم في أى مشروع .

وكان الشيخ محمد سرور رحمه الله يقرض الكثيرين المال الكثير فلما ظهرت حاجته اليه وبدأ يطالب الناس به لم يجد منه الا القليل او اقل القليل ، وقد شكأ الى في آخر حياته من بعض الناس الذين كان اقراضه لهم بمثابة انقاذ من الهاوية وستر من الفضائح وكنت اعرف سلفا ان هذا سيحدث وحينما كنت مديرا لأعماله من عام ١٣٥٥ هـ - ١٣٦٤ هـ كنت انبهه الى شيء من ذلك ولكن ما جبل عليه من حب للخير وإسداء للمعروف جعله يندفع في الطريق الذى يسير فيه .

هذا وقد بقى الشيخ محمد سرور في منصبه مديرا عاما لوزارة المالية وتقلبت به الايام في هذا المنصب علوا وسفلا فاذا كان الرضا منه كانت له السلطة والتصرف ، واذا أغضى عنه وحل محله من ينال ثقة الوزير الشيخ عبدالله السليمان بقى مجمدا في منصبه او سافر الى الخارج ينتظر تغير الاحداث .

وبعد تولى الملك سعود العرش خلفا لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز واستقالة الشيخ عبدالله السليمان الحمدان من وزارة المالية عين الشيخ محمد سرور وزيرا لها في اول وزارة رسمية يرأسها جلالة المغفور له الملك فيصل ، وكان

الانفاق الضخم الذى صاحب بداية عهد الملك سعود فى ولاية الشيخ محمد سرور لوزارة المالية سببا فى الازمة المالية التى حدثت فى ذلك الوقت ، وارتفاع اسعار العملات الاجنبية مع ان تسعين فى المائة من واردات الدولة كان من العملات الاجنبية ولم يتمكن الشيخ محمد سرور من معالجة الوضع لأن العلاج كان يقضى حزمًا وسيطرة كاملتين على النفقات وخاصة فيما يتعلق بالعملات الاجنبية وهذا هو الذى قام به جلالة المغفور له الملك فيصل شخصيا فما هو إلا عام او بعض عام حتى استقرت الأمور وتحدد الصرف وتوازنت الميزانية ، وكان الشيخ محمد سرور اذ ذاك قد سافر الى اوربا فى رحلة للعلاج ولكنه أقبل من منصبه قبل عودته الى المملكة بسبب هذه الأحداث وبقي الشيخ محمد سرور فى مصر فترة طويلة من الزمن حتى استدعاه جلالة المغفور له الملك فيصل للعودة الى البلاد .

وخلال اقامة الشيخ محمد سرور فى القاهرة كانت داره مفتوحة للناس ويده مبسوطة اليهم بالانفاق الكثير فكان يبعث المرضى على نفقته الى المستشفيات ويعين العائلات الكثيرة المهاجرة فى مصر ممن يحتاجون الى العون ، وقد شمل كرمه الكثير من أحرار العرب المقيمين بالقاهرة وبيروت والذين شردتهم الأحداث السياسية عن بلادهم وهكذا كان المرحوم الشيخ محمد سرور كالغيث يعم نفعه اينما حل ويصل خيره الى الكثيرين فى صمت وتواضع وحياء .

وبعد عودة الشيخ محمد سرور الصبان اسندت اليه الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى حين تأسيسها فكانت ولايته لها خير استغلال للأمانة الوليدة وبمهارته وحذقه استطاع ان يخلق من الرابطة على قلة مواردها اذ ذاك كيانا كبيرا ضخما ، وقد ساعد تأييد جلالة المغفور له الملك فيصل للرابطة على انجاحها ، كما ساعدت علاقات الشيخ محمد سرور الصبان الكبيرة والمتشعبة بالكثيرين من رجالات العالم الإسلامى على ترسيخ قواعد الرابطة وامتداد تأثيرها وللتاريخ

فإن كلا من معالى الشيخ محمد سرور الصبان ومعالى الشيخ صالح قزاز كانا يعملان فى الرابطة دون، مقابل منذ بدء تأسيسها وحتى وفاة الشيخ محمد سرور رحمه الله وهو امينها العام ، وكذلك حتى استقالة الشيخ صالح قزاز بعد ذلك من أمانتها العامة بعد اسنادها اليه اذ كان الامين العام المساعد منذ بداية التأسيس وتوفى الشيخ محمد سرور رحمه الله بالقاهرة بتاريخ الثانى من ذى الحجة ١٣٩١ هـ اثر نوبة قلبية وكان يشكو فى السنوات الأخيرة من عمره من لفظ فى القلب وقد نصحه الأطباء فى بريطانيا باجراء عملية عاجلة ولكنه فضل التأجيل والتريث وكانت رنة حزن كبيرة لدى جميع عارفيه ومحبيه فى شتى البلاد الاسلامية والعربية وفى وطنه خاصة وارسلت الدولة طائرة خاصة لنقل جثمانه من القاهرة حيث صلى عليه فى المسجد الحرام ودفن بمقبرة المعللة بمكة المكرمة فى الثالث من ذى الحجة سنة ١٣٩١ هـ واشترك فى استقبال جثمانه وتشييعه كثير من الأمراء والأعيان والجموع الشعبية الكثيرة التى كانت تدين له بالحب والولاء .

رحمه الله رحمة واسعة وأحسن جزاءه فى جنات الخلود فقد كان رجلا محبا للخير مقيلا للعثرات سائرا للعورات .

مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان

هذا وقد ترك المرحوم الشيخ محمد سرور مكتبة قيمة تعد من أحسن المكتبات الخاصة فى مكة المكرمة وهى تحتوى على كثير من أمهات كتب المطبوعة وبعضها مخطوط ولعل أبناء الاساتذة الاخوة عبدالرحمن وعبدالبارى وسعدا يهتمون بها او يضمونها الى احدى المكتبات العامة لينتفع بها الراغبون .

فى الحلقة الخاصة بترجمة معالى الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله ضمن تراجم اعلام القرن الرابع عشر ذكرت ان لديه مكتبة . تعتبر من اكبر المكتبات

الخاصة في الوقت الحاضر وانها تحتوى على مجموعة ثمينة من الكتب الى جانب المخطوطات القيمة التى تضمها المكتبة وقنيت على ابنائه السادة الاخوة عبدالرحمن وعبدالبارى وسعد ان يعملوا على اتاحة الفرصة للانتفاع بما تضمه هذه المكتبة بإهدائها الى جامعة الملك عبدالعزيز ولقد تلقيت خطابا من سعادة الاخ الشيخ عبدالرحمن سرور يذكر فيه أن المكتبة قد سبق ان قدمت من قبلهم الى جامعة الملك عبدالعزيز بتاريخ ١٩/٧/١٣٩٧ هـ وارفق بخطابه صورة من محضر الاستلام والتسلم وهو يضم خمسة آلاف ومائة وستة وسبعين كتابا منها مائتان وثلاثة مخطوطات وقد رأيت إكالا لترجمة معاليه ان انوه بهذا العمل الطيب الذى قام به ابناء المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان ولاشك انهم حققوا بهذا رغبة من أهم رغبات والدهم الكريم كما انهم ساروا في هذا العمل على النهج الطيب الذى اتسمت به حياته وأعماله جزاهم الله خير الجزاء ووفق الجميع الى ما فيه الخير ٠٠ ويسرنى أن أثبت هنا صورة من المحضر الذى تم به استلام هذه المكتبة من قبل مندوب الجامعة وهو بتاريخ ١٩/٧/١٣٩٧ هـ

محضر استلام وتسليم

إنه في يوم الثلاثاء الموافق ١٩/٧/١٣٩٧ هـ تحرر هذا المحضر بين الأستاذ عبدالحميد فهمى اسماعيل مندوبا عن ورثة المرحوم معالى الشيخ محمد سرور الصبان ٠٠ والاستاذ حلمى عيد العزب مندوبا عن جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة عن سعادة مدير عام المكتبة المركزية للجامعة وذلك لتقرير استلام السيد مندوب الجامعة لكافة الكتب المخطوطة والمطبوعة والمصورة وغيرها والتى قام

بجمعها المغفور له طيب الذكر معالى الشيخ محمد سرور الصبان وكانت بمكتبة معاليه بأم الدرج بمكة المكرمة وأهداها المكرمون ورثة معاليه للجامعة تحقيقا للنفع العام لطلبة وأساتذة الجامعة والناطقين بالضاد بما احتوت عليه فى شتى العلوم والمعارف ، وهى تراث من أجداد العرب لتحفظه الأجيال عبر السنين .

وقام السيد مندوب ورثة المغفور له معالى الشيخ بتسليم تلك المجموعة من الكتب طبقا للكشوف التى أعدت ووقعت للسيد مندوب الجامعة تنفيذًا للاهداء بادىء الإشارة اليه

وبيان تلك المجموعات والكتب حسب الكشف مع ملاحظة أن الكتب مرقمة على أساس العناوين وبعض العناوين يشمل أكثر من نسخة طبقا لما هو مقيد بالكشوف وبيانها كالاتى :

- ١ - دوائر المعارف من ١ إلى ٢
- ٢ - القرآن وعلومه من ١ إلى ١٩٢
- ٣ - الحديث وعلومه من ١ إلى ٢٤٦
- ٤ - الفقه وأصوله من ١ إلى ٦٢٣
- ٥ - الاسلاميات من ١ إلى ٨٠٦
- ٦ - اللغة العربية من ١ إلى ٢٣٢
- ٧ - الأدب من ١ إلى ٦٠٦
- ٨ - التاريخ والتراجم من ١ إلى ٨٥١
- ٩ - المتفرقات من ١ إلى ١٢٢٥
- ١٠ - مجموعة كتب الرابطة من ١ إلى ٢٧
- ١١ - المخطوطات من ١ إلى ٢٠٣

١٢- المصورات من ١ الى ١١

١٣- كتب قديمة مطبوعة من ١ الى ١١

١٤- الدوريات من رقم ١ الى ١٤١

وبعد مراجعة الكشف مع مصادرها بمعرفة مندوب المكرمين ورثة معالي الشيخ
قد نقلت تلك المجموعات والكتب بواسطة السيد مندوب الجامعة ومعاونيه الى مقر
الجامعة بمكة المكرمة على أن يتم اعادة فرزها وختمها بخاتم خاص وحفظها بمكتبة
الجامعة .



إعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ محمد صالح ابوزنادة

السَّيِّحُ مُحَمَّدٌ صَالِحُ أَبُو زَنَادَةَ

متوسط القامة ممتلئ الجسم واسع العينين تشوب بياضه حمرة خفيفة يطلق لحيته وعارضيه ، كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية في العهد الهاشمي وأوائل العهد السعودي ثم أصبح يرتدى العباءة العربية والفترة البيضاء دون عقال .

ولد الشيخ محمد صالح ابوزنادة بمدينة جدة عام ١٣١٤ هـ وتلقى تعليمه في مكتب صادق ومكتب صادق هذا يعتبر هو أول تطوير في الدراسة من الكتاب الى المدرسة النظامية وفيه تعلم الشيخ محمد سرور الصبان وكثير من رجالات جدة الذين ولدوا في الربع الأول من القرن الرابع عشر ، وفي مطلع شبابه عمل كاتباً للحسابات في بيت آل عاشور التجاري وهذا البيت كان في عهده من أجل بيوت جدة ولا يزال من أجل وأفخم البيوت القديمة في جدة وهو في امتداد شارع قابل بجوار مسجد المعمار وقد بناه آل الصبان في اوائل القرن الثالث عشر وهو قريب من قصر نصيف المشهور بجدة ولعله بنى تقليدا لهذا القصر أو محاولة لتقليده في ذلك الزمان والقصر الآخر الذي يشبه قصر نصيف هو قصر آل الجوخدار في حارة اليمن بناه الشيخ محمد نور جوخدار رئيس وكلاء مشايخ الجاوه في جدة نقول إن منزل آل عاشور هذا آل اليهم بالشراء من آل الصبان وكان آل

الصبان من أكبر تجار الجلود في مكة وجدة وقد أدركتهم وهم يجمعون جلود الذبائح ويدبغونها دباغة ابتدائية ثم يصدرونها للبيع في أسواق عدن ، وكان لهم بيت كبير في مكة وآخر في القنفذة وكان الحاج سرور الصبان والد معالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمهم الله يدير بيتهم التجاري في القنفذة ثم في جدة وحينما باع ابن الصبان الكبير هذا المنزل في جدة استعاده الحاج سرور للملكية ابناء الصبان ولكنهم باعوه مرة أخرى الى آل عاشور وهذا البيت لا يزال موجودا وقد باعه ورثة عاشور الى احد قدماء التجار الهنود في جدة ولا يزال البيت يعتبر من أجمل البيوت التي تمثل فن البناء القديم محتفظا بجماله وهندسته وقوته كأجمل ما يكون عليه البناء مع أنه مضى عليه ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن أو أكثر ، نعود بعد هذا الاستطراد الى الشيخ محمد صالح أبو زنادة لنقول انه عمل في مطلع حياته كاتباً في بيت آل عاشور التجاري ثم انتقل للعمل في بيت الشيخ ابراهيم الفضل في جدة ثم انتدب للعمل في مدينة بومباي وكان للشيخ ابراهيم الفضل بيت تجارى كبير في جدة وآخر في مدينة بومباي وكان أحد كبار التجار العرب في الهند ، وكان يعمل في تجارة اللؤلؤ كما علمت من ابن شقيقته وزوج ابنته المرحوم الشيخ ابراهيم السليمان بن عقيل السفير السعودى الأسبق في القاهرة ، ثم عاد إلى جدة بعد ذلك مع بداية تأسيس أول شركة للسيارات في العهد السعودى فعين مديراً لها بجدة وكان الشيخ محمد صالح قد افتتح كذلك عمله التجارى الخاص الى جانب عمله في ادارة الشركة السعودية للسيارات وكان يعمل في استيراد الارزاق كالدخن والشعير من موانئ جيزان والقنفذة وموانئ اليمن الأخرى ، ولم تستمر الشركة السعودية للسيارات وقتاً طويلاً بعد تعرضها للمشاكل الكثيرة فانحلت ولكن الشيخ محمد صالح أبو زنادة أنشأ لنفسه شركة خاصة للسيارات وأطلق عليها اسم شركة (قاصد كريم) ثم أصبح عضواً في نقابة السيارات الأولى

بجدة حين تأليفها وحين توحيد شركات السيارات جميعها في شركة واحدة اختير الشيخ محمد صالح أبو زنادة مديرا لفرع الشركة الموحدة في جدة والتي أطلق عليها اسم (الشركة العربية للسيارات) كما انتخب عضوا بمجلس إدارة الشركة لسنوات طويلة ولعله من المستحسن أن نذكر الآن طرفا من تاريخ دخول السيارات الى البلاد والمشاكل الكثيرة التي تعرض لها كثير من المشتغلين بها وكيف تطور الامر الى الوضع الحاضر .

لقد ذكرنا في حلقات سابقة ان السيارات كانت ممنوعة منعاً باتاً في العهد الهاشمي اذ أن الملك الشريف الحسين بن علي كان يعتبر ان هذه السيارات تهدد اقتصاد البلاد وتنزع ثروتها الى الخارج على اعتبار ان السيارات صناعة أجنبية وتحتاج في تشغيلها من وقود وصيانة الى مستوردات اجنبية كقطع الغيار والبنزين والزيوت والإطارات وما اليها كما انها ستحتاج في قيادتها وصيانتها الى القوى البشرية الأجنبية ولهذا فهو يعتبر أن الجمل هو الوسيلة الاقتصادية المثلى للبلاد في ذلك الزمان فهو حيوان وطني والجمال الذي يقوده وطني كذلك وصناعة الشقافد (الهوداج) التي كانت تنقلها الجمال صناعة وطنية تعمل فيها ايد وطنية كثيرة وهو يضمن للبادية وهي تمثل السواد الأعظم من الشعب وسيلة ارتزاق يجب ألا تحرم منها ، هذه هي الأفكار التي كانت لدى الشريف الحسين والتي بسببها منعت السيارات من دخول البلاد فلما انتهى العهد الهاشمي كان رأى جلالة الملك عبدالعزيز هو الأخذ بمبدأ التطور ومسايرة العصر خصوصا وأن المملكة واسعة الرقعة كبيرة المساحات وهذا هو التفكير الصحيح بطبيعة الحال فسمحت الحكومة باستيراد السيارات وأسست لذلك الشركة السعودية للسيارات كما ذكرنا برئاسة الشيخ سليمان قابل في جدة كما قامت الحكومة بتأسيس عدة شركات باسمها لأغراض النقل الحكومي ثم ساهمت في نقل الحجاج كذلك ، وانطلق

الناس من كل حذب وصوب يشتررون السيارات وكان نحل جلاتلى هنكى وشركاه الانجليزى فى جدة يجمع كل وكالات السيارات تقريبا باستثناء الفورد فقد كان وكيلها لشركة جنرال موتورز لسياراتها المختلفة كما كان وكيلها لشركة دودج وهى من انتاج شركة كريسلر اما شركة فورد فقد كان وكيلها المستشرق الانجليزى المسلم سانت جون فيلبى والذى سمي نفسه فيما بعد عبدالله فيلبى وبعد فترة من الزمن اصدر جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله امرا باصدار دخول السيارات على شركة فورد والكفريات على ماركة قودير التى كان وكيلها فيلبى المذكور والتى أسس لها شركة تجارية باسم الشركة الشرقية ويبدو ان جلالتة رأى السيارات الاخرى ولا وكلاء رسميون لها يعانى مشورتها من نقص قطع الغيار واقنعه عبدالله فيلبى بقصر الاستيراد على شركة فورد المهم ان هذا الامتياز بقى لشركة فورد ولكفريات قودير بضع سنوات الى ان طلب المسؤولون فى الشركة العربية للسيارات الغاء محتجين باستغلال الشركة الشرقية هذا الامتياز فوافق جلالتة على ذلك فى الحال وأصبح الاستيراد مسموحا به لجميع انواع السيارات والاطارات بلا استثناء .

ان اقبال الناس على شراء السيارات دون سابق خبرة بإدارتها وصيانتها قد حدثت عنه مشاكل من عدة جهات الأولى هى استقدام اعداد كبيرة من السائقين والميكانيكيين من مهندسين وسائقين وعمال صيانة من السودان والهند وعدن وكانت تصرف لهم المرتبات الضخمة بطبيعة الحال لأنهم تركوا أوطانهم وأهليهم فكان لابد من تقديم الاغراءات الكبيرة لهم ، وكانت هذه السيارات محتاجة الى قطع الغيار التى لم تكن متوفرة فى البداية بالشكل الكامل ، كما ان البلاد لم تكن قد عرفت الطرق المزفتة او المعبدة فكانت السيارة الجيدة تقطع طريق مكة جدة فى ساعتين وكثيرا ما تتعرض للتعطيل فى الرمال المتحركة فى

منطقة الحديبية وكانت تسمى في ذلك الزمان - زقاق حدة - حيث كانت السيارات تغرز في هذه المنطقة وهى منطقة رمال متحركة ويقضى السائق والمسافرون ساعات في اخراجها من الرمال ودفعها الى منطقة صلبة ، اما طريق المدينة المنورة فكانت السيارة الجيدة تقطعه في يومين كاملين اذا لم تتعطل في الشفيا وآبار ابن حصانى أو سبخة رابغ ولكن الاجور التى كانت مقررة على الحجاج كانت مغرية اذ كانت الأجرة تبلغ خمسة عشر جنيها ذهبا لنقل الحجاج إلى المدينة المنورة وإعادته الى مكة وكان المطوفون يتولون التعاقد مع اصحاب السيارات سواء أكانوا أفرادا ام شركات ولكثرة التنافس بين أصحاب السيارات انخفضت الاجرة او تأجل استلامها الى ما بعد الموسم وقد لاتدفع كلها أو بعضها فيما بعد فأصبحت العملية خاسرة تماما وفقد كثير ممن أقدموا على هذا العمل ثرواتهم والبعض باع عقاره أو مجوهرات عائلته ليضعها في السيارات ، وحينما تفاقم الامر اضطرت الحكومة للتدخل فأسست النقابة العامة الأولى للسيارات وجرى تحديد الأجور بمعرفة الدولة كما ان نظام النقابة كان ينص على ان تكون شركة السيارات مكونة من عشرين سيارة كبيرة كحد ادنى وان يتم دفع الاجور في النقابة التى تتولى هى احوالة الحجاج على الشركات حسب تعداد مقاعد كل شركة وكانت هذه البداية هى اول عمل تنظيمى جيد لشركات السيارات وكان هذا في النصف الثانى من الاربعينات وأوائل الخمسينات ثم رأت الدولة ان المصلحة تقضى بتوحيد الشركات جميعها في شركة واحدة فتم ذلك بعد جهود مضنية وتألقت الشركة العربية للسيارات وأصبحت صاحبة امتياز النقل للحجاج والبريد لسنوات طويلة وحينما تعرضت الشركة للمتاعب وعجزت عن نقل الحجاج مما اضطرت الحكومة الى التدخل سنويا لانتفاذ الحجاج في عرفات ومزدلفة ومنى أصدرت الدولة في عام ١٣٧٢ هـ قرارا بالسماح للسعوديين أفرادا

وشركات بالاشتراك في نقل الحجاج وحددت العدد الأدنى للشركة بمائة سيارة كحد أدنى وعلى أثر ذلك تأسست الشركات الحالية للسيارات ولا تزال تقوم بعملها في نقل الحجاج حتى الآن .

مُسْتَشْفَى أَبُو زَنَادَة

نعود بعد هذا الاستطراد الى الشيخ محمد صالح ابوزنادة فنقول ان للرجل مبادرات تلفت النظر فلقد كان من اوائل الذين قاموا بتأسيس المستشفيات بمدينة جدة وان كان هذا المستشفى لم يستمر طويل وقت فلقد قام الشيخ محمد صالح ابوزنادة في عام ١٣٧٠ هـ بتأسيس مستشفى خاص في شارع الملك عبدالعزيز مما يلي باب شريف وكان قد قام بانشاء بنايات في هذا الشارع وتم افتتاح المستشفى بالفعل وكان يديره اطباء المان ولكن هذا المستشفى كما ذكرت لم يستمر طويل وقت بسبب اختلاف الشيخ محمد صالح ابوزنادة مع بعض شركائه على ادارة المستشفى فتحول الى فندق بعد ان استمر اربعة اعوام وافتتح فيه اول فندق باسم فندق الحرمين الذي اسسه السيد حسين العطاس ولا يزال هذا المبنى مستعملا كفندق بهذا الاسم حتى اليوم هو والمبنى الصغير المجاور له .

كهرباء وبلج ابوزنادة

وكما قام الشيخ محمد صالح ابوزنادة بانشاء المستشفى في عام ١٣٧٠ هـ قام في عام ١٣٦٠ هـ باستيراد مكنية كهربائية وأسس لها مبنى في شارع الملك عبدالعزيز بجوار بنك الرياض حاليا وكانت هذه المكنية تمد الشارع كله

بالكهرباء ثم امتدت الى شوارع اخرى ، كما انه اسس في هذا المبنى مصنعا للثلج وورشة كهربائية وكان الشيخ محمد صالح ابوزنادة ينفذ هذه المشاريع بأيدى الايطاليين الذين هاجروا من أريتريا خلال الحرب العالمية الثانية الى جدة واتصلت أسبابهم بأسبابه فاستفاد الرجل بفكره الثاقب من خبرتهم في تنفيذ الأعمال الجديدة التي أقدم عليها وقد استمرت كهرباء أبوزنادة في العمل الى أن تأسست كهرباء جدة وحصلت على امتياز الإنارة في مدينة جدة كلها فاضطر الشيخ محمد صالح أبوزنادة الى ايقاف العمل في الانارة ويبدو انه كذلك أوقف العمل في مصنع الثلج والورشة الكهربائية بعد ذلك ، على أى حال ان اقامة مشروع للكهرباء ولو كان صغيرا يعتبر في ذلك الزمن مبادرة لها مدلولها فالبلد كانت محرومة من الانارة الكهربائية وكان الإقدام على مشروع كهذا له معوقاته الكثيرة وفي مقدمتها المعوقات الفنية ان صح هذا التعبير وكذلك المعوقات المالية فالتجار العاديون يرغبون في استثمار أموالهم في بضائع يقومون هم بتوريدها وبيعها ، ويتركون المشاريع الصناعية كالإنارة وما شابهها للدولة او للشركات التي تؤلفها الدولة وهكذا كان بالفعل فبالنسبة لكهرباء جدة فان وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان كلف شركة بكتل الامريكية بالقيام بالمشروع الابتدائي لكهرباء جدة ثم تحول الى شركة مساهمة وتسلمه مجلس ادارة سعودى وبالنسبة لكهرباء مكة فحيثما تقدم آل الجفالى الى جلالة الملك عبدالعزيز بطلب الامتياز للمشروع كان جلالاته يشفق عليهم من تبعاته ومشاكله ولكنهم أقدموا عليه بحماس الشباب فكان لهم ما أرادوا ٠٠ ان الغرض من ذكر هذا كله ان الاقدام على مثل هذه الاعمال قبل اربعين عاما او اكثر كان يدخل في باب المجازفات

اكثر منه في باب الأعمال المربحة ، والشيخ محمد صالح ابوزنادة افاد من الربح فيما أقدم عليه من مشروع الانارة وفي غيره من المشروعات دون شك ولكنه كان في زمنه كالرائد الذى يكتشف الطريق وهذه البادرات وأمثالها هي عندى موضع التقدير لأنها تدل على الشجاعة وبعد النظر وكان عمل الشيخ محمد صالح أبوزنادة وأمثاله يكون كاملا لو انه حول مشروعه الصغير الى مشروع كبير بعد ان رأى كثرة الاقبال عليه وبوادر النجاح تلوح امامه فلو انه استعان بالجهات الفنية المتخصصة فى الخارج وألف شركة للإنارة وتقدم بها الى الدولة فى ذلك الزمن لكان السابق ولبقيت له كهرباء جدة كما فعل آل الجفالى وقد أصبحوا عنصرا هاما فى اغلب شركات الكهرباء التى تأسست بعد ذلك .

صندوق البر

وللشيخ محمد صالح ابو زنادة مساهمات اخرى فى سبيل المصلحة العامة فحين تأسيس صندوق البر فى جدة عام ٨٣ هـ كان الشيخ محمد صالح ابوزنادة من المؤسسين له وقد تولى رئاسته العملية منذ تأسيسه حتى وفاته وصندوق البر فكرة انسانية جليلة وهى تقوم على دعوة القادرين للاشتراك فى هذا الصندوق بمبالغ سنوية او شهرية يتم توزيعها على العائلات الكريمة التى فقدت عائلها وأصبحت فى حاجة الى ما يقيم الأود وهم فى نفس الوقت من كرام الناس الذين تحسبهم اغنياء من التعفف فيقوم الصندوق بإيصال مرتبات شهرية اليهم ولا يزال صندوق البر يعمل منذ بدء تأسيسه حتى الآن وقد علمت ان عدد المستفيدين منه يبلغ خمسمائة وخمسين اسرة وفرداً وأن المبالغ التى تدفع لهؤلاء المستفيدين تبلغ حوالى الثلاثمائة وستين ألف ريال فى كل عام وهو مبلغ زهيد فى هذا الوقت الذى أشد فيه الغلاء وفاض فيه المال فهو بحاجة الى دعم القادرين من زكاة أموالهم

لتتفق في وجوها الصحيحة بواسطة رجال خيرين موثوق بأمانتهم وعلمهم بأمور
الناس .

أَبُو زَنَادَةَ مَندُوب جَدَّة

أخبرني الأستاذ عبدالرؤوف أبوزنادة ان والده الشيخ محمد صالح توجه لمقابلة الملك عبدالعزيز في مكة قبيل تسليم مدينة جدة وقال لي ان الرجل الذي رافق والده في هذه الرحلة لا يزال حيا يرزق ، وبالفعل فقد بعث إلى المرافق المذكور وبعد أن استمعت منه إلى قصة هذه الرحلة رجعت إلى كتاب ماضى الحجاز وحاضره للمرحوم الأستاذ حسين محمد نصيف فوجدت في الصفحة ٢٠٣ ، ٢٠٤ ما أورده المؤلف عن تسليم جدة انه تم بواسطة نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى المستر جوردن بناء على طلب الملك الشريف علي بن الحسين ، ووجدت في هامش الصفحة ما نصه « سمع البعض من الأهالي عن وساطة القنصل الانجليزي في الأمر فأبوا ذلك وذهبوا لدار الملك علي واحتجوا وطلبوا أن يسلمهم البلاد وهم يسلمونها لابن السعود ولا دخل ولا وساطة لأجنبي في بلادنا فوعدهم وأخلف - انتهى مانقلناه - من كتاب ماضى الحجاز وحاضره وقد استنتجت من ذلك أن أهالي جدة حينما علموا بأمر الاتفاق على التسليم لم يعجبهم ان يتم التسليم بواسطة القنصل الانجليزي فاخثاروا ارسال الشيخ محمد صالح أبوزنادة لمقابلة الملك عبدالعزيز في مكة ويعود هذا الاختيار أولا الى ما يتمتع به الرجل من إتزان وتعقل وثانيا الى انه كان وكيل محل الشيخ ابراهيم الفضل التجارى في جدة وصلته بال فضل قديمة كما ورد في مقدمة ترجمته وقد التحق آل الفضل بالملك عبدالعزيز في مكة من حين فتح الملك عبدالعزيز لها

وباعتبارهم من كبار النجديين المقيمين في الحجاز والمطلعين على الأمور فيها فقد كانت صلتهم بالملك عبدالعزيز قوية في ذلك الزمان هذه هي الأسباب التي رجحت إختيار الشيخ محمد صالح أبو زنادة لهذه المهمة ونعود الآن إلى حديث المرافق لهذه الرحلة قال : غادرنا جدة في لباس الإحرام الشيخ محمد صالح أبو زنادة وأنا ورافقنا سائس يعتنى بدوابنا وكانت هذه الدواب من الحمير الجيدة التي كانت وسيلة السفر إلى مكة في ذلك العهد قال : حينما وصلنا إلى بوابة الاسلاك الشائكة فتحت لنا الأبواب مما يدل على أن الأمر قد اعطى لحراس البوابة بذلك قال : وانطلقت بنا الدواب إلى الرغبة ولم نشعر الا ببعض البدو من الجنود النجديين وقد هبوا شاهرين أسلحتهم فقال لهم الشيخ محمد صالح اننا إخوة لكم ونرغب في مقابلة امير المعسكر لأننا نحمل رسالة للسلطان فاقترحنا الى امير المعسكر على بعد بضعة كيلومترات وتحدث معه الشيخ محمد صالح عن مهمته فأرسل امير المعسكر مندوبا إلى جهة بعيدة وبعد ساعتين أو أكثر عاد المندوب واصطحبنا إلى بحرة ثم تركونا نتوجه الى مكة المكرمة ، ووصلنا إليها ضحى اليوم التالى ، وذهبنا إلى بيت الفضل وبعد أن استرحنا وأدأينا مناسك العمرة ذهب الشيخ محمد صالح أبو زنادة لمقابلة السلطان عبدالعزيز في قصر السقاف بالمعابدة قال المرافق وقضينا في مكة يومين أو ثلاثة وبعدها حضر سائق سيارة الملك عبدالعزيز صديق الهندي وطلب من الشيخ محمد صالح ان يذهب معه إلى الرغبة لمقابلة الملك عبدالعزيز قال وذهب الشيخ محمد صالح بسيارة الملك وذهبت أنا والسائس والدواب إلى الرغبة للقاء الشيخ محمد صالح هناك قال المرافق :

وفي اليوم التالى حضر أهالى جدة للسلام على السلطان عبدالعزيز وكان الشيخ محمد صالح أبو زنادة يقدمهم لجلالته ويذكر أسماءهم وسأل السلطان

عبدالعزیز عن محمد الطویل لماذا لم يحضر مع الحاضرين وكان المرحوم الشيخ محمد الطویل من أركان الحكومة الهاشمية ومن وقفوا إلى جانب الشريف على وضحوأ بأموالهم حتى أنه باع المنزل الذي كان يسكنه ودفع مرتبات الجنود الذين اعتصموا بمسجد عكاش وكان السلطان عبدالعزیز معجباً باخلاص الرجل ويرغب ان يراه قال : فقيل للملك عبدالعزیز ان الطویل يرغب الحضور للسلام على جلالتكم ولكنه يطلب الامان على نفسه أولاً وهنا قال الملك عبدالعزیز والله لو حضر الشريف على نفسه لأنزلته بين عيني وبعدها قدم الطویل للسلام على السلطان فأحسن وفادته واستقباله .

هذا ما أستطعت استنتاجه عن هذه الوفادة فقد رأى أهل الحل والعقد بمدينة جدة ان يبعثوا واحدا منهم للسلطان عبدالعزیز لينقل إليه آراءهم بعد أن تم تسليم المدينة دون اشراكهم خاصة وأن الاتفاق تم بواسطة القنصل الانجليزى وهو أجنبى عن الجانبين وأنى لأرجوان يكون من بين الرجال الذين عاصروا هذه الاحداث ولا يزالون على قيد الحياة من يستطيع القاء الضوء على هذه الأمور التى أصبحت فى ذمة التاريخ .

رئاسة المجلس البلدى والمجلس الإدارى

هذا وقد كانت للشيخ محمد صالح أبوزنادة مشاركة فى الحياة العامة فقد كان عضواً بالمجلس الادارى لمدينة جدة كما تولى رئاسة المجلس البلدى فترة طويلة وفى وقت من الأوقات تولى رئاسة بلدية جدة وكالة عن الشيخ محمد الهزازى ثم أصالة إلى حين تعيين رئيس جديد .

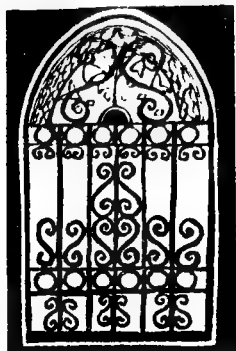
وفاته

أدى الشيخ محمد صالح أبو زناده صلاة الفجر في المسجد الذي وفقه الله تعالى لانشائه بجوار منزله بالشرفية كعادته في المحافظة على أداء الصلوات كلها جماعة وبعد أن عاد إلى داره وأوى إلى فراشه يلتبس بعض الراحة فاجأته المنية صباح يوم ١٧/٣/١٣٨٧ هـ وقد طلب أحبابه الكثيرون نقل الجثمان إلى مسجد عكاش حيث كان يؤم الناس في كثير من الصلوات واشترك في الصلاة عليه وتشيعه إلى مثواه الأخير الجموع الكثيرة من المواطنين رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه ٠٠

)



أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ محمد صالح المنجد

الشيخ محمد صالح جمجوم

طويل القامة مملوؤها بياضاً الوجه اشقر تخالط بياضه حمرة ، اشهب اللحية خفيفها ، وهبه الله بسطة في الجسم وساحة في الطبع وقوة في العقيدة والخلق كما وهبه بسطة في المال ومحبة في البذل ، كريم في تواضع ، عظيم في بساطة احب الناس واحبه الناس ، فكان زعيماً ابواً محبوباً من الجميع .

ذلكم هو المرحوم الشيخ محمد صالح عبدالعزيز جمجوم عميد آل جمجوم في عصره وأحد أعلام مدينة جدة بل أحد أعلام المملكة في منطقة الحجاز .

ولد الشيخ محمد صالح جمجوم في اوائل القرن الرابع عشر الهجري عام ١٣٠٣ هـ وتوفي بمدينة حرج بولاية ميسور بالهند في ١١ جمادى الأولى من عام ١٣٦٣ هـ بعد ان ذهب اليها مستشفياً من المرض الذي الم به بصحبة ابن اخيه رجل الأعمال المعروف الشيخ محمد نور صلاح جمجوم وقد بلغ من العمر ستين عاماً قضى معظمها عاملاً في سبيل الخير والنفع العام فلقد كان من الرجال القلائل الذين عاونوا المرحوم الحاج محمد علي زينل رضا في تأسيس مدارس الفلاح والإشراف عليها طيلة حياته ، فلقد كان هو واخوه المرحوم الشيخ عبدالرؤوف المتوفى عام ١٣٣٨ هـ يتوليان القيام على شؤون هذه المدارس كوكلاء مفوضين من قبل مؤسسها الحاج محمد علي زينل والذي كان يقضى ايامه

كلها في الهند وأوربا ، ولقد عرفت الشيخ محمد صالح جمجوم وكيلا لمدارس الفلاح بعد وفاة اخيه الشيخ عبدالرؤوف وانا تلميذ صغير بها وكان يحضر الى المدرسة في كثير من الاوقات ويلجأ اليه مديرها واساتذتها بل وطلابها في كل ما يعرض لهم من امور ، واذا عرفنا المهام التي كان يتولاها الشيخ محمد صالح جمجوم الى جانب وکالته للفلاح ادرکنا بعض جوانب العظمة فيه فلقد كان عميد بيت الجمجوم التجارى وهو من ابرز البيوتات التجارية في جدة انذاك ، كان له فرع في الهند يتولاه اخوه الشيخ محمد عبدالعزيز جمجوم ، وكانت الهند انذاك هي مصدر التجارة للجزيرة العربية كلها ، وكان الى جانب هذا وذاك مديرا لأوقاف جدة وهو منصب شرفي اسنده اليه جلالة المرحوم الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ، وكان الى جانب كل هذا من زعماء البلاد المحبوبين فلقد تطوع من تلقاء نفسه بتيسير العمل لكل راغب فيه وذلك بتقديم كفالاته الشخصية للدوائر الحكومية للرجال والشبان الذين تتطلب وظائفهم كفالة مالية لدى الدوائر الحكومية كأمناء الخزنة والمستودعات وغيرهم ممن يشترط توفر الكفالة المالية في قبولهم للوظائف ، بل تعدت هذه الكفالة الوظائف فأصبحت مبدولة لكل من يطلبها دون تمييز وكثيرا ما قام بكفالة المسجونين لإطلاقهم من السجون وكذلك المسافرين سواء عرفهم او لم يعرفهم ، وقد رأيت الرجل كما رآه غيرى من معاصريه يوقع الكفالات وهو يسير في الشارع دون ان ينظر اليها او يعرف اصحابها وأسبابها فكان كل من يلجأ اليه يجد طلبته دون تردد او امتعاض ، فلقد كان رجلا كبير القلب يسع الناس جميعا بمحبته وعونه ولقد جنت عليه هذه الطيبة فيما بعد اذ أخل بها بعض المكفولين في مبلغ ضخم في ذلك الوقت وألزم المرحوم الشيخ محمد صالح جمجوم بدفعه ولم يكن قادرا على ذلك فخير بين الدفع او السجن ولما لم يكن قادرا على الدفع فقد قبل راضيا بالسجن الذى تم في غرفة خاصة بإدارة شرطة

جدة ولم يلبث هذا السجن ان تحول الى مجمع شعبي كبير فقد تقاطر الناس صباح مساء لزيارة الشيخ محمد صالح في غرفته تلك معبرين عن تعاطفهم معه وحنقهم على من تسبب له في هذا الازى وما هى الا أيام قلائل اذن الله فيها بالفرج اذ امر جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز باعفائه من الغرامة وغادر الشيخ محمد صالح مكانه ذاك عائدا الى منزله بين تكريم كل الناس ومحبتهم وابتهاجهم وهكذا عرف الشيخ محمد صالح مكانه في القلوب ولم يكن هذا المكان بالمجهول او المنكور .

والمتتبع لتاريخ حياة هذا الرجل العظيم يجدها تشير في جميع اطوارها الى حب الخير للناس ومساعدتهم وبذل العون لهم ، ولقد قلنا في مقدمة هذا البحث ان الشيخ محمد صالح وأخاه الشيخ عبدالرؤوف كانا من الرجال القلائل الذين عاونوا الحاج محمد على زينل مؤسس الفلاح حين تأسيسه لمدرسة الفلاح بجدة وقد سبق لى ان تحدثت وكتبت عن الحاج محمد على زينل يرحمه الله انه حينما فكر في تأسيس مدرسة الفلاح بجدة لم يكن قد حصل على ترخيص حكومى بافتتاح المدرسة وكان هذا في العهد العثماني في عام ١٣٢٣ هجرية فلجأ هو واصدقاؤه الى اخذ التلاميذ من بيوت آبائهم في جنح الظلام ثم اعادتهم الى بيوتهم بعد انتهاء الدرس ، واقول الآن ان من هؤلاء الاصدقاء الذين كانوا يقومون بهذا العمل النبيل الشيخ محمد صالح جميعهم واخوه الشيخ عبدالرؤوف ، واذا علمنا ان الحاج محمد على زينل اسس مدارس الفلاح عام ١٣٢٣ هـ وكان من مواليد ١٣٠١ هـ ادركنا انه كان وصحبه في اوائل العقد الثالث من اعمارهم اى بين العشرين والثانية والعشرين من العمر وهى سن باكرة جدا لايقوم فيها بمثل هذا العمل العظيم الا اولئك الرجال الذين وهبهم الله الغيرة على دينهم وأمتهم وهياهم للقيام بالعظام من الأمور وبعد الحصول على الترخيص الرسمى بافتتاح

المدرسة وتوسع التعليم فيها غادر الحاج محمد على زينل الحجاز الى الهند معتمدا على كل من الشيخ عبدالرؤوف واخيه الشيخ محمد صالح جمجوم في الاشراف عليها وبعد وفاة الشيخ عبدالرؤوف جمجوم في عام ١٣٣٨ هـ انفرد محمد صالح جمجوم بإدارة شؤون المدرسة إلى أن توفاه الله تعالى عام ١٣٦٣ هـ ولقد كان طوال هاتيك السنين يهب هذا العمل الكثير من وقته وجهده رغم مشاغله العظيمة في ذلك الزمان .

أُسْرَةُ آلِ الْجَمْجُومِ

والحديث عن الشيخ محمد صالح جمجوم يقتضى الحديث عن اسرة آل الجمجوم التى كان الشيخ محمد صالح عميدها وهى من اكرم العائلات فى مدينة جدة ومن اكبرها عددا ان لم تكن اكبرها عددا على الاطلاق وحينما كانت الاسرة مجتمعة فى مكان واحد فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى وفى عهد عميدها الشيخ محمد صالح كان تعدادها يزيد على المائة شخص وكانت اسرة كريمة مضيافة تسير فى حياتها اليومية على النمط الذى كان متبعاً فى ذلك الحين فكان رجال الاسرة وشبابها يجتمعون على مائدة واحدة لتناول طعام الغداء ، كما كان نساء الاسرة وضيوفهن يجتمعن على مائدة واحدة لهذا الغرض ، وكان معروفا ان جوالا ضخما من الدقيق يرسل يوميا الى الفرن ليصنع منه الخبز الذى يكفى هذا العدد الضخم كما ان خروفا كبيرا واكثر مع كميات ضخمة من الخضار تشتري يوميا من الحلقة لصنع طعام غداء الاسرة اما العشاء والافطار فكان اعضاء الاسرة يتناولونه فى الاماكن المخصصة لهم من هذا البيت الكبير .

وكان إخواننا الشناقطة - الذين أصبحوا الآن موريتانيين - ضيوفا دائمين على آل الجمجوم حينما يفدون من الخارج لأداء فريضة الحج أو العودة منها أو حينما

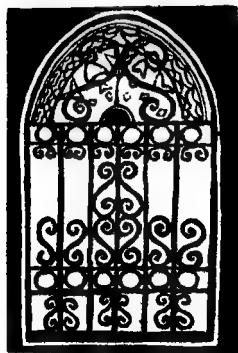
يرون بمدينة جدة في طريقهم إلى مكة أو المدينة وما اكثر الشناقطة المهاجرين بها ، وما اكثر ما يفدون لأداء العمرة في رمضان أو لأداء فريضة الحج وكانوا يفدون بنسائهم واطفالهم ، اما النساء فتستقبلهن ساء الاسرة واما الرجال فقد خصص لهم المكان بل الامكنة التي ينزلون بها وكانت هذه الضيافة لا تقتصر على المأوى وانما تشمل الطعام والشراب والكساء بل وقضاء الحوائج على اختلاف هذه الحوائج واكثرها يقتضى بذل المال وبعضها يقتضى السعى في دوائر الحكومة لإنجاز الامور التي تقتضى الإنجاز وكان الشيخ محمد صالح مجوم بقلبه الكبير يرى هؤلاء الوافدين ويتفقد امورهم ويحقق مطالبهم حتى قيل مرة ان احدهم تمنى عليه الزواج فحقق له ما طلب وهناك ناحية اخرى شاهدها فلقد كان الميت يموت ويعجز اهله عن تجهيزه فاذا طلب من الناس العون اشاروا له الى بيت المجموم ولقد سمعت احدهم ، وهو يقول ماذا تطلب منى ؟ هل هنا بيت المجموم ؟ كأنما كان بيت المجموم بيتا للمال في ذلك الزمان ، اخيرا وليس آخرا فان الشيخ محمد صالح مجوم كان كما ذكرنا عميد بيت تجارى كبير وكان لهذا البيت التجارى معاملات كثيرة مع الناس واخذ وعطاء وعملاء لهم حسابات مفتوحة وعليهم ديون كثيرة وكان مما عرف عن الشيخ محمد صالح مجوم انه كان ييسر على الناس فلا يثقل عليهم بالوفاء ولا يلح ، وقد استغل بعض ذوى النفوس الضعيفة هذا الخلق العالى فاستمرأوا الماطلة واستباحوا عدم الوفاء فبقيت بذمتهم المبالغ الطائلة التي تبلغ الالوف المؤلفة من الجنيهات الذهبية وما لبثوا ان جاهروا بالامتناع عن الدفع مستأثرين بما وصل اليهم من هذا المال ليستخدموه في اعمال تجارية خاصة بهم آمنين ان احدا لا يقاضيههم او يزعجههم وهكذا كان ، فلقد كان الشيخ محمد صالح يرفض كل الرفض فكرة المقاضاة او الشكوى سواء للعملاء الماطلين او للمستأجرين الذين يستبيحون السكنى في

عقار آل المجموم السنوات الطوال دون ان يدفعوا بدل الإجارة مستغلين طيبة
الرجل وحياءه وحسن ظنه بالناس جميعا فلقد كانت هذه الطيبة التى ظنها
البعض غفلة هى من اسباب اجترأ المجترئين واستهتارهم وليست هى من الغفلة
فى شىء وانما هى النفس الكبيرة تحاول اصلاح النفوس وتقويمها بالصبر والتسامح
والإيثار .

رحم الله الشيخ محمد صالح مجموم فلقد كان نمطا فريدا فى العمل للناس
بجهده وماله وجاهه طيلة حياته ثم مضى الى لقاء ربه قبل خمسة واربعين عاما
ولكن ذكره لاتزال تعمر قلوب عارفيه ، فلقد كان مثلا كريما وقدوة حسنة تغمد
الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه فى دار الخلود .



أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





محمد صالح عبد الله

مُحَمَّدُ صَالِحُ نَصِيفٌ

طويل فارع ممتلئ الجسم في غير اسراف ، حنطى اللون ، حسن الملامح تزين وجهه لحية كاملة ، وقد ادركته في العهد الهاشمى في عهد الشريف الملك على بن الحسين وهو رئيس بلدية جدة وكان يومها يرتدى الحبة والعمامة الحجازية ، ثم تحول عنها في العهد السعودى الى العباءة والعقال ، ولد الشيخ محمد صالح نصيف بمدينة جدة فى عام ١٣١٠ هجرية وهو من اسرة نصيف الغنية عن التعريف ، وفى اوائل العهد السعودى عين عضوا بمجلس الشورى عن مدينة جدة وانتقل بأسرته الى مكة المكرمة ، ان ما لفت نظرى فى تاريخ الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله انه كان رائدا من رواد الصحافة فى الحجاز وان لم يكن هو من رجال القلم ولا من اعلام الادب والكتابة ، إلا انه كان من السابقين الى اصدار الصحف فى الحجاز وقد اصدر جريدة بريد الحجاز فى عهد الملك الشريف على بن الحسين من عام ١٣٤٣ هـ الى عام ١٣٤٤ هجرية ثم حصل على امتياز اصدار جريدة صوت الحجاز فى صفر ١٣٥٠ هـ فى اوائل العهد السعودى وكان قد استورد مطبعة من مصر ، كما شارك الاستاذ عبدالفتاح قتلان فى تأسيس المكتبة والمطبعة السلفية بمكة المكرمة وكان الغرض منها طبع الكتب التى تعبر عن المذهب السلفى ونشرها فى هذه المطبعة وقد تم طبع جريدة صوت

الحجاز بها منذ بدء صدورها ، وقد اتفق الشيخ محمد سرور الصبان معه فيما بعد على نقل امتياز جريدة صوت الحجاز الى الشركة العربية للطبع والنشر والتي كان الشيخ محمد سرور رحمه الله مؤسسها ورئيسها وتم كذلك شراء المطبعة التي استوردتها المكتبة السلفية من قبل شركة الطبع والنشر وذلك لطبع جريدة صوت الحجاز بها ولقد ادركت هذه المطبعة في منزل الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله في بئر بليلة بأجياذ في مكة المكرمة قبل انتقال ملكيتها الى شركة الطبع والنشر وطبع جريدة صوت الحجاز عليها لسنوات كثيرة وهذه المطبعة اصلاً هي مطبعة المنار وقد باعها المرحوم السيد رشيد رضا الى اصحاب المطبعة والمكتبة السلفية وهما الشيخ محمد صالح نصيف وعبدالفتاح قتلان وانتقلت من دار المنار بالقاهرة الى مكة المكرمة لتطبع عليها جريدة صوت الحجاز لسنوات طويلة جداً كما ذكرنا وهي . لبعة قديمة تدار باليد وهي لاتزال موجودة حتى اليوم وان كنت اشك انها تستعمل مع وجود المطابع الحديثة المتطورة .

اقول ان ما لفت نظري في سيرة الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله هو هذا السبق في تأسيس المطابع واصدار الصحف وهو ليس من رجال القلم ولا من اعلام الكتاب ، ولكنه بعمله هذا هيا الفرصة الكبيرة للكتاب والادباء فقام بعمل جليل في نشر المعرفة وتنوير الأذهان ، وهو امر يستحق الإشادة به والترجمة له ، لأنه عمل نافع وعظيم ، ولعله من الخير ان نذكر بعض ما علق بالذاكرة من امر هاتين الصحيفتين اللتين اصدرهما الشيخ محمد صالح نصيف للذكرى والتاريخ .

بَرِيدُ الْحِجَازِ

اما النصف منه لاوى فهي جريدة بريد الحجاز التي صدرت عام ١٣٤٢ هـ واستمرت الى اوائل عام ١٣٤٤ هـ في عهد الملك الشريف على ابن

الحسين رحمه الله ، وكانت هذه الجريدة تعبر عن وجهة نظر العهد الهاشمي في ذلك الحين بطبيعة الحال وتطبع بمطبعة رمزي بجدة وكان ابرز كتابها هو الاستاذ الشيخ محمد حسن عواد شيخ أدباء جدة ولعل الكثيرين لا يعرفون ان أدباء جدة الكبار المعروفين حمزة شحاتة واحمد قنديل رحمهما الله ومحمود عارف ومحمد علي باحيدرة وعباس حلواني هم تلامذة الأستاذ محمد حسن عواد ، كما ان كاتب هذه

السطور هو من تلاميذه كذلك وله تلاميذ كثيرون هم من اعلام الرجال في مختلف المجالات ، نعم لقد أدركت الأستاذ محمد حسن عواد (رحمه الله) استاذاً من ابرز اساتذة الفلاح في مدينة جدة وكان كلُّ الاساتذة الشعراء الذين ذكرت أسماءهم أنفاً وغيرهم من تلاميذه في مدرسة الفلاح واذكر انني كنت في الصفوف الأولى من هذه المدرسة الجليلة وكان الأساتذة شحاتة وعارف وقنديل وعباس حلواني وباحيدرة في الصفوف العليا منها .

نقول إن الأستاذ محمد حسن عواد كان ابرز كاتب في جريدة بريد الحجاز في هذا العهد لأنه كان بالفعل ابرز الادباء في ذلك العهد^(١) ، وقد وجدت عن بريد الحجاز للاستاذ محمد حسن عواد في كتاب ابتسامات الايام في انتصارات الإمام ما يستحق الاقتباس وهذا الكتاب هو ديوان يضم قصائد شاعر نجد الكبير الشيخ محمد عبدالله بن بليهد من عام ١٣٣٧ هـ الى ١٣٧٠ هـ ومعظم قصائد

(١) كما كان الاستاذ احمد ابراهيم الغزاوي يرسل بريد الحجاز من مهجرة في بورسودان ويرسل اليها القصائد التي تنشرها له فيها .

هذا الديوان في الوقائع التاريخية التي خاضها جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وانجاله الكرام جلالة الملك سعود وجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمهم الله ، والكتاب مهدي الى صاحب السمو الملكي الامير عبدالله الفيصل (وكيل نائب جلالة ملك المملكة العربية السعودية) هذه كانت وظيفة سموه الرسمية حين طبع هذا الكتاب اقول جاء في هذا الكتاب في الصفحة ٨٦ عن بريد الحجاز ما نصه:

وقلت وأنا في مكة مع الامام عبدالعزيز وقد وردت قصيدة لرجل من اهل جدة يقال له حسن عواد وجعل توقعه تحت قصيدته الأخطل الأصغر فرددت على ذلك الشاعر وقلت القول اللطيف في الرد على شويعر الشريف ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد فقد ورد في بريد الحجاز الخارج من جدة من بلد الشريف على بن الحسين قصيدة لمن سمي نفسه الأخطل الأصغر فقلت وهذا خليفة الأخطل النصراني فقال في قصيدته في رجب ١٣٤٣ هـ وهذا مطلع بقصيدته على الخفيف .

حديثهم عن بأسنا يا حراب ☆ واذقهم نكالنا يا عذاب
وأطريهم قذائفنا يا مناوئد ☆ كأن الدخان منها سحب
إلى ان قال :

ايها المصلحون في الشرق مهلا ☆ أين اصلاحكم وأين الصواب ؟
الى آخرها وهي ثمانية وعشرون بيتا فقلت مجيبا له :
ما أصبتم وما لديكم صواب ☆ بعد ما نُصَّ في البريد كتاب
وانتبهنا لقولكم حين قلتم ☆ حديثهم عن بأسنا يا حراب
ان هرمتم على الحروب فإننا ☆ كلما طالت الحروب شباب

والقصيدة في خمسة وخمسين بيتا ومنها في وصف الأسلاك الشائكة التي كانت تحيط بمدينة جدة خلال فترة الحصار .

إن ظننتم بأن سلككم اليوم ☆ عن رحى الحرب والمنون حجاب
فارقبوها من الكتيب سراعا ☆ طالعات كأنهن الهضاب
ومنها في وصف ما كان يعانيه الحجاج من فقدان الأمن :

كم اخذتم من الحجيج فلوسا ☆ طالما أزعج الحجيج النهاب
عبثت فيهم اللصوص وأمست ☆ عندكم ما على اللصوص عقاب

انتهى نص ما نقلناه عن كتاب ابتسامات الأيام . والغرض من هذا النقل هو الإشارة الى الناحية التاريخية في الموضوع لأن هذا العهد قد انقضى والحمد لله بكل ما كان فيه واستعاضت البلاد عنه امناً شاملاً ووحدة كاملة ورخاء عظيماً ، وهكذا نرى ان الشعر السياسي كان وسيلة من وسائل الإعلام في ذلك العهد وكان يمثل شاعران من اكبر شعراء المملكة احدهما الاستاذ الشيخ محمد حسن عواد من اكبر شعراء الحجاز مد الله في حياته والثاني الشيخ محمد ابن عبدالله بن بليهد من شعراء نجد ومؤرخيها ومن اعلم الناس بالمواقع والآثار في الجزيرة العربية رحمه الله .

ومن البديهي أن نقول إن صحيفة بريد الحجاز انما كانت صحيفه سياسية صدرت في عهد معين للتعبير عن وجهة نظر معينة ثم انتهت بانتهاء الظرف الذي وجدت من اجله ولكن الشيخ محمد صالح نصيف لم يكف بريد الحجاز وانما اصدر فيما بعد صحيفة صوت الحجاز كما ذكرنا .

صَوْتُ الْحِجَازِ

حينما يكتب تاريخ الأدب والصحافة في هذه البلاد يستطيع المؤرخ ان يربط ولادة الأدب الحديث بظهور المطبوعات التي اصدرها المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان في أوائل العهد السعودي في الأربعينات وهي ادب الحجاز والمعرض وخواطر مصرحة للأستاذ محمد حسن عواد ثم بجريدة صوت الحجاز التي اصدرها الشيخ محمد صالح نصيف عام ١٣٥٠ هـ واذا كانت المطبوعات التي اصدرها الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله والمذكورة آنفا هي ايدان بولادة الأدب الحديث في هذه البلاد فان ظهور صوت الحجاز واستمرارها لسنوات طويلة وحتى الآن مع تغيير اسمها الذي سنعرض له فيما بعد ، نقول ان ظهور صوت الحجاز هو التعبير المستمر عن نشوء هذا الأدب الوليد ونمائه وانتشاره فلقد كانت صحيفة صوت الحجاز اول صحيفة تصدر في هذه البلاد محررة بأقلام أبنائها ، ومما يلفت النظر ان صحيفة صوت الحجاز انما صدرت بتوجيه من جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وقد بعث الى الأستاذ محمد خليل عناني مدير فرع رابطة العالم الاسلامي بجدة نص الكتاب المرفوع الى جلالته في هذا الصدد والذي استخلصت منه هذا التوجيه وهذا نصه :

(صاحب الجلالة الملك المعظم ايده الله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، في تاريخه ادناه اجتمع الموقعون على هذا تحت اشراف الشيخ عبدالعزيز الرشيد للنظر في اصدار جريدة يومية حسب الإرادة الملكية التي بلغت الينا بواسطة الأستاذ المذكور وقد قررنا انتخاب الأستاذ فؤاد شاكر ليكون مديراً مسؤولاً لهذه الجريدة ورئيساً لتحريرها ولأجل

اصدار إرادتكم السامية الملكية بهذا الشأن ، نرفع هذا الى السدة الملكية أدام الله
جلالتكم ذخرا للعرب والمسلمين • وفيما يلي اسماء الموقعين على هذا الكتاب •

عبد الوهاب آشى ☆ احمد ابراهيم الغزاوى ☆ بكر فالح ☆ عبدالله عبدالكريم
الخطيب ☆ محمد عنانى ☆ محمد سرور الصبان ☆ عبدالله فدا ☆ حسين
نصيف

وواضح من نص هذا الكتاب ان اصدار الجريدة انما كان بتوجيه من جلالة
الملك عبدالعزيز رحمه الله ، كما أن مما يلفت النظر ان امتياز هذه الجريدة انما
صدر باسم الشيخ محمد صالح نصيف ولم يكن من الموقعين على هذا الخطاب ،
ولعل وجود المطبعة السلفية بمكة تحت ادارة الشيخ محمد صالح نصيف وعمله
السابق في اصدار بريد الحجاز هو الذى هيا له الفرصة لإصدار امتياز جريدة
صوت الحجاز باسمه ، كما ان الاقتراح بتعيين الأستاذ فؤاد شاکر رحمه الله مديرا
مسؤولا للجريدة ورئيس تحريرها لم يتم ، فحينما صدرت الأعداد الأولى منها
عام ١٣٥٠ هـ لم يكن لها رئيس تحرير معين وإنما كان يحضرها نخبة من الشبان
وهؤلاء الشبان هم الاساتذة عبدالوهاب آشى ومحمد حسن فقى ومحمد حسن عواد
وكانت تصدر اسبوعية وكان كل واحد منهم يكتب افتتاحيتها أسبوعيا ثم يكتب
الافتتاحية في الأسبوع الثانى كاتب آخر من الثلاثة وهكذا ، وكانت الصحيفة
الى جانب هذه الافتتاحيات حافلة بالشعر والادب والنقد والدعوة الى الإصلاح
والتجديد ولم يكن هناك أثر للصورة ، كما انها لم تكن تنشر الأخبار الداخلية الا
في حدود ضيقة جدا نعم لقد كانت صحيفة رأى قبل كل شىء وكان الناس جميعا
يقرأونها ولم يكن يتقاضى كتابها اجرا على كتابتهم باستثناء رئيس التحرير المنوط
به امر الجريدة ككل •

ولقد عرف الناس الأستاذ عبد الوهاب آشى ككاتب كبير كما عرفوا الأستاذ محمد حسن فقى كشاعر كبير ولكنى اود ان اذكر هنا ان الاستاذ محمد حسن فقى فى السنوات الاولى لصدور صوت الحجاز كان كاتب مقالة ممتازا الى جانب ما عرف عنه من مكانة شعرية ، ولكنه فى ذلك الزمان كان يعنى بالكتابة اكثر من عنايته بالشعر وكانت مقالاته تتميز بأسلوب جزل رصين وقد تفرغ للشعر فيما بعد فكان فيه المجلى كما هو معلوم ، ومن الجدير بالذكر ان نذكر ان الأستاذ عبد الوهاب آشى كان شاعرا مرموقا كما كان الأستاذ محمد سعيد العامودى شاعرا بارزا وهؤلاء جميعا كانوا من أبرز كتاب صوت الحجاز فى بداية عهدها وقد تولى رئاسة تحرير صوت الحجاز الأستاذ محمد حسن كتيبى والأساتذة احمد قنديل رحمه الله واحمد السباعى ثم المرحوم فؤاد شاكى ثم كاتب هذه السطور وكان من الكتاب الذين عملوا فى تحرير الجريدة الأساتذة حسين عرب وأحمد جمال والمرحوم حسين خزندار ولست فى حاجة لأن أقول أن جميع الكتاب والشعراء المعروفين كانوا ممن يوافون الصحيفة بانتاجهم الشعرى والنثرى ، كما كانت الصحيفة ميدانا للنقد وصول فيه الأقلام وتداول .

ولعله من الطريف أن نذكر أن المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف عهد فى وقت من الأوقات إلى الأستاذ محمد حسن كتيبى - وزير الحج السابق - برئاسة تحرير صوت الحجاز ويبدو ان خلافا وقع بين الرجلين فصدرت الصحيفة فى احد الاعداد وكل ما فيها بتوقيع الأستاذ محمد حسن كتيبى ابتداء من الافتتاحية إلى آخر عمود فى الصحيفة ولقد ظهر فيما بعد ان المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف تعدد ذكر اسم السيد محمد حسن كتيبى على كل ما نشر بهذا العدد لأنه أراد إخراجها واطهاره بمظهر المستأثر بالكتابة فى الصحيفة وحده ولو كان هذا الامر صحيحا لما تعدد الاستاذ الكتيبى اغفال توقيعه عن كل ما يكتبه فى الصحيفة

باستثناء الافتتاحية مثلاً ولكن هذا ما وقع وظهر العدد الثاني وقد انتهت علاقة الاستاذ الكتبي بالصحيفة وصاحبها معا .

وقد توقفت صحيفة صوت الحجاز عن الصدور في أوائل الحرب العالمية الثانية ثم عادت إلى الظهور عام ١٣٦٥ هجرية بعد انتهاء الحرب باسم البلاد السعودية وتولى رئاسة تحريرها المرحوم عبدالله عريف ، وعلى ذكر توقف جريدة صوت الحجاز في أوائل الحرب العالمية الثانية انقل هنا من كتابي « حبات من عنقود » هذه الطرفة عن هذا الموضوع .

كنت رئيساً لتحرير جريدة صوت الحجاز خلال الحرب العالمية الثانية ولم يمح على الحرب إلا بضعة شهور حتى اصدر جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله امراً بإيقاف الصحف عن الصدور لعدم وجود الورق والاكتفاء بجريدة ام القرى الرسمية ، وكان لدينا في صوت الحجاز كمية من الورق تكفي لصدور الجريدة وقتاً طويلاً ، وكنا نتقاضى اشتراكاً شهرياً من الحكومة مقداره اربعمائة ريال عن اشتراك الحكومة والدوائر الرسمية في الجريدة وبايقاف الصحف توقف هذا الاشتراك وكانت الأربعمائة ريال مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت ، وبالاتفاق مع سعادة رئيس الشركة العربية للطبع والنشر كتبت الى جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله كتاباً قلت فيه :

لقد اصدرتم جلالتمكم الأمر بتوقيف الصحف لعدم وجود الورق وبما اننا في جريدة صوت الحجاز نملك كمية من الورق تكفي لصدور الجريدة وقتاً طويلاً فإننا نعهد لجلالتمكم بأننا لن نطالب الحكومة باعطائنا ورقاً لاصدار الجريدة ، وان كان هذا الامر لحكمة سياسية اقتضاها رأى جلالتمكم فالرأى ما ترونه ، لكن جريدتنا تتقاضى اشتراكاً شهرياً مقداره اربعمائة ريال من وزارة المالية وقد توقف صرف هذا الاشتراك نتيجة لتوقف الجريدة عن الصدور وفي الجريدة ومطبعتها

موظفون تتأثر احوالهم بتوقف الجريدة فلا اقل من الاستمرار في صرف هذا الاشتراك الشهري لنا ،

ولم اتلق اى جواب على خطابى ولكن الامر صدر برقيا الى وزارة المالية من جلالته بالاستمرار في صرف مخصص الجريدة الشهري وعدم توقيفه وكانت جريدة صوت الحجاز فيما اعلم هى الجريدة الوحيدة التى كانت تنبض قيمة الاشتراك طوال مدة توقفها عن الصدور .

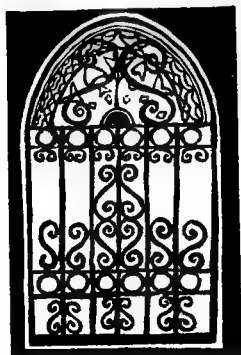
وحين صدور الأمر بإدماج الصحف اندمجت جريدة البلاد السعودية مع مجلة عرفات التى كان يصدرها الأستاذ حسن قزاز فى صحيفة واحدة باسم البلاد واسندت رئاسة تحريرها إلى الأستاذ محمد حسين زيدان ثم إلى الأستاذ حسن قزاز وحين تحولت الصحافة إلى مؤسسات أسندت رئاسة تحريرها إلى الأستاذ عبدالمجيد شبكشى بتاريخ أول ذى القعدة ١٣٨٣ هـ .

نعود بعد هذا الاستطراد التاريخى عن الصحافة إلى المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف لنذكر انه اختير لرئاسة ماليات وجمارك جيزان فى عهد وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان وأنتقل الى هناك لعدة سنوات ثم عاد الى الحجاز وقد توفى رحمه الله بعد ان أسن عام ١٣٩١ هـ فى مدينة جدة عن عمر يناهز الواحد وثمانين عاما .

تغمده الله برحمته الواسعة وأحسن جزاءه لقاء ماهدف اليه من خدمة الفكر والقلم .



أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





السيد محمد طاهر الدباغ

السيد محمد طاهر الدباغ

أبيض الوجه تخالط بياضه حمرة ، ألقى الأنف ، ممتلئ الجسم أقرب إلى الطول منه إلى القصر ، تزين وجهه لحية اختلط سوادها بالبياض ، ثاقب النظرة شديد الذكاء تلوح في وجهه مخايل الشهامة عرفته وهو يرتدى العباءة العربية والعقال بعد عودته إلى المملكة من مهجره في الخمسينات من هذا القرن .

ولد السيد محمد طاهر الدباغ بالطائف عام ١٣٠٨ هجرية وتلقى علومه الابتدائية بمكة ثم بالاسكندرية ثم عاد إلى مكة وتلقى العلم على أيدي علماء عصره بالمسجد الحرام حتى حصل على اجازة التدريس واشتغل به في المسجد الحرام مدة من الزمن ثم التحق مدرساً بمدرسة الفلاح حتى أصبح مديراً لها وفي عام ١٣٣٦ هـ انتقل إلى مالية جدة وأصبح رئيساً لها ومعتددا للمعارف بمدينة جدة وتوابعها في عهد الملك الشريف حسين بن علي يرحمه الله وفي عهد الملك علي بن الحسين عام ١٣٤٣ هـ إلى ١٣٤٤ هـ تولى وزارة المالية ، وللسيد محمد طاهر الدباغ موقف تاريخي مشهود فقد كان هو الذي أبلغ الشريف الحسين بن علي بلسان المجتمعين في الخزنة بجدة ، وهي مكتب القائم مقام « وكانت أمام باب جديد قريباً من ميدان البيعة في الوقت الحاضر نقول ان السيد محمد طاهر

الدباغ كان هو الذى تحدّث إلى الشريف الحسين بن على فى مكة تليفونيا وأبلغه بأن المجتمعين وهم أهلُ الحل والعقد قد قرروا عزله عن العرش وتولية ابنه وولى عهده الشريف على بن الحسين ملكا على الحجاز، وقد وردت هذه القصة بتفاصيلها فى كتاب المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلى « ما رأيت وما سمعت » ولقد كان الشريف الحسين كما يعرف معاصروه معروفا بالصرامة والجبروت وكان ينزل بطشه وعقابه لأنفه الأسباب فالأقدام على إبلاغه بقرار أهل الحل والعقد إقالته من الملك وتنصيب ابنه بدلا عنه ليس بالأمر السهل وإنما هو من عظام الأمور التى تدل على تمتع صاحبها بالشجاعة المفرطة ، التى تؤهله للاضطلاع بعظام الأمور .

هَجْرَتِهِ إِلَى الْخَارِجِ

من هذه الحادثة يتبين لنا أن السيد محمد طاهر الدباغ كان من الرجال البارزين فى العهد الهاشمى ولقد هاجر بأسرته جميعا من الحجاز بعد أن دان الحجاز بالولاء لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وعلمت من السيد طاهر أنه توجه أولا إلى الهند ثم تنقل بعدها فى مختلف البلاد العربية والاسلامية مشتغلا بالتدريس إلى أن أصدر جلالة الملك عبدالعزيز نداه المشهور إلى رجال العهد الهاشمى المهاجرين فى الخارج يدعوهم إلى العودة إلى بلادهم ليعملوا تحت لوائه فى سبيل خدمتها والنهوض بها إلى ما يطمح إليه الجميع من رقى وتقدم .

عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَمْلَكَةِ

وكان السيد محمد طاهر الدباغ من أوائل من استجاب لهذه الدعوة الكريمة من المهاجرين كما عاد فى نفس الوقت كل من المرحوم الشيخ عبدالرؤوف

الصبان ، والشيخ محمد صادق ، وكانوا جميعا ينشرون مقالات في جريدة صوت
الحجاز توضح استجابتهم للنداء واستعدادهم للخدمة في المجال الذى يختاره لهم
جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وقد رأيت السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله
يوم عاد في لباس الاحرام عشية يوم عرفه في مخيم الشيخ محمد سرور الصبان في
عرفات في حج عام ١٣٥٤ هـ .

مُدِيرِيَّةُ الْعِلْمِ الْعَامَّةِ

وقد أسند جلالة الملك عبدالعزيز إلى السيد محمد طاهر الدباغ إدارة التعليم
في المملكة وكانت إدارة بسيطة فجعلت مديرية عامة ، ولقد كان جلالة الملك
عبدالعزيز رحمه الله ذا فراسة في الرجال يعرف أقدارهم ويستفيد من قدراتهم
وكان بهذا الاختيار قد أعطى القوس باريها فانطلق السيد محمد طاهر رحمه الله
بالمعارف الانطلاقة الكبرى التى كانت النواة الطيبة للنهضة التعليمية في
المملكة .

مَدْرَسَةُ تَحْضِيرِ الْبُعْثَاتِ

وكان أول ما فكر فيه المرحوم السيد محمد طاهر الدباغ هو تنظيم الابتعاث
إلى الخارج للدراسات العليا المتنوعة فأسس مدرسة تحضير البعثات في مكة
المكرمة واستقدم لها الأساتذة وذلك لتهيئة الطلاب للدخول إلى الجامعات والمعاهد
العليا في مصر بعد التخرج منها حيث وضعت برامجها بحيث تكون متفقة مع
مناهج المدارس الثانوية في مصر وكان الطلاب الذين يكملون الدراسة في
مدارس المملكة اذ ذاك يلتحقون بها في مكة المكرمة وكانت مدرسة داخلية بالنسبة
للطلاب القادمين من أنحاء المملكة الأخرى سواء من مدن الحجاز أو من مدن

نجد أو المناطق الأخرى في المملكة ونستطيع أن نقول للتاريخ ان مدرسة تحضير البعثات كانت هي المهد الذي احتضن كل المبتعثين إلى الخارج في ذلك الوقت والذين تخصصوا في الدراسات العليا المختلفة كالطب والهندسة والتعليم وخلافهم ومن تلامذتها تخرج الوزراء والأطباء والمهندسون والعلماء نذكر منهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر السادة أحمد جمجوم ، الدكتور حسن نصيف ، المرحوم السيد احمد شطا ، الدكتور عبداللطيف جمجوم ، الدكتور الهرساني ، السيد عبدالله الدباغ ، العلامة الشيخ حمد الجاسر وكثيرون غيرهم ممن لا يتسنى ذكرهم في هذه العجالة .

هذا وكان الطلبة المبتعثون من قبل يتعثرون في دراساتهم حينما يصلون إلى مصر فيتضح انهم أقوياء في بعض المواد بينما أنهم لم يكونوا قد تزودوا بالمقدار الكافي من المواد الأخرى العلمية كالرياضيات واللغة الانجليزية وغيرها ، فكان وجود مدرسة تحضير البعثات سببا في سد هذه الثغرة ومنطلقا للنهضة التعليمية التي هيأت للبلاد النواة الأولى من المتخصصين في مختلف فروع العلوم والفنون .

دار البعثات في مصر

وكما عنى المرحوم السيد محمد طاهر الدباغ بتأسيس مدرسة تحضير البعثات في مكة المكرمة عنى بتهيئة دار البعثات العلمية بالسعودية بالقاهرة وأسندت إدارتها الى مديرين مشهود لهم بالكفاءة والاخلاص وأذكر منهم على سبيل المثال المربي الفدير السيد ولي الدين أسعد رحمه الله ، وكانت هذه الدار تضم الطلبة المبتعثين حيث يتهيأ لهم فيها المسكن والطعام ويشرف السيد ولي الدين رحمه الله ومعاونوه على إلحاقهم بالمعاهد المختلفة ويهتم بشؤونهم الدراسية والمعاشية في أن

واحد مما هيا للطلبة الجو المناسب للدراسة المنظمة الجادة التى آتت أكلها فيما بعد
ثمرا جنياً ورجالا عاملين فى شتى المجالات هذا وقد تم فيما بعد تأسيس دار
للبعثات السعودية بالاسكندرية تولاه المرحوم الأستاذ صادق ماجد كردى وكان
يرعى الطلبة السعوديين الذين يتلقون دراساتهم فى جامعة الاسكندرية •

نشر المدارس فى أنحاء المملكة

ولم يكتف السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله بالعناية بالدراسات العليا
وتهيئة أسبابها فحسب وإنما بذل جهودا جبارة فى نشر التعليم فى كثير من مدن
المملكة فبعد أن كانت مدارس المعارف فى المدن الكبرى محدودة العدد توسعت
المديرية العامة للمعارف فى عهده بتشجيع من جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز
فى افتتاح المدارس وخاصة الابتدائية ، والمتوسطة فكنا نرى فى كل عام زيادة
ملحوظة فى عدد المدارس فى جميع المدن وفى كثير من القرى مما هيا الجو المناسب
للنهضة التعليمية الكبرى فيما بعد مع ادخال الاصلاحات الجذرية على مناهج
الدراسة وتهيئتها لتكون متساوقة مع المدارس المماثلة فى البلاد العربية المجاورة •

مدرستى الأمراء فى الرياض

وقد قام المرحوم السيد محمد طاهر الدباغ كذلك بتأسيس مدرسة الأمراء فى
الرياض أو على الأصح بتوسيعها وتنظيمها فقد كانت المدرسة موجودة من قبل
ولكنها كانت فى نطاق ضيق فقام بتوسيعها وتنظيمها وقد أصبحت هذه المدرسة
فىما بعد تضم مختلف الطبقات ولم تكن قاصرة على الامراء فحسب وهكذا فإن
العلم مباح للجميع •

(١) للاستزادة عن تطور التعليم فى المملكة براجع كتاب محمد طاهر الدماغ للاستاذ بكر الصباغ فهو يحتوى على
معلومات قيمة فى هذا الشأن •

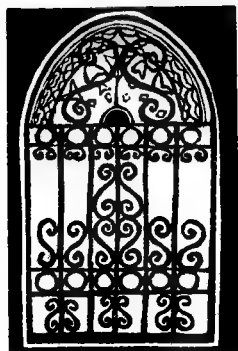
وقد بقى السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله قائما بأعباء هذا العمل العظيم لسنوات طويلة من عام ١٣٥٥ إلى عام ١٣٦٤ هـ ثم عين عضوا بمجلس الشورى ثم أحيل إلى التقاعد عام ١٣٧٢ هـ .

المَرَضُ وَالْحِلَّةُ إِلَى مِصْرٍ

وقد شعر السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله بالمرض الذى بدأ يؤثر على بصره فسافر إلى مصر طلبا للعلاج ولكن الداء كان قد استشرى فذهب بصره ولكنه كان كالعهد به دائما شجاعا مؤمنا فتحمل المرض فى صبر وإيمان ولم يكن يشكو ذهاب بصره ، بل لم يكن يتحدث عن ذلك بتاتا ، حدثنى أحد أبنائه وكان معه فى مصر قال كنا نعرف أن لاعلاج للمرض الذى ألمَّ ببصره ، وكنا نكتم عنه ذلك مراعاة لشعوره قال وكنت أشعر أن الوالد يعرف من أمر مرض عينيه ما نعرف وكان لا يتحدث عن ذلك اشفاقا علينا ، لقد كان رحمه الله رحيمًا وزعيما عظيما ، ورجلا من أشجع الرجال هذا وقد أدركته الوفاة رحمه الله بالقاهرة فى ١٨ رجب ١٣٧٨ هـ ودفن بها مأسوفا عليه من كل الناس الذين عرفوا فضله وجميل صفاته رحمه الله جزاء ما أسدى للأمة من خير وما عمل فى سبيلها من جهد مخلص ونفع عظيم .



إعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





محمد علی زینل رضا

محمد علي زينل رضا

معتدل الجسم وسط في الرجال لا بالطويل ولا بالقصير ، مستدير الوجه ابيض اللون ، واسع العينين ، اقنى الانف ، يضع على عينيه نظارة ذهبية ويرتدى الجبة والعمامة الحجازية وقد احتفظ بلباسه هذا حتى في زيارته الكثيرة إلى أوربا بعد ان افتتح مكاتبها لأعماله التجارية الواسعة ، قوى الشخصية وهبه الله مهابة واسبق عليه محبة فاذا رأيته هبته واحببته في وقت واحد ولا عجب في ذلك فقد هياه الله تعالى بتوفيقه للزعامة بما وهبه من صفات البذل في سبيل العلم من مال كثير وجهد عظيم استمر معه منذ نشأ الى ان توفاه الله تعالى وقد اشرف على التسعين من عمر طويل قضاه في خدمة العلم والدين .

ولد الحاج محمد علي زينل رضا بمدينة جدة في اول القرن الهجرى سنة ١٣٠٠ هـ في ظل والده الحاج زينل علي رضا وكان هو واخوه الحاج عبد الله علي رضا من اكبر تجار مدينة جدة وبرزهم وتعلم القراءة والكتابة في دار والده على ايدى بعض علماء عصره كما بدأ دراسته اللغة الانجليزية والفارسية كذلك على ايدى من يعرفونها ممن يعملون في بيت والده التجارى وكان مجاله الطبيعى بعد هذا العلم المحدود ان يعمل في تجارة ابيه وعمه موظفا يتدرج في الاعمال

ويتمرن عليها حتى يستطيع ان يمسك زمام الامور حين يشتد ساعده ولكن محمد على زينل كان شغوفا بالعلم منذ الصغر وخاصة بعلوم الدين ولم يجد في مدينة جدة ما يشبع نهمته ويسد جوعته فاستأذن من أبيه في السفر الى مصر والالتحاق بالجامع الازهر وهو أكبر مصدر لتلقى علوم الدين في عصره ، ولكن والده الذي كان يرغب في تهيئة ابنه للعمل التجارى لم يوافق على هذه الرغبة ، كما انه كان راغبا في بقاء ابنه محمد على بجانبه وهو اكبر ابنائه ولكن حب محمد على زينل للعلم والدراسة استحوذ على فكره وأخذ بمجامع قلبه فما هو الا ان حزم أمره وترك مدينة جدة دون علم والده ، وذهب الى مصر وبدأ الدراسة فعلا بالجامع الازهر ، ولكن الحاج زينل الذي لم يطق فراق ابنه تبعه الى مصر وأعادته الى بلده ، ورأى محمد على نفسه مرة اخرى في مدينة جدة وقد حيل بينه وبين ما يرغب من تعليم ، رأى نفسه كما حدثني رحمه الله في جدة وهو شاب في العشرين أو دونها وكان يصف حال العلم والتعليم في أوائل القرن الرابع عشر قال عن :

نشوء فكرة مدارس الفلاح

« كان يقوم الجمال من مكة المكرمة باحماله ومعه ورقه بها اسم الرجل الذى له البضاعة فيدخل من باب مكة الى ان يصل الى الخاسكية - قلب شارع الملك عبدالعزيز الآن - فلا يجد من يحسن قراءة الورقة التى بيده الى ان يُيسر الله من يقرأها بعد الجهد والتعب فيستدل على صاحب الاحمال وينزلها لديه قال وكانت في مدينة جدة كلها مدرسة واحدة هي - المدرسة الرشدية - كان موقعها امام مسجد الباشا وقد هدمت بعد خرابها وتقرر ابقاء الارض دون بناء توسعة للشارع - وكانت هذه المدرسة تعلم اللغة العربية بالتركية - كان هذا في اواخر العهد العثماني - وحين انتشار حركة التترك التى كانت تمارسها جمعية الاتحاد والترقى

التركية - قال الحاج محمد على وهالنلى الأمر وجدت انه لابد من عمل شيء لتغيير الحال وتعليم الأولاد القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على الاقل ولم يكن مسموحا بافتتاح المدارس او الكتاتيب في ذلك العهد ، ولكن هذه العقوبات جميعها لم تكن لتحول بين الرجل العظيم وما يريد قال فاستأجرنا مقعدا في بيت ذاكر بحارة الشام - المقعد هو المجلس الذى كان يوجد في مدخل كل بيت لاستقبال الرجال وجلس صاحب المنزل به في ذلك الحين - واتفقنا مع احد الفقهاء على تدريس الأولاد مبادئ القرآن الكريم والكتابة وتعليمهم صغار السور بين المغرب والعشاء قال الحاج محمد على وقد اخترنا هذا الوقت لنختفى عن عيون الدولة حيث لم يكن مصرحاً لنا بهذا العمل ولأول مرة وجدنا ان هناك مخاطر في خروج الأولاد للدراسة وعودتهم تحت جناح الظلام فاتفقت واصدقائى عبدالرؤوف جمجوم ومحمد صالح جمجوم ، ويحى سليم ومحمد صالح نوار أن يذهب كل منا الى منازل الاولاد (بعد الاتفاق مع آبائهم) لنأخذهم الى هذه المدرسة الصغيرة ثم نعيدهم الى منازلهم بعد انتهاء الدروس ، وهكذا كان فكان هؤلاء الشبان وجميعهم في مطلع الشباب يذهبون الى بيوت الأولاد لايصالهم إلى المدرسة ثم يعودون بهم بعد العشاء ليوصلوهم الى أهليهم بأمان .

تخذوا الظلام الى الضياء وسيلة ☆ والفجر يولد في الدجى فيشيب قال وكنا قد تقدمنا الى الحاكم التركى بطلب التصريح لنا بافتتاح مكتب لتعليم القرآن الكريم وقد حصلنا اخيرا على هذا التصريح فأصبحت المدرسة تمارس نشاطها في وضع النهار واخذنا نشجع الكثيرين على ارسال اولادهم اليها ، وكان ما يأخذه الحاج محمد على زينل من مرتب شهرى لقاء عمله في مكتب ابيه التجارى عشر روبيات^(١) يذهب جميعه في نفقات هذه المدرسة

(١) محمد على زينل رضا لمؤلفه محمد احمد التاطرى .

الصغيرة وبدأ يفكر في إيجاد موارد اكبر لتغطية نفقات المدرسة ومواجهة ما يحلم به من تكبيرها وتوسيع اغراضها ومن اهم ذلك إيجاد مبنى اكبر وأوسع ، وفي ذلك الوقت عرض مبنى مدرسة الفلاح الحالى بباب مكة للبيع وكان هذا المبنى بموقعه وبناؤه الحديث وكثرة غرفه هو اصلح مكان للمدرسة التى يحلم بها هذا الشاب العظيم »

تَبَّعَ زَوْجَتَهُ بِحُلِيِّهَا وَجَوَاهِرِهَا

وأخذ الرجل يفكر فى الطريقة التى يستطيع بها توفير المال اللازم وهو لا يملك منه شيئا واخذت الفكرة بمجامع قلبه حتى اרכת جفنه وأقضت مضجعه ورأت زوجة - السيدة خديجة بنت عمه الحاج عبدالله على رضا - ما هو عليه من تفكير فسألته عما يشغله فأسرَّ إليها بالأمر ولم يكن من هذه السيدة العظيمة الكريمة الا ان قدمت كل ما تملك من مجوهرات وحلى لزوجها ليبيعه ويشتري به البناء المطلوب ، وهكذا كانت هذه المكرمة العظيمة من تلك السيدة العظيمة سببا فى شراء المبنى الكبير لمدرسة الفلاح فى شهر شوال ١٣٢٣ هـ

هبة تطوق كل أنثى عزة ☆ ان كاثرتنا بالهبات وهوب
ولعله من المناسب هنا ان نذكر للتاريخ ان الجامعة المصرية - جامعة فؤاد الاول - او جامعة القاهرة اخيرا حين تأسيسها كانت تفتقر إلى المال فتقدمت إحدى الأميرات المصريات الى الجامعة بمصوغاتها ومجوهراتها فوهبتها للجامعة وقد اشادت الصحف المصرية اذا ذاك بهذا الحدث ، نقول ان هبة السيدة خديجة بنت الحاج عبدالله على رضا لشراء مدرسة الفلاح كانت قبل ذلك ، وكان سبقها بهذه الهبة من الاعمال الجليلة التى تدل على سمو نفس صاحبها جزاها الله خير الجزء •

وبعد شراء مبنى المدرسة بدا لمحمد على جليا ان من الضروري العمل على ايجاد موارد مالية كافية للمدرسة ، فالمدرسة كل مدرسة كما هو معلوم كالمنزعة تبدأ فصلا واحدا ثم تنتهى الى فصول عديدة بحسب تدرج قدرة الطلاب على الاستيعاب وهكذا قرر محمد على الهجرة الى الهند طلبا لمجال أوسع من الرزق والعمل وسافر الى الهند تاركا المدرسة في رعاية اصدقائه وزملائه وفي مقدمتهم الشابان عبدالرؤوف ومحمد صالح هجوم وقد حدثنا الحاج محمد على شخصا عن هذه الفترة ، فترة البداية في مهجره بالهند قال كنت محتاجا الى المال الذى ابدأ به العمل وكان صديقى يحيى سليم يعرف ذلك فحسن لوالده ان يرسل معى مبلغا من المال لأرسل لهم به بعض البضائع بعد وصولى الى الهند قال محمد على وقد انتظر الشيخ سليم وقتا طويلا حتى وصلت اليه البضائع المطلوبة وكان ابنه يحيى سليم مطلعا على كل شىء .

ملك اللؤلؤ في العالم

وفي الهند اشتغل محمد على زينل بتجارة اللؤلؤ حيث كان يشتري اللآلئ في مواسم الغوص من الموانئ الخاصة بذلك وهي البحرين والكويت ودبي في الخليج ثم يصنف هذه اللآلئ حسب احجامها بعد ثقبها وصقلها في عقود واساور وحلقان ويبيعها حسب أصنافها وأحجامها في العواصم الأوروبية العالمية فكان له مكتب في لندن وآخر في باريس بالاضافة الى مكاتبه في بومباي بالهند وفي موانئ الخليج حتى اصبح من اشهر العاملين في هذا العمل واطلق عليه ملك اللؤلؤ في العالم ، وكان العهد العثماني قد انتهى في الحجاز وبدأ العهد الهاشمي وتمكن محمد على بما افاء الله عليه من خير من التوسع في التعليم بمدارس الفلاح فأسس مدرسة الفلاح بمكة المكرمة سنة ١٣٣٠ هـ بعد مدرسة الفلاح في جده كما اسس

مدرسة الفلاح في بومباي سنة ١٣٥٠ هـ ومدرسة الفلاح في عدن ومدرسة الفلاح في دبي سنة ١٣٤٧ هـ ومدرسة الفلاح في البحرين وكان يزعم تأسيس مدرسة الفلاح في المدينة المنورة كذلك إلا أن ذلك لم يتم وقد حدثني الشيخ محمد صالح جمجوم وكيل مدارس الفلاح في جدة ومكة أن مقدار ما كان ينفقه الحاج محمد على زينل على المدرستين في مكة وجدة سنويا وصل الى ثلاثة عشر ألف جنيه من الذهب ، واستمر في هذا الانفاق مايقرب من ثلاثين عاما وحينما بدأ العهد السعودي في جدة كانت مدارس الفلاح تقريبا هي المدارس الوحيدة في مكة وجدة التي اشتهرت بحسن إدارتها وجودة برامجها التعليمية وكان متخرجوها هم الأساس الذي قام عليه بناء الإدارة الحكومية فكانوا يشكلون القسم الأكبر من موظفي الدولة كما كانوا يسكنون بالاعمال الكتابية في البيوت التجارية في المدينتين كما اشتغل الكثيرون منهم بالتدريس في مدارس الفلاح نفسها وفي المدارس الحكومية الأخرى في بداية العهد السعودي .

البعثات التعليمية

ولم يكتف الحاج محمد على زينل بما تقوم به مدارس الفلاح في كل من مكة وجدة على علو برامج الدراسة فيها في ذلك الزمان باختيار أجود المدرسين وأستقدمهم من مصر وسوريا بالإضافة الى أفضل المدرسين الوطنيين فقد كان يفكر في اخراج جيل من الرجال المتعمقين في دراسة الإسلام ليقوموا باداء رسالة الاسلام الحقيقية في بلادهم ومن ثم عمد الى اختيار أفضل المتخرجين من طلاب الفلاح وابتعثهم إلى الهند ليكونوا تحت إشرافه الخاص بعد ان اعدّ لهم برنامجا

علميا حافلا واستقدم لهم اعظم المدرسين من البلاد الاسلامية وكان يهدف بذلك الى اعداد جيل من الدعاة الاسلاميين الواعين لرسالة الاسلام وكان يغرى الطلاب بالاستمرار في الدراسة او الابتعاث الى الهند بترتيب مرتبات شهرية مغرية لهم وخاصة لمن يكون أهلهم من ذوى الدخل المحدود وهكذا كانت هذه المرتبات الشهرية للطلبة ولابائهم في السنوات الثلاث الاخيرة من الدراسة في الفلاح وهى السنوات العلمية كما اطلق عليها اذ ذاك وهى بعد الست سنوات العادية حافزا كبيرا للآباء لإبقاء ابنائهم مستمرين في دراستهم كما كانت حافزا للموافقة على ارسال ابنائهم للاستزادة من العلم في بومباى في المدرسة التى اعدّها الحاج محمد على هناك لهذه الغاية .

الدِّرَاسَةُ مَجَانِيَّةٌ

ولست فى حاجة لأن أقول إن الدراسة فى مدارس الفلاح كانت مجانية لأبناء الفقراء والأغنياء على سواء ولم يكن يتكلف ولى امر الطالب سوى شراء الكتب المدرسية فى أول كل عام وكانت هذه الكتب تباع بأسعار زهيدة يسهل توفر ثمنها لكل انسان .

انْهِيَارُ تَجَارَةِ اللُّؤْلُؤِ

وبينا كان الحاج محمد على زينل يواصل جهوده العظيمة فى حقن التعليم كما اسلفنا وينفق المال الكثير فى هذا السبيل تعرضت اعمال هذا الرجل العظيم للانهار بعد ظهور اللؤلؤ الصناعى اليابانى فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى وكان هذا الحدث بعد ان اشترى الحاج محمد على اكبر كميات من اللؤلؤ فى مواسم الغوص من موانئ الخليج وهكذا وجد محمد على زينل نفسه بين يوم وليلة

يملك من اللآلئ الكثير الذى انفق فيه الملايين ولكن هذه اللآلئ لا تشتري ،
 فقد اتجه الناس الى شراء اللؤلؤ اليابانى الزائف الرخيص والذى لا فارق بينه
 وبين اللآلئ الأصلية من ناحية المنظر فى شئ وتعرض الرجل لمصائب مالية تنوء
 بها العصابة اولو القوة ولو لم يكن الرجل على ايمان قوى بالله وعلى سمعة عالية
 لدى البنوك لكانت هذه المصاعب كافية للقضاء عليه ولكنه ثبت ثبات المؤمنين ،
 وقال وقد سلمت كل ما لدى من لآلئ ومجوهرات الى البنوك تأمينا لهم لقاء ما
 استدنته من اموال وكانوا يقدرون الموقف فصبروا حتى يجعل الله من بعد عسر
 يسرا •

تَوَقَّفِ الصَّرْفِ عَلَى مَدَارِسِ الْفَلَّاحِ

وفى هذه الظروف البالغة السوء أننى يستطيع الحاج محمد على زينل ان ينفق
 ما كان ينفقه على الفلاح ، بل اثنى له ان ينفق اى شئ وقد بلغ به الامر ما بلغ
 فاضطر الرجل العظيم أسفا ان يعلن ذلك للقائمين على شؤون الفلاح وكان لهذا
 الأمر أبلغ الأثر فى نفوس الناس عامة •

الْأُمَّةُ تَتَوَلَّى الصَّرْفَ عَلَى الْفَلَّاحِ

فقامت الأمة مجتمعة بما كان يقوم به فرد واحد هو الحاج محمد على زينل
 رضا ، وقد اجمع تجار مدينة جدة ان يتقدموا للدولة بفرض رسم مقداره قرش واحد
 على كل طرد يصل الى ميناء جدة ويستوفى هذا القرش لصالح مدارس الفلاح ،
 وكان الشيخ حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية مدعوا على العشاء بمنزل
 الشيخ عثمان باعشان أحد أعيان جدة ومدير العين العزيزية فيما بعد - فتقدموا اليه

مجتمعين بهذا الطلب الذى وافق عليه فى الحال واصبحت حصيلة هذا الرسم تستوفى فى جميع جمارك المملكة وتؤدى لمدارس الفلاح ومن المهم هنا ان نذكر ان هذا القرش يضيفه التجار على تكلفة بضائعهم وهم يستردونه بطبيعة الحال ضمن هذه التكلفة حين البيع فهو ليس منحة من فئة معينة وانما هو مشاركة عامة من الأمة كلها فى الإنفاق على مدارس الفلاح .

الدولة تتولى تغطية مصاريف الفلاح

ولقد قامت الدولة فيما بعد مشكورة بتغطية مصاريف مدارس الفلاح فى كل من مكة وجدة وأصبح هذا القرش الذى كان يستوفى باسم الفلاح عائدا لمصلحة التعليم كله باسم (قرش المدارس) لأن هذا القرش لم يعد يكفى لسد متطلبات الإنفاق على الفلاح بعد تطور التعليم فيها وتوسعه ليشمل المراحل الثلاث مثل مدارس وزارة المعارف وهكذا شملت الدولة اخيرا مدارس الفلاح برعايتها فأصبحت تعامل معاملة المدارس الحكومية سواء بسواء .

محمد على زينل لا يقبل التبرع للفلاح

ولعله من الخير ونحن نستعرض حياة الحاج محمد على زينل وتاريخ الفلاح ان نذكر هنا انه كان لا يقبل تبرعا من اى انسان ، فحينما كان قادرا على الإنفاق أنشأ مدارس الفلاح وأنفق عليها من حرماله واستمر فى هذا الإنفاق حتى عجز عنه تماما فتركه للأمة تتولى الأمر نيابة عنه وهكذا كان ولقد حدث ان قدم الحاج محمد على زينل الى الحجاز فى احدى زياراته المعتادة التى كانت تتم كل بضعة اعوام مرة ، اقول قدم الى الحجاز فى الستينات وكانت مدارس الفلاح

معروضة للبيع في مكة المكرمة وكانت مدارس الفلاح تشغل مبنيين في القشاشية بمكة المكرمة قرب باب علي - من ابواب المسجد الحرام - وكانت هذه المباني مملوكة لأولاد الشريف علي باشا امير مكة الاسبق ، وكان معلوما يومها ان ثمن هذين المبنيين هو مائة الف ريال وانى إنقل هنا من كتابي حبات من عنقود ما سبق ان كتبته عن هذا الأمر قبل سنوات :

سَابِقِي رَجَالًا

(كنت عضوا في مجلس إدارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بمكة المكرمة ، وكان رئيس المجلس الصديق المرحوم الشيخ عبدالله باحدين ، وذات ليلة حضر إلينا الشيخ عبدالله في المجلس وقال هو بادی التأثر ، لقد علمت اليوم أن البناية التي تشغلها مدرسة الفلاح بالقشاشية معروضة للبيع وأن ثمنها يبلغ مائة الف ريال ، وإننى لا أتصور ماذا يكون حال التلاميذ وحال المدرسة بعد أن تباع بنايتها ؟ ثم استطرد قائلا الا يوجد مائة شخص من خريجي مدارس الفلاح في مكة وجدة يستطيع كل منهم أن يدفع الف ريال فيجمعون قيمة المدرسة ويقدمونها هدية للحاج محمد علي زينل رئيس مدارس الفلاح الموجود حاليا بين ظهرانينا ، قلنا إن ذلك واجب لا مناص منه وأن خير هدية تقدم للحاج محمد علي وقد اعتذر عن قبول حفلات التكريم هي قيمة بناية هذه المدرسة التي غداها بعقله وماله وجهده طوال ثلاثين عاما أو تزيد ثم قلت للمجتمعين ، إن لدينا إلى جانب جمع التبرعات لشراء المدرسة وسائل أخرى بعضها في يدنا هنا في مجلس إدارة الشركة ، فإن لدينا بنداً للأعمال الخيرية مخصصا له بموجب نظام الشركة خمسة في المائة من صافي أرباح الشركة سنويا ، وفي يدنا أن نصدر قرارا في الحال باعتماد المخصص جميعه لمدارس الفلاح ، كما أننا نستطيع أن نفعل مثل ذلك في الشركة العربية للسيارات وفي شركة الطبع والنشر ، وكل منكم له صلة بهاتين

الشركتين من قريب أو بعيد ، وإذا رغبتُم فأننى سأشرح للشيخ محمد سرور وهو رئيس الشركات العربية جميعها الموقف كله وأخذ موافقته عليه ، ونكون بهذا قد جمعنا قسما هاما من المبلغ المطلوب من أيسر طريق ثم نلجأ بعدها إلى جمع التبرعات ، استحسن المجتمعون جميعا الفكرة ورحبوا بها وكلفونى أن أتحدث إلى الشيخ محمد سرور نيابة عنهم فيها ، وأعددت تقريرا مفصلا أوضحت فيه المبالغ التى يمكن جمعها من الشركات العربية وشرحت فيه الأمر شرحا وافيا ، وقدمته فى اليوم التالى للشيخ محمد سرور وقرأ التقرير بإمعان ثم قال : إننى موافق على كل ما جاء فى هذا التقرير ، ولكن هل تحدثتم إلى الحاج محمد على وأخذتم موافقته ؟ قلت : اننا نريد أخذ موافقتك أولا ثم نتحدث إليه ، قال : اننى موافق فخذوا موافقته وأخبرونى ، واتصلت بإخواننا فى مجلس ادارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد وأخبرتهم بالأمر فقرروا انتدأبى مع الأستاذ الشيخ عبدالوهاب آشى والأخ السيد هاشم زاوى لمقابلة الحاج محمد على زينل وأخذ موافقته على الأمر ، وعهدنا إلى السيد هاشم بالاتصال بالحاج محمد على وتحديد موعد معه للمقابلة ، واتصل بى السيد هاشم فى اليوم التالى وقال : الاجتماع بعد صلاة الظهر مباشرة فى بيت الآشى بالقشاشية ، (هذا البيت هدم وأدخل ضمن التوسعة الأولى للمسجد الحرام) وذهبت إلى الموعد وبعد دقائق حضر الحاج محمد على وشرحت له الفكرة بحذافيرها ، وأشرق وجه الرجل العظيم وتهلل وهو يستمع إلى ثم قال : لقد فكرت يوما من الأيام أن أشتري محلا كبيرا هنا فى القشاشية أشيد فيه بناء المدرسة وأحيطه بدكاكين تكون موردا للمدرسة نفسها ، ولكن وقد حالت الظروف دون تحقيق هذا المطلب عزّيت نفسى قائلا : إننى سأبنى رجالا ، وإنى لأحمد الله تعالى أن جاء اليوم الذى رأيتمكم فيه يا أبنائى ، يا أبناء الفلاح تغارون على مدرستكم وتفكرون فى شراء المبنى الذى يضم التلاميذ بعد أن علمتم أنه معروض للبيع وأنكم تخشون عليهم من الضياع ٠٠ ثم أردف

قائلا : ان أفكاري في الواقع تتلاقى معكم ، وإننى هنا على اتصال بمالك الدار في هذا الشأن وان لدى مبلغا أحضرته من الهند لهذه الغاية ، هذا ولم أر في حياتى رجلا ساهر الحديث كالحاج محمد على زينل « مد الله في عمره » هذه الحلقة نشرت قبل وفاته رحمه الله ، لم اجتمع اليه مرة الا وانطوى الوقت وهو يتحدث وأنا أستمع ، فلا نشعر بمرور الزمن ولا انقضاء الساعات ، وظل يومها يتحدث عن مدارس الفلاح وكيف أنشأها وهو موظف في بيت أبيه بمرتب عشر روبيات في الشهر الواحد ، وكيف كان وصحبه يأخذون التلاميذ من بيوت آبائهم بعد الغروب إلى المدرسة ثم يعيدونهم إلى دورهم في صدر الليل لأن الدراسة كانت في السر بعيدا عن أعين الدولة التركية ورقابتها ، وكيف سافر إلى الهند طلبا لتدبير المال لهذه المدارس وكيف تبرعت زوجته بحليها لتساهم في شراء مدرسة الفلاح بجدة حينما عرضت للبيع ولم يكن يملك مالا لشرائها ، واستمر يتحدث ونحن نستمع إليه مأخوذين ولم نشعر الا وقد اذن للعصر ولم نتناول غداء ولم نفكر في راحة وانتبه الرجل العظيم فقال لقد أضعت عليكم وقتا كبيرا ولكنى سأجتمع اليكم مرة أخرى ، قلت : ولكنى لم أسمع جوابا منك على اقتراحنا ، ان الشيخ محمد سرور ينتظر موافقتك لنبدا الخطوات الأولى للمشروع ، قال : لا تفعلوا شيئا حتى أخبركم ، وأردف سأقابل مع الشيخ محمد سرور ثم اجتمع اليكم مرة أخرى ، وانتظرنا وطل انتظارنا ، وكلما قدم لزيارة الشيخ محمد سرور تعرضت له مذكرا فيعدنى بأنه سيخبر الشيخ محمد سرور بما يستقر عليه رأيه ، وأخيرا سافر إلى جدة ومنها الى الهند وسألت الشيخ محمد سرور ألم تلتق شيئا من الحاج محمد على ؟ فقال في هدوء كلا : ثم ابتسم وقال : انك لاتعرف الحاج محمد على إنه لا يقبل تبرعا من احد قلت : حتى ولا من أبناء الفلاح ؟ قال لقد

خبرت بنفسك الأمر فلا داعى للجواب •

مد الله فى عمر مؤسس الفلاح فلقد كان وما يزال بأخلاقه العالية وعصاميته الفذة وغيرته العظيمة مدرسة كبرى تبنى الرجال - (هذا ما نقلته من كتابى حبات من عنقود مما سبق نشره قبل سنوات فى جريدة البلاد وهو مثل من أمثلة كثيرة تدل على أن محمد على زينل لا يقبل تبرعا من أى جهة كانت لمشاريعه العظيمة التى أسسها وحينما عجز هو عن الانفاق على الفلاح لم يلجأ إلى جمع التبرعات وإنما ترك المدارس وديعة فى يد الأمة كلها تحتضنها دون أن يتدخل فى الأمر بصورة من الصُور وهو تصرف يدل على نفس عظيمة كريمة أبيّة •

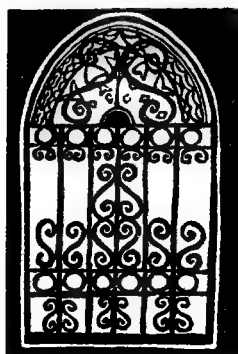
ولقد استطاع الرجل العظيم بمرور الزمن ان يتغلب على الأزمة العظيمة التى تعرض لها وأخذ يعمل فى تجارة المجوهرات فى نطاق محدود ، وحينما علت سيئه أخذ يفكر فى العودة إلى وطنه والاستقرار فى الحجاز حيث تقيم أسرته الكبيرة وأحبابه الكثيرون ، وكنت أراه فى كل مرة يقدم فيها إلى الحجاز فأسأله عن موعد هذه العودة المرتقبة فيقول باق لى بالهند سنتان سنة تخليه وسنة تخليه ، والذى ظهر لى أن ارتباطاته الكثيرة فى الهند بعد أن قضى معظم عمره هناك لم تكن تسمح له بتركها ، وقد علمت من شقيقته السيدة عائشة زينل التى زارته فى السنوات الأخيرة من حياته أن بيته هناك كان مفتوحا للناس وخاصة للسيدات اللاتى لا عائل لهن ، كما علمت انه كان يساعد الحركات الاسلامية من ماله فى صمت ما وسعه ذلك ، وتعرض فى أواخر حياته لمرض خطير سافر من أجله لآل زينل بعد أن استقدموا له طبيبا من انجلترا لإجراء جراحة عاجلة كللت بالنجاح ولم تمض فترة من الزمن بعد ذلك الا وقد أدركته المنية فى مدينة بومباى ، وما أن علم جلالة المغفور له الملك فيصل بالأمر حتى أمر بارسال طائرة خاصة لنقل جثمانه إلى الحجاز ولكن الحاج محمد على رحمه الله أوصى أن يدفن حيث يقبض

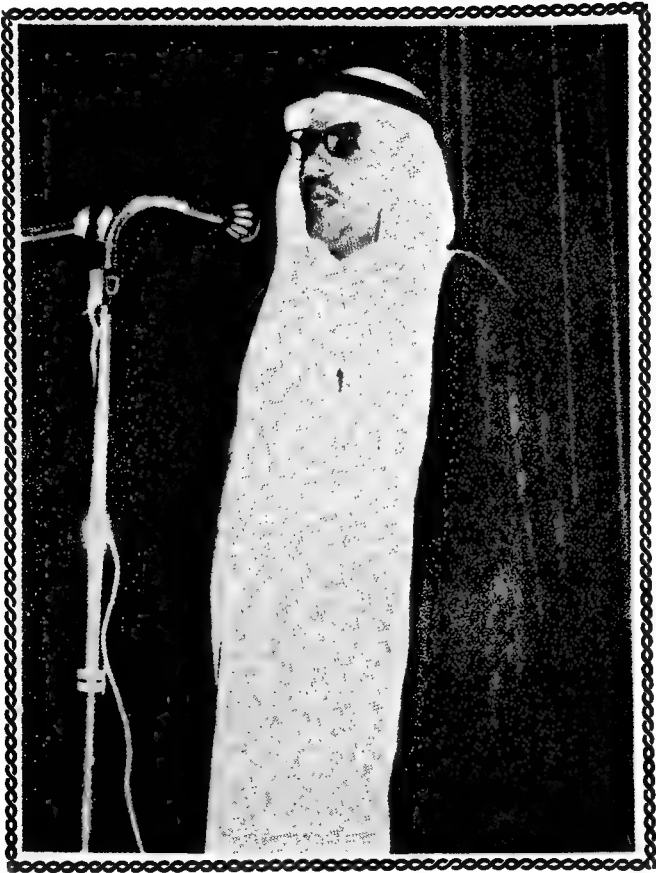
فدفن في مدينة بومباي بالهند وقد تركت رنة حزن وأسى لدى كل عارفه ونعته صحف
الحجاز خاصة وكتب الكثيرون عنه رحمه الله رحمة الأبرار وكانت وفاته بتاريخ ٢ شعبان
١٣٨٩ هـ أحسن الله جزاءه وأسبغ عليه شأبيب رحمته ورضوانه فقد كان من أعظم
الرجال ..



إعلام البحار

في القرن السابع عشر الهجري





محمد عبدالصمد فدا

مُحَمَّدُ عَبْدُ الصَّمَدِ فِدَا

متوسط القامة معتدل الجسم أسمر اللون له لحية خفيفة يضع نظارة على عينيه ويرتدى العباءة والعقال •

ولد الأستاذ محمد فدا بمكة المكرمة عام ١٣٤٣ هجرية وتلقى تعليمه في مدارس الفلاح بمكة المكرمة ثم ابتعث الى مصر والتحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر متخصصا في القضاء وعاد منها الى الحجاز عام ١٣٧٠ للهجرة وعين عقب تخرجه قاضيا بمدينة رابغ الا انه كان يرغب العمل في سلك التعليم فاعتذر عن قبول الوظيفة التي أسندت اليه ومن ثم عين مدرسا بالمعهد العلمي السعودي أوائل عام ١٣٧١ هـ وحينما ظهرت مواهبه في التدريس عين في ٧٢/١١/١ هـ مديرا للمدرسة الرحمانية الثانوية وانتقل في ٧٦/٢/١ هـ إلى المدرسة العزيزية الثانوية مديرا لها ثم عين مستشارا بمكتب المستشارية لوزارة المعارف في ٧٧/١١/١ هـ الى ٧٨/٥/١ هـ حيث اختير مديرا للمدرسة النموذجية بالطائف التي تحولت فيما بعد الى مدرسة الثغر النموذجية بجدة •

المدرسة النموذجية بالطائف

قام المرحوم ابراهيم أدهم وهو والد سعادة الأستاذ كمال أدهم بإنشاء المدرسة النموذجية بالطائف لغرض نبيل فقد أسست المدرسة في البداية لتكون مدرسة للأمرء وقام المرحوم ابراهيم أدهم باحتضان التلاميذ اليتامى في المدرسة المذكورة ، لإيوائهم وتعليمهم وسرعان ما أصبح عدد هؤلاء التلاميذ اليتامى كبيرا وأصبحت العناية بالمدرسة المذكورة ضرورة حتمية فشمّلها برعايته صاحب السمو الملكي الأمير فيصل النائب العام لجلالة الملك - جلالة الملك فيصل فيما بعد - وحولها الى مدرسة نموذجية ومن ثم اختير الأستاذ محمد عبدالصمد فدا رحمه الله مديرا لها لما عرف عنه من القدرة الادارية الفائقة وقوة الشخصية الى جانب مؤهلاته العلمية وخبرته السابقة في التعليم حوالى الثمانية أعوام ومنذ تولى الاستاذ محمد فدا ادارة المدرسة النموذجية بالطائف استطاع ان يكتسب ثقة جلالة الملك فيصل رحمه الله فاتخذ بتأييد من جلّالته الاجراءات التى تكفل لهذه المدرسة ان تكون نموذجية فعلا لا اسما وقد روى ان تنتقل المدرسة الى مدينة جدة ليكون الانتفاع بها شاملا لا يقتصر على سكان مدينة الطائف وحدها ولقد بدأت المدرسة النموذجية بالطائف تكتسب سمعتها الأولى فانتقل اليها بعض ابناء كبار رجالات مكة وخاصة من موظفى الدولة وحينما تم بناء المدرسة بجدة واعداها انتقلت المدرسة النموذجية اليها بكامل طلبتها وخصصت لها ميزانية ضخمة فى كل عام واطلق عليها اسم « مدرسة الشجر النموذجية » .

وفى هذه الفترة عرفت المرحوم الأستاذ محمد فدا اداريا قديرا ومربيا عظيما ، ورجلا قوى الشخصية لا يتهاون فى تطبيق أنظمة المدرسة ازاء صغير أو كبير

فالتألب الذى يسقط فى سنة من السنوات ولا ىنجد فى الملحق لابقاء له بين صفوف طلاب الثغر وإنما ىنتقل الى مدرسة اخرى ، والدراسة فى المدرسة علمية فى مرحلة التوجيهية فالتألب الذى لا ىتفوق فى المواد العلمية أو الذى لا ىميل اليها لا بقاء له فى المدرسة ولو كان متفوقا فى المواد الأدبية ولن ىشفع له قط ان ىكون ابن أمير أو كبير ولن ىشفع له كذلك ان ىكون ابوه صديقا حميا لمحمد فدا بالذات ، ولعله كان أشد ما ىكون صرامة مع الطلاب من أبناء اصداقائه وذوى قرباه وعلامات الطالب تراقب فى الاختبارات الشهرية وترسل نتائجها الى آباء الطلاب وكنا نترقب هذه العلامات فى كل شهر بقلوب واجفة خشية ان ىكون أحد الابناء مقصرا فى بعض الدروس والويل لمن تأتى الشهادة الشهرية وفيها علامة حمراء فمعنى هذا أن الخطر على الأبواب •

وتحل المصيبة العظمى اذا أساء الطلاب أحدهم او بعضهم سلوكه فى المدرسة ولم ىعترفوا بما اقترفوا ويدلوا على الفاعل هنالك ىنتقل الأمر الى آباء الطلاب وأولياء أمورهم وهناك ترسل الخطابات الى هؤلاء الآباء بطلب الحضور وكنا نعرف ان المقابلة ستكون عاصفة وإننا لا نملك فيها الا التسليم بما ىرتثيه الاستاذ فدا ، وبهذه الوسائل كان البيت مرتبطا بالمدرسة اشد ارتباطا وكان الآباء والأمهات على علم تام بأحوال ابنائهم الدراسية بل وبسلوكهم واخلاقياتهم ، وهكذا كان الاستاذ محمد فدا شخصية ىحسب حسابها الجميع وىحبها الجميع اشد الحب لانهم يضعون بين يديه مستقبل ابنائهم وىعرفون أن هؤلاء الأبناء فى يد أمينة كريمة •

ولتكتمل الصورة لدى القارىء عن هذه المدرسة او المؤسسة العظيمة (مدارس الثغر النموذجية) لابد ان نذكر ان المدرسة تضم قسما داخليا تهىء

فيه للطلاب كل وسائل الراحة من المأكل والمضجع والتطبيب الى مختلف النشاطات الرياضية التي تحفل بها برامج هذه المدارس وكذلك البرامج الاجتماعية والفنية وكان الاختيار لكل العاملين في هذه المدارس من مدرسين وعاملين في مختلف أعمال المدرسة وشؤونها يتم على أسس مؤهلات علمية وخبرات سابقة وكان الاستاذ محمد فدا يشرف على الكبيرة والصغيرة في شؤون هذه المدارس مواصلا الليل بالنهار في تقصى هذه الأمور لضمان سيرها على الوجه المطلوب وكانت الحفلة السنوية التي تقيمها المدرسة والتي تعرض فيها نشاطات الطلاب يتخللها بعض البرامج التمثيلية الناجحة يدعى لها آباء الطلاب بل والأمراء والوزراء ويحضرها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ولي العهد - ولم ينقطع عن حضورها الا بعد ان ولي العرش وأصبح وقته كله مشغولا بشؤون الدولة ، نقول ان هذا الحفل السنوي كان أشبه بمظاهرة ثقافية يحرص الجميع على حضورها في كل عام .

وليس سرا ان مدارس الثغر النموذجية سبقت جميع المدارس الى تقديم الوجبة الغذائية التي كانت اجبارية على جميع الطلاب والتي كانت غنية بأصناف الطعام ولقد سألت الاستاذ فدا رحمه الله لم لا تكون هذه الوجبة اختيارية ؟ فقال حتى لا يشعر الطلاب الذين يحتاجون اليها بالفارق بينهم وبين زملائهم الذين يجدون مثلها في بيوتهم في كل يوم وليست هذه بأولى ملاحظات الاستاذ فدا بل ومحافظاته على شعور ابنائه من الطلاب وغرس روح المساواة بينهم ، كما كانت مدارس الثغر اول مدرسة فيما اعلم توحد زى الطلاب وهو الزامى فيها ، ولقد كان الاستاذ فدا يعرف قدرات طلابه ويرعاهم الرعاية الكاملة .

حدثني مرة انه يعرف طالبين من أنجب الطلاب في مكة المكرمة وكان يتزقب
لها مستقبلا زاهرا اذا اتما دراستهما وكان يرغب ان ينقلهما الى مدارس الثغريوطنة
لابتعائهما الى الخارج ولكن والد الطالبين كان يعارض حتى في مجرد انتقالهما الى
جدة فضلا عن السفر الى امريكا واوروبا فهازال به حتى اقنعه وانتقل الطالبان
فعلا الى مدارس الثغر بجدة ولقد صحت نبوءة الاستاذ فدا رحمه الله حينما عاد
احد الطالبين مهندسا عظيما من الولايات المتحدة ولم يمض طويل وقت حتى
اسند اليه منصب رئيسي في مجال عمله ، بل استطيع ان أقول ان معظم من عرفت
من طلاب الثغر هم من أصحاب المكانة المرموقة فمنهم من أكمل الدراسة
الجامعية الى اقصى مراحلها واصبحوا من الأساتذة المعروفين في الجامعات ومنهم
من برز في ميدان الهندسة او في الأعمال التجارية ، والجميع يذكرون استاذهم
محمد فدا بالاكبار والحب ولعل لا أفشى سرا حينما أقول ان ابنائي وقد قرأوا ما
اكتبه عن أعلام القرن الرابع عشر سألونني لماذا لا أكتب عن أستاذنا محمد فدا ؟
ولقد اكبرت فيهم هذا الوفاء لأستاذهم العظيم ولم اكن له ناسيا فهو علم من
أعلام هذه البلاد في مجاله يرحمه الله .

عُضْوُ جَامِعَةِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

وفي رحاب مدرسة الثغر ولدت فكرة جامعة الملك عبدالعزيز أو على الأصح
ولدت الترتيبات الخاصة بها وكان المرحوم محمد فدا في رحلة في الخارج حينما ظهرت
الفكرة ودعى الناس للاجتماع لانتخاب الهيئة التأسيسية للجامعة وكان المطلوب
من الراغبين في عضوية هذه الهيئة ترشيح أنفسهم لها ولما كان الأستاذ محمد فدا

غائبا عن البلاد فقد ارتأت الهيئة التى تشرف على فكرة الجامعة ان يكون الاستاذ فدا من ضمن المرشحين لهذه العضوية فأعلن المرحوم السيد احمد شطا اسمه كأحد المرشحين الذين لم يستطيعوا ترشيح انفسهم لغيابهم وقد نال فى هذا الانتخاب الكثير من الاصوات لما يتمتع به من سمعة طيبة ومقام ملحوظ ، ولقد اختارت الهيئة التأسيسية للجامعة مدرسة الثغر مقرا لاجتماعاتها الأسبوعية والتى كانت حافلة بالجهود الكبيرة للتأسيس ولم تنقل منها إلا بعد ان تسلمت مبانى الجامعة التى قدمها لها المرحوم الشيخ عبدالله السليمان وتم إصلاح المبنى الاول فيها وهكذا ساهمت مدارس الثغر فى احتضان فكرة الجامعة التى هى مفخرة من مفاخر مدينة جدة ومعلم من اكبر معالم النهضة فى البلاد كما ان الحفل الذى نظم لجمع التبرعات للجامعة اقيم كذلك فى مسرح مدرسة الثغر بجده وحضره جلالة المغفور له الملك فيصل وتدفقت التبرعات السخية للجامعة فى ذلك الحفل الكبير .

هذا وقد تفضل الأخ الأستاذ محمد سعيد طيب بزيارتي قبيل طبع هذا الكتاب وقدم لى قصاصات كان يحتفظ بها مما نشرته الصحف بعد وفاة المرحوم الصديق الأستاذ محمد فدا مدير مدارس الثغر التموزجية وتحدث الى بمعلوماته عن الاستاذ فدا رحمه الله الذى كانت تربطه به زمالة الصداقة والعمل منذ فجر شبابه الباكر ولقد كنت حريصا دائما على اضافة معلومات الإخوان الكرام إلى ما أكتبه فى تراجم أعلام الحجاز وكنت ألجأ إلى اهليهم وأصدقائهم مستمدا ما لديهم من هذه المعلومات التى قد يكون بعضها بعيدا عنى ، وحسنا فعل الأستاذ محمد سعيد طيب لأنه أتاح لى الاطلاع على أشياء جديدة كان من الواجب أن تضاف إلى ما كتبه عنه .

محمّد فدا الشاعر

إن أهم ما لفت نظري فيما قدمه الأستاذ محمد سعيد طيب عن المرحوم الأستاذ محمد فدا أنه كان شاعرا مشرق الديباجة رائع المعاني والكلمات ولقد أورد المرحوم الاستاذ فؤاد شاكر بعض قصائده التي نظمها وألقاها في مناسبات معينة ذلك أن صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل زار دار البعثات السعودية في مصر فاحتفل به الطلاب وكان محمد فدا أحد أعضاء البعثة فرحب بسموه بقصيدة شعرية ثم دعا سموه أعضاء البعثة في رحلة ترفيهية إلى القناطر الخيرية فألقى محمد فدا كذلك قصيدة في هذه الرحلة وإنني اورد هنا بعضا من أبيات هذه القصائد التي أوردها المرحوم الأستاذ فؤاد شاكر الذي كان مشاركا في هذه الحفلات :

يقول في وصف مراحب القناطر الخيرية :

مشهد الحسن والخفر ☆ فتنة الماء والزهر
معهد الفن والهوى ☆ متعة الروح والبصر
يسعد العاشقون في ☆ جوها الحالم العطر

ويخاطب الأمير الشاعر قائلا :

شاعر الحسن قف تز ☆ ود لأيامك الآخر
واندفع يا فؤاد الشعر ☆ نشوان وابتكر
واقتبس للقصيد من ☆ رائد الفن والشعر

ومنها :

شاعر انت عندما ☆ اخترت ذا المربع النضر
ومثال لفصل ☆ في طباع له غرر

والسؤال الذى ورد على ذهنى بعد قراءة ما أورده الأستاذ فؤاد شاكر هو اين ذهب شعر الأستاذ فدا ؟ فمن المؤكد ان له قصائد اخرى كثيرة أو قليلة وقد عرف الناس محمد فدا خطيبا مفوها يعتلى المنبر فيرتجل من الكلام أحسنه غير مستعين بورقة مكتوبة أو بإعداد سابق - سوى الإعداد الذهني - اذا صح هذا التعبير كما انى علمت أنه كان لا يستسيغ الخطابة التى تعتمد على الاوراق المكتوبة أما اللحن اللغوى أو النحوى فانه ينفر منه نفورا شديدا بل ويزدرية وكل هذا الذى ذكرته إنما يدل على أصالة الحاسة الادبية وتمكنها وكل هذا يجعل ممارسة الشعر أمرا سهلا لمن توفرت له هذه الصفات ولئن استطاع الأستاذ محمد فدا ان يبعد الانظار عنه كشاعر فلن يستطيع فيما أرى ألا يمارس نظم الشعر أو التدفق به فى بعض المواقف لأن تجربتى فى الشعر انه يملئ على الشاعر ما يقول وفى الوقت الذى تتجلى فيه الدوافع التى لا يملك الشاعر لها مقاومة أو دفعا •

ولهذا فان للشاعر محمد فدا أو يجب أن يكون له قصائد قليلة او كثيرة ضمن محفوظاته وإن كان لم يظهرها للناس ولا بد ان تكون كريماته وهن المثققات يعلمن عن هذا الأمر فلا أقل من إظهار هذه الآثار للنشر لتكون الصورة عن محمد فدا الشاعر مجلوة إلى جانب الجوانب الأخرى لهذه الشخصية الكريمة والعظيمة الصفات •

مرضه ووفاته

في أحد اجتماعاتي بالاستاذ فدا بعد ان توثقت أواصر الصداقة بيني وبينه قال لى : إننى اقرأ ما تكتبه عن رحلاتك في الخارج وأود لو رافقتك في بعض هذه الرحلات فأننى أزور انكلترا ولكنى لا اعرف شيئا عن معالمها السياحية فحركتى محدودة بين الطبيب والسفارة ومنازل بعض الأصدقاء الى جانب جولات في شارع اكسفورد (استريت) الذى انزل في أحد فنادقه بعد العشاء ، قلت إننى مسافر هذا الصيف ورحلتى فيه تشمل مدنا في أواسط اوروبا وشمالها وإنه ليسعدنى كثيرا ان تكون رفيقى في هذه الرحلة وتواعدنا على الاجتماع في لندن وحضر رحمه الله في الموعد الذى عينه ونظمتنا برنامج الرحلة بحيث نزور الدانمرك والمانيا وسويسرا معا وقبل سفرنا من لندن بثلاثة أيام حضر المرحوم الصديق الشيخ محمود عطار وكان معنا في لندن وقال لى أبلغ الأستاذ فدا أن الطبيب فلان يريد أن يراه فقد علم منى عرضا أنه هنا في لندن وهو يصر على ذلك وأبلغت الأستاذ فدا ما سمعت فوجم فألححت عليه أن يذهب طالما أن الأمر يتعلق بصحته فوافق وفى اليوم التالى قال لى وفى صوته رنة حزينة لا تنتظرنى فإنى سأطيل المقام هنا حسب نصيحة الطبيب وكنت أعلم عن مرضه فطمأنته وأعطيته أسماء الفنادق التى سأنزل بها وقلت له إننى سأتصل به فيما بعد ومن مدينة ميونيخ بألمانيا اتصلت به وقلت له إننى سأكون موجودا في جنيف بعد ثلاثة أيام قال وستجدنى هناك وفى فندق مجاور للفندق الذى تنزل فيه وفى الموعد المعين حضر وكان بادي الانشراح منبسطة الأسارير وقضينا بضعة أيام في سويسرا نزور معالمها كما نظمنا رحلة بالسيارة تشمل كثيرا من المدن السويسرية وتخترق بعض المدن الفرنسية وتناولنا الغداء في مدينة لوزان وخلال جلسة الغداء أدهشنى الأستاذ فدا

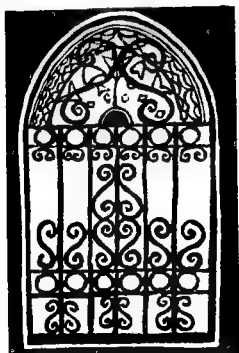
بمحفوظاته من الشعر وقد أسمعني قصائد قديمة من الشعر الغزلى نشرت لى فى الخمسينات فأدركت أن للرجل ذوقاً أدبياً إلى جانب شخصيته الحازمة فى التربية والتعليم • ثم اقترب موعد عودتنا الى المملكة فافترقنا على أمل أن نجتمع مرة أخرى فى الصيف القادم وقد صمت فجأة ثم قال يبدو لى أنه ليس فى عمرى بقية لرحلة أخرى اننى اقترب من النهاية قلت اتق الله يا رجل فإنك فى خير حال وفى الصيف التالى قال إننى قررت الذهاب هذه المرة إلى أمريكا فإننى لم أزرها من قبل فتمنيت له كل خير وقلت له إن الطب هناك متقدم كثيراً عنه فى انكلترا التى تزورها دائماً لهذه الغاية •

وسافر إلى أمريكا وما لبثنا أن علمنا أنه أدخل المستشفى ثم اشتد عليه المرض فكان هناك يتنفس فى خيمة من الأوكسيجين وأن صحته تتداعى ومع ذلك فقد أصر على أن تعود زوجته وبناته إلى جدة للالتحاق بمدارسهن حيث كان موعد افتتاح المدارس قد أوفى وفى مساء الخميس ١٣٨٥/٧/١١ هـ أسلم الروح بمدينة واشنطن فى أمريكا ونقل جثمانه بالطائرة حيث دفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة مساء الثلاثاء ١٣٨٥/٧/١٦ هـ فى مشهد مهيب اشترك فيه أصدقائه وطلابه رحمه الله فلقد كان مربياً قديراً وأستاذاً عظيماً تغمده الله برحمته وأحسن جزاءه فى جنات الخلود •



أعلام البحار

في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ محمد ماجد الكردي

الشيخ محمد ماجد كردى

ولد الشيخ محمد ماجد بن صالح كردى بمكة المكرمة عام ١٢٩٤ للهجرة وتلقى العلم على أيدى علماء مكة المكرمة فى عصره وحفظ القرآن الكريم وكان شغوفاً بالعلم والدراسة منذ نعومة أظفاره كما كان شغوفاً بالقراءة فكان يقتنى الكتب المطبوعة والمخطوطة ومما لاشك فيه أن رغبته الصادقة فى التزود من المعرفة هى التى هياته لجمع هذه المجموعة العظيمة من الكتب مع ما وهبه الله من ثراء يسر له شراء الكتب المخطوطة والمطبوعة وضماها إلى مكتبته العظيمة قالوا : وكانت مكتبة الشيخ ماجد كردى فى مكة المكرمة تعتبر أكبر وأغنى مكتبة خاصة بما تحويه من مجموعات قيمة فى التفاسير والأحاديث النبوية وكتب الفقه واللغة ودواوين الشعر وكتب التراث وكانت تمتاز بالمخطوطات النفيسة النادرة التى تضمها هذه المكتبة القيمة ، وكان الشيخ ماجد كردى على اتصال بأصحاب المكتبات وعشاق الكتب فى جميع أنحاء العالم الإسلامى فكان يستورد كل جديد ونادر من الكتب المخطوطة والمطبوعة ويضمها إلى مكتبته الفريدة القيمة والتى أطلق عليها اسم المكتبة الماجدية .

المطبعة المأجدية

وكان الشيخ مأجد كردى من أوائل الناس الذين فكروا فى تأسيس المطابع فى الحجاز وفى مكة بصورة خاصة وله بحث قيم عن تاريخ المطابع نشر بجريدة أم القرى وكتب عنه كتابة مطولة الأستاذ عثمان حافظ فى كتابه نشأة الصحافة وتطورها فى المملكة العربية السعودية •

نعم لقد رأى الشيخ مأجد كردى بما وهبه الله من بصيرة نافذة أن نشر العلم يجب أن يستند إلى وسائل تتيح تعميمه وتيسيره للناس ولما كان الكتاب هو وسيلة نشر العلم وكانت الكتب فى الماضى تعتمد على نسخ النساخ أو نسخ طلبة العلم أنفسهم فإن هذه الوسيلة البطيئة لم تعد قادرة على إشباع نهمة الطلاب الذين يتكاثرون وخاصة مع انتشار المدارس وتكاثر عدد الطلاب فقام أولاً بشراء مطبعة شمس الحقيقة الموجودة بمكة والمؤسسة عام ١٣٢٧ هـ ولكنه وجد أن هذه المطبعة قديمة ولا تقوم بإنجاز ما كان يطمح إليه ، فاستورد المطبعة المأجدية إلى مكة المكرمة ، حدثنى ابنه الشيخ عادل مأجد كردى عضو مجلس الشورى قال حينما قام الوالد باستيراد المطبعة المأجدية واجه صعوبات همة فى نقلها إلى مكة المكرمة فإن الأجهزة التى تتألف منها المطبعة ثقيلة الحجم ولم تكن هناك السيارات ولا الرافعات فإن عصر السيارة لم يكن قد حان فى الحجاز ولم تكن هناك وسيلة للنقل سوى الجمال والحيل والبغال فاختار الوالد أن تكون البغال هى وسيلة النقل إلى مكة لما تتمتع به من قوة على حمل الأثقال ، ومع ذلك فإن حجم المطبعة كان أثقل من أن تتحمله البغال فى طريق صحراوى رملى غير معبد ، فكانت البغال تنوء بحملها الثقيل وبعضها يضعف عن مواصلة الحمل والبعض الآخر ينفق

تحت وطأة هذه الحمولة الثقيلة فتستبدل البغال بغيرها وهكذا تم النقل على مراحل وفي عناء شديد ولولا رغبة الوالد الشديدة في إنشاء المطبعة بمكة المكرمة لكانت هذه الصعوبات كافية في إثثائه عما يريد ، ولكن همم الرجال لا تقف أمام العقبات وإنما تتخطاها وتذلّلها وهكذا كان الشيخ ماجد كردى بهمة العظيمة وبجبه الكبر لشح العلم مثالا فريدا في قوة الارادة وفي البذل لبلوغ الهدف الذى يريد ، ولم تقف العقبات عند وصول المطابع الى مكة المكرمة وتركيبها فكان لابد من توافر الأيدى الفنية لتشغيل هذه المطابع وكان الطبع في ذلك الوقت يعتمد على صف الحروف التى تسبك سبابة مستقلة ، ولم يكن قد عرف (اليونوتيب) وما إليه من أجهزة الصف الحديثة فكان جمع الحروف وتوضيبها يتم باليد ، تصنف الحروف المسبوكة سابقا في ادراج معينة في المطبعة ويجمعها عمال الصف في سطور بطريقة معلومة لعدم تداخل الحروف في بعضها فاستقدم الشيخ ماجد عمالا لهذه الغاية وأمر أولاده أن يتعلموا كيف يقومون بصف الحروف وبإدارة آلات المطابع كلها وكل ما يتعلق بها موفرا لمطبعته الاكتفاء الذاتى حتى لا تتعطل عن العمل ، قال الشيخ عادل فكنا نعمل في المطبعة بأيدينا عمال صف وطبع ولم يأنف ماجد كردى أن يكون أولاده عمال صف وطبع وهو من هو في ثرائه ومكانته الاجتماعية الكبيرة بل رأى أن هذا العمل هو نوع من حسن التربية للأولاد الذين أمرهم من قبل بحفظ القرآن الكريم على عادة الكثيرين من أهل مكة المكرمة في ذلك الزمان وهكذا أنشأ الشيخ ماجد كردى المطبعة الماحدة ، وهكذا كنا في مقاعد الدراسة في ذلك الزمان نجد بين أيدينا كتب الفقه

والحدث والتاريخ والتجويد والنحو وما إليها وقد كتب على غلافها (طبع بالمطبعة الماحدية بمكة المكرمة) وهذا هو المجد الذى حققه ماجد كردى رحمه الله

إذ يسرّ لمدارس الحجاز حاجتها من الكتب المدرسية فلا تتعطل الدراسة انتظاراً لوصول الكتب من الخارج وإنما هي مطبوعة في مكة المكرمة وموجودة بين أيدي المدرسين والطلاب في الموعد الصحيح ولم تقتصر المطبعة المأجدية على طباع الكتب المدرسية وإنما كانت تقوم كذلك بطباع المطبوعات التجارية والكتب الأخرى ومن أهم ما طبعته كتاب تاريخ مكة للأزرقى في مجلدين وهو من أقدم وأهم كتب التراث قام بتحقيقه الأستاذ رشدي ملحس رحمه الله وكان يعمل بجريدة أم القرى في مكة المكرمة في أواخر الأربعينات ، وهكذا أنشأ ماجد كردى رحمه الله بمكتبته العظيمة ومطبعته منارة لنشر العلم في بلد الله الحرام وبذل في سبيل ذلك من المال والجهد ما جعله علماً من الأعلام .

بَيْتُ الْكَرْدِيِّ فِي الْقَرَارَةِ

ولن يتم الحديث عن الشيخ ماجد كردى إلا إذا المحنا بشيء عن أخلاقه الشخصية فلقد كان الرجل طالب علم محباً للعلماء وكان بيته في مكة المكرمة بالقرارة مفتوحاً للناس وخاصة للعلماء ورجال الدين والمقرئين من حجاج بيت الله الحرام وكان الرجل بحكم صلته العلمية بالعلماء محط الأنظار فكان يستضيف العلماء ورجال الدين وأعلام الأدب الذين يصلون إلى مكة المكرمة من جميع أنحاء العالم الإسلامى فيجدون في داره حسن الضيافة وطيب المقام ، وكانت هذه الدار علاوة على ما توفره لمن تستضيفهم تعتبر منتدى علمياً وأدبياً في موسم الحج خاصة ، فتعقد فيها الندوات يستمع الناس فيها إلى قراءة القرآن الكريم من مقرئين أصواتهم حسنة ، وإلى تفسير للآيات من عالم بالتفسير وإلى أبحاث دينية وعلمية يسهم فيها أصحاب الاختصاص من الحاضرين كما يلقى فيها

الشعر ويتبارى فيها الأدباء وأصحاب الفكر فهي منتدى حافل بكل طريف ومفيد وكان الشيخ ماجد يحرص على أن يوفر للقاديين إلى هذا النادى ما يحبه اليهم من حسن الضيافة وكرمها وجميل الاستقبال والترحيب .

دار الكردى بمنى

وللتاريخ فإن دار الشيخ ماجد كردى بمنى حتى بعد وفاته رحمه الله كانت تؤدى نفس الغاية ولكن على نطاق اكبر فكان يعقد فيها فى لىالى التشريق هذه الندوات ومن أشهرها الندوة الخطابية التى يقيمها شباب مكة المكرمة وأدباؤها فى كل عام للوافدين من حجاج بيت الله الحرام وكان كل من قدم من أعلام الرجال للحج يحضر هذه الندوة وقد شهدت الدكتور محمد حسين هيكى مؤلف الكتب الإسلامية الشهيرة فى منزل الوحي وغيره يحضرها ويخطب فيها كما شهدت زعيم فلسطين الحاج محمد أمين الحسينى رحمه الله حضر فيها ومعه زعيم لبنان المرحوم رياض الصلح وقد طلب الحاضرون منها الخطابة فألقى الحاج محمد أمين الحسينى كلمة فيها كما كانت للمرشد العالم للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا رحمه الله فيها مواقف خطابية شهيرة كل عام ، ولقد كانت الدار على رحبها تضيق بالمتنات من الناس الذين يؤمنونها فى تلك الليلة المشهودة وإنى لأذكر أن هناك منصّة فى رجة الدار ناءت بما تحمله من الناس ، وكانت من الخشب فتكسرت ولم تحدث أى أضرار وكان الشيخ حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة حاضراً فى تلك الليلة فقام وطلب التبرع لإصلاح الدار ولكن سارع الشيخ كامل ماجد كردى أكبر أبناء المرحوم ماجد كردى إلى القول بأن أصحاب الدار يشكرون له وللحاضرين هذا الشعور ولكنهم بحمد الله قادرون على

إصلاح ما تضرر ويعتذرون عن قبول التبرع ، قال هذا الدكتور محمد على الشواف رحمه الله بلسان الشيخ كامل كردى وإخوانه وهكذا فإن حسنات الشيخ ماجد كردى امتدت الى مابعد وفاته فقد سار أبناؤه ما أمكنهم فى الطريق الذى رسمه لهم والدهم العظيم .

مَصْرِى المَطْبَعَة

هذا وقد أدركت المطبعة الماجدية يديرها الشيخ طاهر كردى ابن الشيخ ماجد كردى رحمه الله فى مكة المكرمة فى الخمسينات وعهدى بها أنها استمرت بعد ذلك ولكنى لا أدرى ماذا تم فيها بعد ذلك وبعد التطور الكبير الذى أدخل على المطابع وانشغال أبناء الشيخ ماجد بالعمل الحكومى ووفاة البعض الآخر فقد كان الشيخ صادق ماجد كردى مديرا لدار البعثات السعودية بالاسكندرية لفترة طويلة كما ان الشيخ عادل ماجد كردى هو عضو مجلس الشورى فى الوقت الحاضر .

هذا بالنسبة للمطبعة أما المكتبة فكما قدمنا انها كانت تضم نوادر المخطوطات الى جانب ما تحويه من الكتب المطبوعة القيمة فى شتى العلوم والفنون ولعل الشيخ عادل كردى يتحدث الينا عما آل إليه أمر هذه المكتبة الفريدة فى زمانها فإذا كانت المطابع قد فقدت قيمتها بماجدً من فنون الطباعة الحديثة وآلاتها فإن الكتب والمخطوط منها لا تفقد قيمتها وإنما تزيد على الأيام^(١)

(١) لقد تم نقل هذه المكتبة الى دار الكتب التى انسأها المرحوم الشيخ عباس فطان فى موقع الدار التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم راجع ترجمة الشيخ عباس فطان . . .

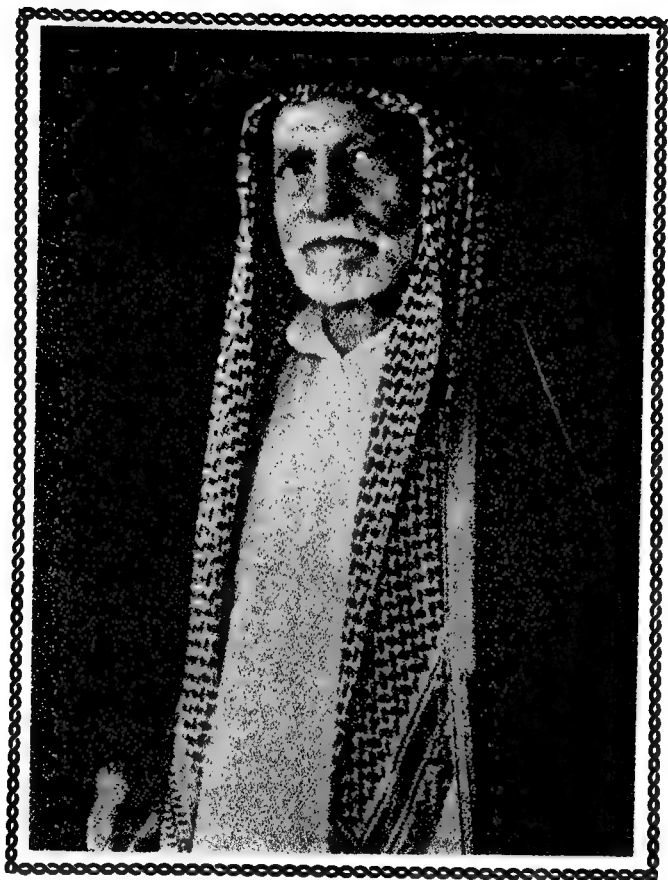
وَظَائِفُ الشَّيْخِ مَاجِدِ كُرْدِي

وفي أوائل العهد السعودي عين الشيخ ماجد كردى مديرا للمعارف تقديرا لعلمه وفضله ثم أسندت إليه مديرية الأوقاف العامة بمكة المكرمة وفي عهد إدارته للمعارف تم إرسال أول بعثة علمية من أبناء المملكة للدراسة في معاهد مصر ومدارسها وكان هذا في الأربعينات من هذا القرن .

وفاة الشيخ ماجد كردي

الحجاج على صعيد عرفات في يوم التاسع من ذى الحجة ونحيم الشيخ ماجد كردى في عرفات يغص بالوافدين من ضيوف الرحمن الذين يستضيفهم كل عام والجو عاطر بالتلبية والناس يضحون بالدعاء والكل مبتهل إلى الله سعيد في ضيافته الرحمن والشيخ ماجد كردى في لباس الإحرام الأبيض يتفقد راحة ضيوفه من الحجاج وهو في أكمل صحة ولكن الله تعالى أراد له حسن الختام فاختره الى جواره في هذا اليوم العظيم وفي ذلك المشهد العظيم وهو في لباس الإحرام فدفن حاجا محرما ملبيا في عرفات وكان هذا في التاسع من ذى الحجة ١٣٤٩ هـ وهو في الخامسة والخمسين من العمر فكانت لوفاته رنة حزن وأسى في جميع أنحاء البلاد ولدى غار في فضله في جميع أنحاء العالم الإسلامى ، تغمده الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه في دار الخلود فلقد كان واحدا من أفاضال الرجال ..





محمد الطويل

مُحَمَّدُ الطَّوِيلُ

قصير القامة ، معتدل الجسم ، اشقر الوجه واللحية ، أزرق العينين ، أفتى
الانف ، أصلع الرأس ، أنيق الملبس ، كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، ثم
تحول عنها إلى العباءة والعقال ، ذوسمت وهيبه ، وقد استحوذ بكرمه وهمته على
قلوب الناس فكان زعيما محبوبا ، كما نال ثقة الحكام فكان رجل الدولة فى العهد
الهاشمى ، وأحد كبار الرجال الذين تسند اليهم المهام فى عهد جلالة المغفور له
الملك عبدالعزيز .

لم أستطع الحصول على تحديد دقيق لولادة المرحوم الشيخ محمد الطويل
وكل ما نستطيع أن نذكره أنه ولد فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى وكان فى
مطلع شبابه موظفا بدائرة الجمارك فى جدة فى العهد العثمانى ، وحينما قام المغفور له
الملك حسين بن على بالثورة على الحكومة العثمانية عام ١٣٣٤ هـ كان الشيخ
محمد الطويل من أبرز الرجال الذين نالوا ثقته فكان ناظرا لعموم الرسوم فى
جدة ، وقد اطلق عليه لقب الناظر - نسبة إلى هذا المنصب الرفيع إذ ذاك ،
وكانت موارد الدولة الهاشمية فى ذلك الوقت تعتمد على الرسوم الجمركية وكان
جerk جدة الذى يتولى رئاسته الشيخ محمد الطويل هو أهم موارد الدولة لأن جدة

كانت ولا تزال أكبر موانئ الحجاز ، وكان مقر الحكومة في مكة ، ولكن الموارد كلها تأتي من جدة سواء من الرسوم الجمركية التي تمثل القسم الأعظم من هذه الموارد ، أو من الضرائب التي كانت تجبى على وسائل النقل التي تتمثل في الجمال سواء ما كان منها خاصا بنقل البضائع أو الحجاج ، وكان الشيخ محمد الطويل أشبه ما يكون بوزير كبير في عهد الدولة الهاشمية فإلى جانب رئاسته للواردات المالية الضخمة ، كان يتولى تموين الحكومة بما تحتاجه من أرزاق ومستلزمات وكان الشيخ محمد الطويل بحكم منصبه الكبير وجاهه العظيم مقصوداً من الناس ، وكان الرجل كريما على الأمانة شها ذا نجدة ومروءة فكان بيته مفتوحا للناس ويده مبسوطة لهم ورفده موصولا لكل طالب ، فأحببه الناس وتعلقوا به ، والتفوا حوله ، ولم يكن يبذل للناس من ماله فحسب وإنما كان يبذل لهم من جاهه كذلك ، حدثني من أثق بروايته أن الشيخ محمد الطويل كان يتوجه الى مكة لمقابلة الشريف حسين بن علي بين وقت وآخر حسب متطلبات منصبه ، وكان أهل مكة يترقبون مقدمه حيث ينزل في بيت باناجه - في باب علي - هذا البيت هدم وأدخل مع غيره في التوسعة الجديدة للمسجد الحرام فإذا قدم وفدوا عليه بحاجاتهم وكان أكثر هذه الحاجات طلب وساطته لدى الشريف للعفو عن الغرامات وإطلاق المساجين وكان الشريف الحسين رحمه الله مشهورا بصرامته وشدته في هذه الأحكام ، وفي إحدى زياراته لمكة تجمع لديه حصيلة من هذه الوساطات فجمع أوراقها وكتب معها رقعة موجهة للشريف قال فيها ما معناه - إن ما حباني به جلالكم من عطفه وما شرفني به من خدمته جعلني مقصدا للناس ومحل حسن ظنهم وإنني أقدم لجلالكم ما قدم به على الناس من مطالب فان رأيتم أن تكرموني بالعفو عنهم فليس هو بكثير على جلالكم قال الراوى وقد استجاب الشريف لهذا الطلب فأطلق المسجونين وعفى عن الغارمين » وفي عام

١٣٤٢ هـ هاجر الكثيرون من أهل مكة إلى جدة بعد أن دخل الجيش السعودي مدينة الطائف ، ولم تكن هذه الهجرة منظمة فكان الناس يقدون بعائلاتهم وينزلون في بيوت من يعرفون من أهالي جدة ولكن البعض لم يكونوا يعرفون أحدا ، كما أن منهم من كانت تنقصه وسائل النقل فكان البعض منهم يقد ماشيا أو يستعمل وسائل غير مريحة وما أن علم الشيخ محمد الطويل بذلك حتى استنفر الرجال لاستقبال القادمين من مكة في ضاحية الرغامة وزود المكان بالماء والدواب والأغطية ثم تولى أسكان القادمين وإنزالهم في بيوت الأهالي الذين كانوا يتسارعون إلى تلبية نداء النجدة والمروءة »

وقبيل نهاية الحرب السعودية الهاشمية هاجر الشيخ محمد الطويل بعائلته إلى مدينة اسمرأ وقد أوشكت الحرب على النهاية وبدأ أن البلاد كلها ستمدين بولايتها لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وكان الطويل بوصفه من أكبر رجالات العهد السابق يخشى أن يكون لهذا الأمر تأثير عليه في العهد الجديد فبقى خارج البلاد حتى أذن المغفور له الملك عبدالعزيز بالعودة إلى وطنه فعاد إلى مدينة جدة مكرما آمنا على نفسه وماله^(١) وكانت عودته مقترنة بدخول السيارات إلى الحجاز فقد كان الشريف حسين يحرم دخولها واستعمالها ويصر على استعمال الجمل كوسيلة للنقل سواء للحجاج أو البضائع واجتمع لفيف من تجار جدة وكلهم من أصدقاء المرحوم الشيخ محمد الطويل وألفوا شركة للسيارات سميت (شركة القناعة للسيارات) وعينوا الشيخ محمد الطويل رئيسا لها وخصص له مرتب شهري مقداره ستون جنيها ذهبا في الشهر ، وكان هذا المرتب كبيرا جدا في ذلك الحين ،

(١) لقد علمت فيما بعد ان الشيخ محمد الطويل كان ممن بايعوا جلالة الملك عبدالعزيز بعد تسليم جدة ويبدو ان الشيخ محمد الطويل سافر مرة أخرى الى مصر بعد ان دانت البلاد لجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله انظر ترجمة الشيخ محمد صالح ابوزناده .

وكان معروفا أن الغرض من ذلك هو تكريم الشيخ محمد الطويل وتأمين كفايته من المال حتى لا تتغير عليه الأمور والأحوال ، ثم استقدمه جلالة الملك عبدالعزيز إلى الرياض وأبقاه فترة ثم ما لبث أن أذن له بالعودة الى جدة مع مكعب جلالته واستقبله الناس استقبالا عظيما وعاد مرة أخرى إلى عمله في رئاسة شركة القناة للسيارات ، وفي شركة القناة للسيارات اتصلت اسبابي باسباب المرحوم الشيخ محمد الطويل فقد كنت كاتباً بإدارة حسابات الشركة وكان هو رئيسها وقد أتاح لي ذلك الاطلاع على جانب من كرم الرجل إذ كانت ترد الى الرقع بخطه الجميل يمنع بها أصحاب الحاجات من مرتبه حتى أنه أصبح بعد فترة من الزمن مدينا للشركة بمبلغ كبير من المال .

ولم تطل الأيام بالشيخ محمد الطويل في شركة القناة للسيارات فقد اختاره جلالة الملك عبدالعزيز لإدارة جمارك وماليات الإحساء والمنطقة الشرقية ، وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله ذا فراسة في الرجال وهكذا قام الشيخ محمد الطويل بتأسيس الجمارك ووضع الأسس لتنظيم الأموال وكان يفد كل عام إلى جدة لزيارة اهله فيفد الناس للسلام عليه ويمتلي داره بالمهنيين والزائرين طيلة بقائه حتى يعود ، ومضت سنوات ثم اختاره جلالة الملك عبدالعزيز ليكون مستشارا له ضمن مجلس المستشارين الذي كان يسمى مجلس الربع ولكن الشيخ محمد الطويل ما لبث أن استأذن من جلالة الملك عبدالعزيز طالبا السماح له بتأسيس شركة نجد للسيارات وحصل على امتياز للشركة بالنقل بين الحجاز ونجد وقام فعلا بتأسيس الشركة المذكورة ولكنها ولدت ضعيفة فلم يكتب لها البقاء إذ كان مساهموها من أصحاب السيارات الذين لم ينضموا إلى الشركة العربية للسيارات حين توحيدها ولم تتوفر لها الإمكانيات المالية والإدارية التي تضمن

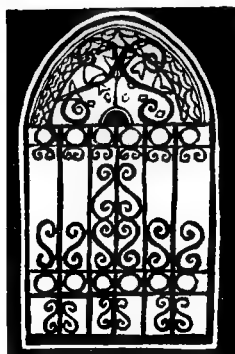
حسن سيرها فتمت تصفيتها ، وعاد الشيخ محمد الطويل إلى جدة وقد خلا من كل عمل حكومي أو أهلي ، ولكنه أشغل نفسه بخدمة الناس ، فقد فتح بيته لاستقبال أصحاب الحاجات وخاصة من الأرامل الضعيفات فكان بيته يؤوى الكثيرات منهن ، وكان يستقل سيارته كل صباح إلى مختلف الدوائر الحكومية ليقضى حوائج الناس ، فكان هو لسان من لا يستطيعون إيصال أصواتهم إلى رؤساء الدوائر من عائلة فقدت عائلها وتعثرت أوراق المتوفى بين أدراج الموظفين أو بين برائن الروتين وكثيرا ما سعى إلى إطلاق السجين وإغاثة الملهوف ، أما الأرامل الضعيفات فقد نصب من نفسه مدافعا عنهن وكثيرا ما تحول بيته إلى محكمة صغيرة يستعين فيها بمن يختار من الناس فيحل الكثير من المشكلات العائلية المستعصية بإصلاح ذات البين أو الفراق بإحسان ، وكان يستخدم ماله الخاص في هذا السبيل ، حتى أصبحت هذه الشؤون مشغلة له طيلة النهار وصدرا من الليل ، وحتى أصبح من المعتاد أن يرى ضحى كل يوم وهو يؤم الدوائر الحكومية فينجز أمور الناس ويقضى حوائجهم حيث كان يقابل دائما بالترحيب والاكبار .

ونشب المرض العضال في دم الرجل الكبير فتوجه للاستشفاء بمدينة فينا بالنمسا وصاحبه إلى هناك بعض محبيه وأدركته المنية غريبا عن وطنه فقد صرعه الداء ونعته الصحافة فتدفق الناس على منزله يعزون ابنه الاستاذ يوسف الطويل وبنتيه السيدتين نور وانجي الطويل وطال انتظار الناس لوصول الجثمان فكانوا يترددون يوميا للاستفسار عن موعد وصوله مما اضطر ابنه الاستاذ يوسف الطويل إلى نشر مايرده من أنباء في الصحف يوميا وأخيرا وصل الجثمان وكان أهل جدة جميعا يشتركون في تشييع الرجل العظيم مما جعلهم يصلون عليه في الحلاء أمام

الثكنة العسكرية في جدة قريبا من مقبرة حواء التي استقر بها جثمانه بعد طول
سعى في الخير ، وبعد عمل دائب في خدمة الناس وكانت وفاته في ليلة الخميس
٢٧ ربيع أول سنة ١٣٨١ هـ بالنمسا ودفن بمدينة جدة بتاريخ ٤ ربيع ثاني سنة
١٣٨١ هـ تعمده الله برحمته الواسعة وأحسن ثوابه في جنات الخلود .



أعلام البحار
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ عبدالرؤوف العتيان

الشيخ عبد الرؤوف الصبان

قصر القامة ، ممتلئ الجسم ، حنطى اللون ، له عينان صغيرتان ، يضع عليهما نظارة طبية ، كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية فى العهد الهاشمى ، ثم أصبح يرتدى العباءة العربية والعقال بعد عودته إلى المملكة مع من عاد إليها من الحجازيين الذين غادروا البلاد فى أعقاب الحرب السعودية الهاشمية •

ولد الشيخ عبدالرؤوف الصبان بمكة المكرمة عام ١٣١٦ هجرية وهو من أسرة الصبان التى كانت طائفة الثراء فى ذلك الوقت وكانت تتخصص فى تجارة الجلود فتجمعها من جميع أنحاء البلاد وتصدرها إلى عدن بعد دبحها دباغة ابتدائية وكان فريق من آل الصبان يسكنون القاهرة وكانوا يعملون فى أعمال المواصلات بالعربات التى تقودها الخيول قبل دخول الترام وانتشار السيارات وكانت معروفة بخطوط الصبان ثم توقفت بعد دخول الوسائل الحديثة فى النقل إلى القاهرة •

تلقى الشيخ عبدالرؤوف الصبان تعليمه الابتدائى فى مكة المكرمة ثم ابتعثته أسرته إلى مصر فدرس بها وتخرج من دار العلوم وهو يعتبر من أوائل المتعلمين الذين تلقوا دراسة منتظمة خارج البلاد فى ذلك العهد ، وحينما عاد إلى الحجاز كان نائرا على ما تحفل به حياة المجتمع اذ ذاك من الخرافات نتيجة التأخر

والجمود ، وقد أخبرنى أنه كان من أصدقاء الشيخ محمد حسين نصيف وكان يقضى الأماسى فى مجلسه بدار نصيف وكان هو والشيخ محمد حسين نصيف يتعرضون للمواكب الخاصة بمشايع الطرق ومريديهم فيسفهون آراءهم ويحبسونهم بالحجارة وكان هذا فى أواخر العهد العثمانى ثم فى العهد الهاشمى لأن العهد السعودى قضى على كل هذه البدع والخرافات من اليوم الأول لتسلمه زمام الأمور وإنى لأذكر انه كان فى محلة المظلوم قرب سوق الجامع زاوية السيد البدوى وكانت تعلق فيها مسبحة من الخشب كبيرة ، حجم حباتها مثل حجم البيضة وكان يدعى أنها المسبحة التى كان يستعملها السيد البدوى للذكر ، كما كان هناك جبة خضراء وعمامة عظيمة وغيرها وكنت وأنا صغير السن أتسلق الشباك لأرى المسبحة والعمامة وكان عقلى الصغير لايسلم بصحة ما أرى لأن المبالغة فيها والتهويل واضحا بجلاء .

كما كان فى حارة المظلوم زاوية أخرى للطريقة القادرية ، وفى حارة الشام زاوية للطريقة الجيلانية وفى العيدروس قريبا من مستشفى جدة الحكومى العام زاوية العيدروس ، وكانت الزوايا كثيرة والطرق عديدة وكانت لهم احتفالات كثيرة ومتعددة فهم يحتفلون مثلا بالمواسم التى اعتاد الناس الاحتفال بها فى ذلك الزمان مثل ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وغيرها وغيرها علاوة على أيام خاصة بالطرق نفسها وكانت لهذه الاحتفالات شنة ورنه تذبج فيها الذبائح وقدم فيها موائد الطعام الكثيرة وتوزع فيها الحلوى ويمارس فيها شيخ الطريقة وأتباعه أسلوب طريقتهم وتخللها الأغاني التى ينشدها المنشدون وتسير فيها مواكب كبيرة يتقدمها شيخ الطريقة وأتباعه ويشارك فيها الدهماء والأطفال وهم يغنون ما يعتبرونه ذكرا وفى مثل هذه التجمعات قد يحدث من المساوىء ما يبرأ منه الذكر

الصحيح وما لا يرضاه الخلق القويم وهى فى جملتها من البدع السيئة التى نحمد الله تعالى على تخلص البلاد منها فهى منافية للدين ومضیعة للمال والوقت وملهية للناس عن الصالح من الأعمال .

الهجرة من الحجاز

نعود بعد هذا الاستطراد عن الطرق ومشايخها وأساليبها إلى الشيخ عبدالرؤوف الصبان فنقول انه كان من اصدقاء الشيخ محمد نصيف وجلسائه فهو سلفى بحكم ثقافته المستنيرة وصفاء عقيدته كما كان أحد الأعضاء البارزين فى الحزب الوطنى الذى طالب الحسين بالتنازل عن العرش والذى مارس نشاطه فى الفترة الأولى لولاية الشریف على بن الحسين عرش الحجاز ، ولكنه لأمر ما انضم إلى قافلة الرجال الذين هاجروا من الحجاز فى نهاية العهد الهاشمى ، وقد علمت منه أنه سافر إلى مصر وإلى العراق ، وكان فى العراق يعمل سكرتيراً خاصاً للملك على بن الحسين وقد روى لى رحمه الله قصة طريفة عن الملك على وابنه الأمير عبدالاله ، قال كان الأمير عبدالاله يدرس فى انجلترا ورغب فى العودة الى العراق فاستأذن أباه فلم يأذن له فلم يكن منه إلا أنه استقل الطائرة وعاد إلى بغداد ولم يعجب الملك على تصرف ابنه الشاب فأوعز الى الشيخ عبدالرؤوف ان يلومه ويعاتبه قال الشيخ عبدالرؤوف للملك على ، إننى سأعاتبه على مخالفة أوامرك له ، ولكنى لا أملك الا ان اقدر فيه اصراره على تحقيق ما يريد وهكذا كان ، كما علمت من الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله أنه كان صديقاً للمرحوم الشيخ ابراهيم بن معمر وكان ابن معمر وعبدالرؤوف يقيان فى مصر بغرض الدعاية الإعلامية وكان الشيخ ابراهيم بن معمر يعمل فى خدمة المرحوم

الملك عبدالعزيز بينما كان الشيخ عبدالرؤوف في خدمة الملك على بن الحسين ، قال لى الشيخ عبدالرؤوف كنا صديقين إلا فيما يتعلق بالعمل السياسى فقد كنا ضدين ولم يكن الواحد منا يسمح للآخر بالاطلاع على عمل الثانى بحال من الأحوال رحمهما الله جميعا .

الْعُودَةُ إِلَى الْوَطَنِ

وحينما اصدر الملك عبدالعزيز رحمه الله فى عام ١٣٥٤ هـ نداءه إلى المهاجرين بالعودة إلى بلادهم والعمل لإنهاضها كان الشيخ عبدالرؤوف من أوائل الرجال الذين استجابوا لهذا النداء وعاد إلى المملكة وكتب فى جريدة صوت الحجاز يعلن استجابته لهذا النداء ويقدم ولاءه وإخلاصه وقد عينه جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله عضوا فى مجلس الشورى فكان من أبرز الأعضاء العاملين فى المجلس وبعد وفاة المرحوم السيد عبدالوهاب نائب الحرم - والد الأستاذ أحمد عبدالوهاب رئيس التشرىفات الملكية عين محله مديرا عاما للأوقاف بمكة المكرمة ثم عين أمينا للعاصمة وبعد عودته إلى الحجاز توثقت صلته بصاحب السمو الملكى الامير فيصل النائب العام - جلالة الملك فيصل فيما بعد - وما أذكره عن هذه الصلة إننى حينما أصدرت قصة البعث وهى أول مؤلف لى فى الستينات أهديت الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله نسخة من هذه القصة وفوجئت بعد أيام بخطاب كريم من صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبدالعزيز يقول فيه إننى أطلعت على قصتكم - البعث - وإننى أتمنى لكم النجاح فى أعمالكم الأدبية ، ولم أكن قد قدمت الكتاب لسموه فلقد كنت أخشى أن يكون فيه مالا يعجب بعض الناس لأن القصة كانت وصفا للحاضر بما فيه من نقص وتطلعا إلى

المستقبل المرجو بما فيه من خير ، وذهبت إلى دار المرحوم الشيخ محمد سرور فوجدت الشيخ عبدالرؤوف هناك وأطلعته على الكتاب وقلت إننى لا أعرف كيف وصل الكتاب إلى سموه وإننى محرج لأننى لم أقدمه لسموه شخصيا أو أبعثه إليه ولكنى سعيد بأن الكتاب قد مرَّ بسلام فضحك وقال إننى بعد أن قرأت القصة قدمتها لسموه وألححت عليه أن يقرأها وإننى لسعيد أن يكون سموه قد فعل وكتب إليك مهنئا بها ، وإن هذه اللفتات الكريمة من هؤلاء الرجال انما تدل على علو نفس ، وأصالة طبع وكرم أخلاق .

ولقد كان الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله دائم التشجيع لى فى أعمالى الأدبية وأذكر أن المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان أقام حفلة فى موسم الحج فى الستينات لمجموعة كبيرة من كبار الحجاج المصريين وعلمنا أنه ستلقى فيها بعض الخطب فطلب منى رحمه الله أن أعد شيئا لإلقائه فى الحفل ردا على ما سيلقى من كلمات فنظمت على عجل قصيدة كان مطلعها .

هذا الحجاز وهذه مصر ☆ جمعاً فكان الماء والزهر

ولا أذكر الآن بقية القصيدة فقد فقدت ضمن ما فقد من شعرى وألقيتها بعد أن انتهى الضيوف من إلقاء كلماتهم وكان الشيخ عبدالرؤوف حاضرا فكان أول المهنئين لى وقال لقد سددت خانة كان لابد وأن تسد فلم يكن من اللائق أن يخطب الخطباء فلا يجدون من يرد التحية بمثلها من قبلنا . وحينما رجعت فى اليوم التالى إلى القصيدة وجدت فيها خطأ لغويا لم أتنبه إليه حينما نظمتها بتلك الصورة المستعجلة ، وقلت للشيخ عبدالرؤوف إن القصيدة التى هنأتنى عليها كان فيها خطأ لا أغفره لنفسى قال لقد أدركت هذا الخطأ وأنت تلقيها ولكنى أؤكد لك أن أحدا لم يلتفت إليه وأضاف إن مثل هذه الأخطاء تغفر فى هذه

المناسبات على شرط تدارك الخطأ وتصحيحه ، وهكذا كان الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله رجلا واسع الأفق نيرَ الذهن وكنت أعجب به كرجل فكر تفرس بأمور الحياة وخاض لججها محتفظا بقوة شخصيته وصفاء ذهنه وكان هو يتنبأ لى بمستقبل طيب ، وأذكر اننى حينما بدأت عملى التجارى لم يكن راضيا من تحولى إلى التجارة وقال لى إننى أعرف إنك ستحقق نجاحا عظيما ولكنى أريد لك أن تكون محمد على مغربى الكاتب والشاعر ومع ذلك فحينما أسندت إليه أمانة العاصمة كلفنى بأعمال كثيرة للأمانة كان فى حاجة إليها على وجه السرعة كما كلفنى بأعمال أخرى للأوقاف العامة ولم يبخل بتشجيعه وإعلان رأيه الطيب فى كل مناسبة رحمه الله •

إدخال الميكروفونات إلى المسجد الحرام

ولعل من أهم ما تميز به عهد الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله فى الوظائف الحكومية ، أنه كان أول من أدخل الميكروفونات إلى المسجد الحرام وكان التبليغ سواء للأذان أو للتلاوة من الامام إنما تعتمد على أصوات المؤذنين والامام وكانوا يُختارون من ذوى الأصوات الحسنة والقوية فى آن واحد وكان المؤذنون يرتفون المنائر العالية المشيدة فى أطراف الحرم وحينما بدأت الإذاعة السعودية فى البث بعد الحرب العالمية الثانية اتصل بى الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله وقال لى إننا سندخل الميكروفونات إلى الحرم الشريف لنقل الأذان وإننا نحتاج إلى مولدات كهربائية ذات تيار معين فسألته عن التفاصيل المطلوبة فقال إن المهندس المختص بجوارى وهو الذى سيخبرك بذلك وتحدث إلى مهندس مصرى لعل اسمه أبوبكر ولا أذكر بقية الاسم فأخبرنى بالمطلوب وأضاف أننا لم نجد هذه المولدات فى المملكة وحينما رفعنا الأمر للشيخ عبدالرؤوف قال إنك تستطيع

إيجادها قلت أرجو ذلك ، وكان وجود المولدات الكهربائية قليلا ونادرا في تلك الأيام وكان الشيخ عبدالرؤوف يتعجل الأمر وقد وفقني الله تعالى الى تحقيق طلبته فقد علمت أن شركة جلاتلى هنكى في جدة وهى شركة انجليزية ضخمة اشتراها فيما بعد صاحب السمو الملكى الامير عبدالله الفيصل وحولها إلى شركة سعودية باسم المؤسسة العربية للملاحة ، أقول علمت إن هذه الشركة الانجليزية استوردت كمية من المعدات من مخلفات الحرب فذهبت إلى هناك ولحسن الحظ وجدت المرحوم الشيخ أحمد عشاوى مؤسس شركة - الأسواق السعودية فيما بعد - وكان مدير المبيعات فى شركة جلاتلى هنكى فى ذلك الوقت وأخبرته بحاجتنا إلى هذه المولدات فقال لى اننا لانعرف ان كان الموجود لدينا ضمن هذه المخلفات تتوفر فيه المواصفات المطلوبة فاستعنت بمهندس آخر وأخذنا نبحث بين هذه المخلفات حتى وجدنا مولدين جديدين بالتيار المطلوب وأخبرت الشيخ عبدالرؤوف ان المولدات موجودة وطلبت منه أن يبعث الى مهندسا من قبله لفحصها واستلامها وهكذا كان ونقلت المولدات إلى مكة وما هى إلا أيام قليلة حتى سمعنا صوت الأذان ينطلق من المسجد الحرام من خلال الميكروفونات مما جعل إدارة الحرم تتوسع فى المشروع فيما بعد فأعفى المؤذنون من صعود السلالم الكثيرة الدرجات فى المآذن خمس مرات فى اليوم .

تَسْقِيفُ الْمَسْجِدِ

ولكن أهم انجاز قام به الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله حينما أسندت إليه أمانة العاصمة أنه قام لأول مرة فى التاريخ بتسقيف المسعى ، ولعل الكثيرين من الناس لا يزالون يذكرون أن المسعى كان سوقا تجاريا من أهم أسواق مكة المكرمة

تقوم على جانبيه الدكاكين التجارية بمختلف أنواعها وترتفع فيه العماير الشاهقة على جانبي الشارع ابتداء من الصفا وحتى المروة وكانت دكاكين الصرافين والحلاقين وبائعي المشروبات وأصحاب المتاجر المختلفة تنتشر على جانبي الشارع كما كانت أهم عمارات مكة المكرمة في ناحية الصفا بل وأغلاها وأعلاها ، وكان الساعون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم في وسط هذه الأسواق وضجيجها مما يضطر المرء إلى الشعور بالخروج عن حالة النسك والعبادة إلى ضجيج الحياة وزحامها وكانت المسعى إلى ذلك في بعض أجزائها مكشوفة تحترقها الشمس فكان الناس يتحاشون السعى في أوقات الحرارة ويؤدون نسكهم بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة العصر أو في الليل في أوقات الصيف وكان القسم الآخر مسقوفا بسقف من الخشب كثيب المنظر إن حمى من حر الشمس فهو لا يحى من المطر في الشتاء وإننى لأذكر اننى اجتمعت بأحد كبار تجار الكويت الذى قدم حاجا في تلك الأيام فقال لى إن المسعى باقية على حالها منذ مئات السنين ألا تفكرون في إدخال شيء من التغيير عليها قلت إن هذا موضع نسك فكيف تريدنا أن نغيره ؟ قال وهل من النسك أن يكون موضعه سوقا للبيع والشراء ؟ والواقع ان كل عاقل كان يتمنى للمسعى أن يكون مصانا وقد أذن الله بذلك فيما بعد حينما تمت توسعة المسجد الحرام وأدخلت المسعى ضمن نطاق الحرم فتخلصت من السوق وضجيجها وغوغائه . أما دور الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله فقد كان قبل هذه التوسعة بسنوات طويلة وقد بدأ هذا الدور بقيام الحكومة ممثلة في شخص وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان برصف شارع المسعى وكان شارعا ترابيا غير مبلط وما أذكره عن هذا الرصف أن المهندس المصرى الذى كان يشرف عليه وكان اسمه بهجت سليمان أعاد الرصف مرات في المنطقة التى تصل بين شارع القشاشية وأحياد جهة باب على وما حوله وكل ما تم الرصف أو أوشك جاء السيل من أعلى مكة محترقا شارع القشاشية فأزال الرصف في طريقه إلى أسفل مكة وأخيرا تم الرصف والحمد لله . هنالك تحرك الشيخ عبدالرؤوف فتقدم إلى المسؤولين بإكمال تجميل المسعى وذلك بإزالة السقف

القديم المتآكل الكتيب المنظر بسقف جميل حديث وهكذا تم له ما أراد وأسند المشروع إلى شركة عرين التي أسسها الأستاذ كمال ادهم والتي كان يديرها مهندس مصرى ضابط اسمه ابراهيم عويس وقامت الشركة المذكورة في عهد الشيخ عبدالرؤوف بإزالة السقف القديم وتركيب سقف حديث جميل مرتفع قائم على أعمدة حديدية وكان هذا السقف مع الرصف أولَ تحسين أدخل على شارع المسعى في التاريخ إن صحَّ هذا التعبير إلى أن تم العمل العظيم الكامل بإدخال المسعى نفسه كاملاً في الحرم كما هو بوضعه الحاضر مما أتاح للحجاج والمعتمرين أداء نسكهم في جو صاف هادئ لا تعكره ضوضاء الشارع ولا أصوات الباعة والمشتريين .

عُضْوُ مَجْلِسِ إِدَارَةِ الشَّرْكََةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْسِّيَّارَاتِ

هذا وقد انتخب الشيخ عبدالرؤوف عضواً في مجلس إدارة الشركة العربية للسيارات لفترة من الوقت ثم سافر إلى مصر في السبعينات بعد أن تقاعد عن العمل وأقام بها بضع سنين ثم انتقل إلى لبنان وقد توفى رحمه الله بعد مرض قصير يرحمه الله فلقد كان من أعلام الرجال .



مُحَمَّدٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ

طويل فارع ، حنطى اللون ، واسع العينين ، أفتى الأنف ، يضع على عينيه نظارة طبية ، وكان له زى متميز عن الزى العادى للملابس الشباب من أمثاله فلقد كان يلبس القصير من الثياب تحتها سروال أشبه بالبنطلون السابغ كما كان يرتدى الكوت الطويل ولعله سافر إلى الهند فأعجبه الزى السائد هناك ولقد لاحظت أن كثيرا من الشبان الذين سافروا إلى الهند عادوا إلى الحجاز وهم يرتدون زيا مشابها لهذا مع اختلاف فى بعض التفاصيل .

ولد الأستاذ محمد جميل حسن سنة ١٣٢٢ هـ بمكة المكرمة وتعلم فى مدارسها وأرجح أنه تعلم فى مدرسة الفلاح لأنه عمل بعدها أستاذا فيها وقد عرفت الأستاذ محمد جميل حسن مدرسا بمدرسة الفلاح بجدة فى النصف الأول من الأربعينات وبالتحديد خلال الحرب الهاشمية السعودية وكان الأستاذ محمد جميل حسن نمطا فريدا من الناس له شخصية مستقلة تحدث عن نفسها فلم يكن يكثر الاختلاط بزملائه المدرسين والأساتذة ما بين الحصص وإنما كان يصطحب معه كتابا يعكف على قراءته فى أوقات الفراغ فإذا دخل إلى الفصل ساد النظام وبطل الهرج ووقف الجميع تحية له فيحييهم مشيرا بالجلوس وهو نفسه الذى عودنا على هذا النظام فاتبعناه طائعين ، وكانت الحصة التى يقضيها فى التدريس حصة

جادة إذا صح هذا التعبير فالرجل كان متمكنا من العلوم التي يدرسها فيشرحها شرحا جيدا ويفيض في هذا الشرح ويوجه الأسئلة الى بعض الطلاب ليعرف مدى استيعابهم لما ألقى اليهم ، وقد يكون كل هذا الذي ذكرت من الأمور التي يتميز بها كثير من الأساتذة ولكن الظاهرة الفريدة التي تميز بها محمد جميل حسن عن غيره من المدرسين أنه كان يلقي الدروس الوطنية على طلابه فيعرفهم بتاريخ بلادهم وامجادها ومايجب أن يفعلوه لاسترجاع ماسلب وإعادة ما اغتصب ، ولم يكن الرجل مدرس تاريخ ولكنه كان مدرس جغرافيا « علم تقويم البلدان » وكنا نتلقى هذا العلم على أيدي مدرسين قبله وبعده فكان حديثهم منحصرا في تقسيم البحار والأنهار والجبال والوديان وحدود الممالك والدول ، ولكن محمد جميل حسن كان نمطا آخر غير هذا •

كانت الخرائط الجغرافية معلقة في الجدار أمام التلاميذ وكان الأستاذ محمد جميل حسن يقف أمام هذه الخرائط فيتحدث الحديث المعتاد عن تقسيم البلاد بحارها وأنهارها وسهولها وجبالها والقارات وحدودها وما إلى ذلك ، ولكنه سرعان ما يدخل في الحديث التاريخي الذي يصل به إلى دروس الوطنية التي خالطت قلبه وملأت شعوره وجوارحه •

أذكر أنه كان أول من حدثنا عن فلسطين وكان هذا في النصف الأول من الأربعينات وكانت تحت الانتداب الإنجليزي ولم يكن اليهود فيها إلا اقلية ولكن أطباعهم فيها كانت معروفة فكان يضع يده على موضع فلسطين في الخريطة ويتحدث عن تاريخها وأطباع اليهود فيها ويقول هذه القطعة السلبية من بلاد العرب لابد أن تعاد إلى أهلها ، هذا الجزء الغالي من أرضنا الحبيبة تتكالب عليه

قوى الشر مؤيدة بالاستعمار الانجليزى الغاشم ولا يكتفى بذلك فإذا به يحدثنا عن تاريخ فلسطين منذ الفتح العربى إلى تسلم الفاروق مفاتيح المدينة المقدسة ، ثم ينحدر إلى صلاح الدين واسترجاعه لبيت المقدس ووقعة حطين وكنا نصغى مشدوهين إلى مدرس الجغرافيا الذى تحول درسه الى درس عظيم فى التاريخ ، وإلى خطاب حماسى فى حب الأوطان .

كانت البلاد العربية كلها باستثناء الجزيرة العربية تحت الاستعمار الغربى فى ذلك الوقت فكانت مصر والعراق والأردن وفلسطين والخليج تحت الحكم الانجليزى ، وكانت سوريا ولبنان والمغرب العربى كله تحت الحكم الفرنسى ، وكان محمد جميل حسن يتحدث عن هذه البلاد جميعها وعن مكافحتها للاستعمار ولكنه يطيل ويفيض إذا وصل حديثه إلى فلسطين وكأنه رحمه الله كان يتنبأ أن هذه البلاد جميعها ستحظى باستقلالها وأن العقبة الكبرى ستكون هى فلسطين ، ولا أريد أن أطيل فلقد كان الرجل شعلة متقدة من الحماس والنضال وكان ملما إلماما تاما بالمادة التى يدرسها وكثيرا ما ذكرنا بأجماد المسلمين والعرب وفتوحاتهم فى أوروبا ولست فى حاجة إلى أن أقول إننا كنا نترقب الحمص التى يدخل فيها علينا واننا نتحول جميعا إلى آذان صاغية وقلوب متفتحة تموج بالعواطف والأحاسيس وكان الرجل على صلة بالملك الشريف على بن الحسين أيام حكمه وكان يرى دائما فى القصر ولعله كان على صلة بالأسرة الهاشمية كلها فلقد كان واضحا فى أحاديثه معرفته بالملك فيصل الأول ملك العراق ، والملك عبدالله ابن الحسين ملك الأردن رحمهما الله ، وكان يوما يلقي علينا درسه المعتاد وإذا بنا نسمع ضجيجا وأصوات طلقات نارية ، فانفلت الاستاذ محمد جميل حسن من القاعة لينظر ما الخبر؟ وكان الجنود المرتزة الذين استقدمهم الملك على بن

الحسين للدفاع عن مدينة جدة وهم من الدروز يتظاهرون مطالبين بصرف مرتباتهم التي انقطعت عدة شهور فلم يكن من محمد جميل حسن الا أنه خرج إليهم منفردا وتحدث إلى رؤسائهم فانقطع صوت الرصاص وخفتت الضجة ومضوا مواصلين مسيرتهم في هدوء ، ولقد سمعته بعدها يحدث مدير المدرسة والأساتذة الذين التفوا حوله أنه أفهم رؤساء المتظاهرين أنهم يرون أمام مدرسة تضم المئات من التلاميذ وأنه لا حاجة لإطلاق النيران في هذا المكان بالذات فاستمعوا لنصيحته وهو موقف يدل على الشجاعة والإقدام .

وعلى ذكر الجنود المرتزقة نذكر أن هؤلاء الجنود كانوا من الدروز الذين يسكنون في أراضي سوريا ولبنان وفلسطين ، وكان الملك الحسين بن علي حينما غادر جدة بعد خلعه وتولية ابنه الملك على ذهب إلى العقبة وكان ابنه الملك عبدالله بن الحسين يرسل إليه هؤلاء الجنود المرتزقة لترحيلهم إلى الحجاز وكان قائد هؤلاء الجنود ضابطا سوريا اسمه تحسين الفقير وكان الدفاع عن مدينة جدة مقسما على ثلاث فئات الدروز واليمنيين والمتطوعين من أبناء البلاد وكان يحيط بمدينة جدة سور من الأسلاك وكانت كل فئة تتمركز في ناحية من النواحي وقد باع الملك على شارع قابل كما أسلفنا في حلقة سابقة لمواجهة مصاريف الحرب بأبخس الأثمان ، وحينما تظاهر الدروز في المرة التي أشرنا إليها اعتصموا بمسجد عكاش في قلب مدينة جدة ذهب اليهم كبير جدة المرحوم الشيخ محمد الطويل وتعهد لهم بتسديد استحقاقاتهم وباع المنزل الوحيد الذي كان يملكه لسكنه الخاص وأوفى لهم بجميع حقوقهم وأعادهم الى بلادهم ، نعود بعد هذا الاستطراد إلى الأستاذ محمد جميل حسن فنذكر طرفة عنه سبق أن ذكرتها في كتابي حبات من عنقود والطرفة بعنوان « رجل في التراب ورأس في السحاب » ..

كان الأستاذ محمد جميل حسن رحمه الله أستاذا لنا بمدرسة الفلاح بجدة وكان يعلمنا الجغرافيا والإنشاء والحساب ، وكان مربيا قديرا وأستاذا مثاليا وقودة تحتذى ، وكان يختصنى بكثير من الرعاية والتشجيع وكان درس الجغرافيا أو علم تقويم البلدان كما يسمونه الآن من أحب الدروس إلينا على عهد الاستاذ جميل حسن فلقد كان درسا في الوطنية والاقتصاد قبل أن يكون درسا في أساء المدن والممالك والبحار والغابات ٠٠ وإننى لأذكر كيف يفيض ويتدفق حينما كان يقف أمام خريطة البلاد العربية فيتحدث عن كل قطر منها وما تضمه أرضه من خيرات ، وكيف كان يهاجم الاستعمار الذى كان مازال رابضا على أرض أجزاء كثيرة من البلاد العربية ، وكان يتجلى حنقه وسخطه حينما كان يصل إلى فلسطين فينقلب إلى خطيب مصقع وهو يومئ بعصاه الصغيرة إلى موقعها من الخريطة ويقول هذه القطعة المغتصبة من أرض الوطن العربى ، هذا الجزء العزيز على نفوس الأمة العربية جمعاء لن نقبل بتسليمه لليهود ، ويفيض فى مثل هذه المواقف بحماس يملأ التلاميذ شعورا متدفقا من الغيرة والحمية ٠٠ وأعطانا الأستاذ يوما فى درس الإنشاء بيتا من الشعر وطلب منا أن نشرح مقصد الشاعر منه وهذا البيت ٠٠

وكن رجلا رجله فى الثرى ☆ وهامة همته فى الثريا
ولم يفتح الله علينا بشئ ، فهمنا أن المقصود أن يكون الرجل رجله فى الثرى ، ولكن ما هى هامة الهمة هذه المطلوب أن تكون فى الثريا ؟ وحضرنا فى اليوم التالى وجاء زميلنا الاستاذ عبدالكريم بكر وهو الآن من كبار موظفى الشركة التجارية العربية بجدة - وقال : لقد عرفت حل البيت قلنا هات ٠٠ قال : إن مقصد الشاعر أن يكون الانسان رجله فى التراب ، ورأسه تدق السحاب ثم قال : إن الهامة هى الرأس والثريا هى نجم مشهور فى السماء فهل تريدون ان

تخلقوا معانى من غير كلمات الشاعر ، وفهمنا ضمنا أنه استعان بأحد العارفين فى الشعر ٠٠ فتوصل إلى هذه المعانى ، وكتبنا جميعا ما قال الزميل عبدالكريم ، ان مقصد الشاعر ان يكون الانسان له رجل مغروسة فى التراب ، ورأس ملتصق بالسحاب ، وقدمنا الكراسات للأستاذ وكلها مكتوبة فى سطر واحد وصيغة واحدة دون تنوع أو تغيير ، واعتقد الأستاذ جميل أننا نسخر منه وكان صارما بقدر ما كان مخلصا ونظر إلى كبراستى واستدعانى من دون التلاميذ وقال ، حتى أنت فعلتها معهم ؟ وصمت حياء وخجلا وعاقب التلاميذ جميعا دون استثناء وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى أتعرض فيها لعقابه فكان شعورى بالخزى من العقاب أكبر من شعورى بالعقاب نفسه ٠

وفى مساء هذا اليوم بالذات كنا نسير خارج البلدة وكان الأستاذ جميل حسن يقوم بنزهته المسائية وحيدا كعادته واقترب منى أحد الناس وسألنى هل تعرف الأستاذ جميل حسن المدرس بمدرستكم ؟ قلت نعم قال : أين يسكن ؟ قلت لا أدرى ولكنه أمامك وأشرت إليه فذهب اليه وتحدث معه قليلا ٠٠ وعدت إلى منزلى وعدنا فى اليوم التالى إلى المدرسة ولكن الأستاذ جميل لم يحضر فى ذلك اليوم ولا فيما تلاه من أيام وقيل لنا أخيرا إنه سافر الى مكة وانقضت شهور طويلة علمت بعدها أن الله تعالى اختاره الى جواره فتأثرنا جميعا لوفاته رحم الله الأستاذ محمد جميل حسن فلقد كان استاذًا عظيمًا ومربيًا قديرًا وكان أول من علمنا الوطنية ، انتهى ما نقلناه بنصه من كتابنا حبات من عنقود ٠

وقبل أن نختم الحديث عن الأستاذ محمد جميل حسن نقول إنه كان من أوائل الأدباء الذين شاركوا فى كتاب أدب الحجاز الذى أصدره المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان فى عام ١٣٤٤ هـ وله فى قسم المنشور مقالان يفيضان حماسة

ووطنية وقد علمت أنه بعد عودته إلى مكة المكرمة أصيب بمرض عضال وكان يقضى أيامه في المطالعة ولم يتزوج وتوفي في أواخر الأربعينات في حوالى الثلاثين من العمر تغمده الله برحمته الواسعة وأجزل ثوابه في عليين ..



الشيخ محمد علي مطايعي

طويل فارع ، حنطى اللون ، مستطيل الوجه ، واسع العينين ، له لحية متكاملة خفيفة ، يلبس العباءة العربية ويضع على رأسه غترة بيضاء. فى الصيف أما فى الشتاء فيعتم بعمامة من الصوف ، وكان يشد وسطه بحزام خفيف من القماش وكان يحمل ساعة معدنية مربوطة بخيط أسود إلى عروة الثوب لتستقر بين ثنايا هذا الحزام فهو فى لباسه هذا يمثل طبقة الأعيان من رجال الحارة الذين أخذوا بنصيب من عادات المتحضرين من أهل المدينة واحتفظوا فى نفس الوقت بشارات زعماء الحارة وتقاليدهم والواقع أن الملابس فى النصف الأول من القرن الهجرى الرابع عشر كانت تمثل الطبقة التى ينتمى إليها المرء تمثيلا يكاد أن يكون دقيقا فبالنسبة لطبقة التجار يلبس الثوب من الشاش الرفيع فى الصيف ويشد الوسط بشال من القرمسود غالبا ما يكون مشغولا من صنع الشام وهو من الحرير الخالص ويكون هذا الحزام زفيعا رقيقا وفوق الثوب تلبس الشاية من الكتان الأبيض وفوقها الجبة والعمامة الحجازية المعروفة أما فى الشتاء فتكون الجبة من الصوف وأحسن أصنافه نوع اسمه « الانقورى » وفى هذا الحزام توضع الساعة « الراسكوف » التى تشد إلى عروة الثوب بسلسلة من الذهب وربما كانت الساعة ذهبية كذلك ، كما يوضع بين ثنايا الثوب كيس من القماش من نوع قماش

الجبة فيه بعض النقود الفضية أما طبقة الأفنديات من أبناء التجار فيلبسون
 الثوب وفوقه الكوت ويضعون على رؤوسهم أو على الاصح على أكتافهم شالا
 مشغولا إما من اللاس وهو قماش كذلك من الحرير أو هو من البريسى وهو من
 الإبريسم الذى كان يصنع فى تركيا أو فى سوريا ويكون داكن اللون مشغولا
 وغالى الثمن ، وفوق الثوب كوت من نفس القماش يوضع فيه القلم الذهبى
 والساعة وذلك قبل انتشار ساعات اليد وبينما ينتعل الرجال الحذاء الحجازى
 الذى يصنع محليا فى جدة ومكة والذى كان يتزين بشيء من القصب وأحسن
 أنواعه يسمى « ابوخرزين » فان الشبان يلبسون الأحذية الجلدية الواردة من
 الهند فإذا ترك هؤلاء الشبان عهد الدراسة لبسوا الجبة فوق الكوت والعمامة
 الحجازية بدلا من الشال فالفارق بينهم وبين الكبار هو تميز الأولين بالشاية وحزام
 الوسط وتميز الآخرين بالكوت دون حزام للوسط فإذا انتقلنا الى الطبقة الشعبية
 الوسطى وجدنا أن الثوب يكون من قماش متين وغالبا ما يكون ملونا كما أن
 السروال الذى يرتديه التجار والأفنديات طويل سابغ يغطى العقبين مشغول
 الأطراف تشده دكة كذلك مشغولة بينما يكون السروال الشعبى قصيرا إلى حد
 الركبة والحزام الذى يشد الوسط عريض من الصوف المشغول وغالبا ما يكون
 أخضر اللون أو أحمره ويحيط الشال الذى يوضع على الكتف من نفس النوع أما
 الرأس فتوضع عليه كوفية صغيرة لا تغطى إلا الجزء الأوسط من الرأس بينما تكون
 هذه الكوفية لابناء الطبقة الوسطى وأبناء الذوات سابغة كبيرة تغطى الرأس
 جميعه وقيل على الجبين ، ويغلب حفاء الأقدام على الطبقة الشعبية الفقيرة وإذا
 كان منهم من يلبس الاحذية فهى من الاحذية المحلية التى تصنع فى مكة وجدة
 فإذا وصلنا الى زعماء الطبقة الشعبية كالعمدة ومن يتصلون به من أعيان هذه
 الطبقة وجدنا أن لباسهم هو كما وصفناه ويزيد على ذلك عمامة كبيرة على الرأس

إما من البغدادى فى الصيف أو الصوف المشغول فى الشتاء ثم مُصَنَّفٌ أو حَمُودِيّ وهو قِباسٌ متينٌ مخططٌ يوضع على الكتف ويمسكون فى أيديهم عصا من العصى الغليظة التى تسمى « الشون » هذا بالنسبة للباس أهل الحجاز أما الجاليات الأجنبية فكانت تتميز بلباسها الخاصة التى تدل على جنسياتها والواقع أن الحديث عن الأزياء وخاصة فى النصف الأول من العام الهجرى الرابع عشر طويل ومتشعب ولا تتسع له هذه العجالة .

نعود بعد هذا إلى الشيخ محمد على ملطانى رحمه الله فنقول إن الرجل كان زعيا محبوبا لدى معارفه بحق فهو يعرف الكثيرين من الطبقة الوسطى والشعبية بحكم نشاطه بينهم كما أن مواهبه رشحته لصداقة عظماء الرجال فى عصره وخاصة من كان بيدهم الحل والعقد فكان هو واسطة هؤلاء الناس لديهم لقضاء حوائجهم ، وقد عرفته فى منتصف الخمسينات حينما عملت بمكتب الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله بمكة المكرمة فعرفت رجلا لمأحا بارعا الذكاء رغم ضالة تعليمه ولكنه كان عظيم الخبرة بالحياة والناس وكان يخاطب الناس على قدر عقولهم ويتفانى فى خدمتهم بل ولا يتأفف من ذلك .

كان يحضر إلينا فى مكتب الشيخ محمد سرور عصر كل يوم تقريبا ويده قائمة بطلبات الناس هذا يريد إركابا بالبريد وكانت سيارة البريد الوسيلة الوحيدة للسفر سواء إلى مكة أو المدينة أو الطائف وكانت تابعة للشركة العربية للسيارات فلم تكن هناك أتوبيسات أو تاكسيات وإنما كان الناس يركبون فى سيارات البريد والمحظوظ منهم من يجد محلا له بجوار السائق أما بقية الركاب فيتخذون مقاعدهم داخل الصندوق مع طرود البريد وأكياسه نقول إن الشيخ محمد على ملطانى يحضر إلينا عصر كل يوم ويده قائمة بطلبات الناس ابتداء من طلبات الإركاب إلى طلبات المساعدة إلى تعقيب المعاملات إلى غير ذلك من

مختلف الاغراض والطلبات ، وأذكر أنه حضر إلى يوما وكنت مشغولا وكان المكتب يغص بالزائرين ورأى بعضهم كيف أطال الشيخ الملقاني الكلام معي وهو ينظر في القائمة وأنا أخبره بما تم إنجازه من الطلبات السابقة ، وبما وعد به الشيخ محمد سرور أو أشار به في الطلبات الأخرى فقال لي أحدهم بعد أن ذهب الشيخ الملقاني لقد أخذ هذا الرجل من وقتك الكثير فهلا اختصرت الحديث معه ؟ فان غيره من الجالسين ينتظرون على أحر من الجمر قلت إن الرجل لم يطلب شيئا لنفسه وإنما كان يسعى في طلبات الناس فهو لسان من لا يستطيع إيصال حاجته، أو يمنعه الحياء أو يقعد به المرض أو الحاجة فسكت والواقع أن صلتى بالمرحوم الشيخ محمد على ملقاني امتدت إلى أن توفاه الله وعلى كثرة ما كان يسعى لقضاء حاجات الناس لم أره يوما يطلب شيئا لنفسه أو يسعى إلى منفعة وكان الرجل مضيافا له بيت مفتوح في الطائف صيفا يستقبل فيه الضيوف من معارفه الكثيرين كما كان يسافر إلى المدينة كل عام فتكون داره في المدينة المنورة مفتوحة للناس ليل نهار وكان الرجل مغرما بألعاب الورق والطاولة والبجيس وغيرها وكان بارعا فيها فكان يسهر بعض الأحيان إلى الهزيع الأخير من الليل وربما صلى الفجر ثم نام ، ومع اسرافه في هذا اللهو البريء فقد كان رجلا عاملا غير هامل .

مَصْنَعُ الْخِيَامِ

فكان له بيت في القرارة جهة المروة يتخذ منه مكتبا وإدارة لمصنع الخيام ولعله كان أول من صنع الخيام بمكة المكرمة وكنت أزوره في هذا المكتب فأجد العمال الذين أحضرهم وجميعهم من أهل مكة المكرمة يعكفون على صنع الخيام وكان يشتري لهم القماش الجيد المتين ويصنعون الخيام الكبيرة والصغيرة ويؤجرها في

زمن الحج وقد استأجرت منه بعض الخيام الكبيرة في حج أحد الاعوام وأدركنا المطر في عرفات وكان مطراً عظيماً فاظللتنا الخيام دون أن تنزل منها قطرة ماء بينما كانت بعض الخيام المصنوعة في مصر أو الهند لا تظلل المجتمين بها ولو أن الشيخ محمد على رحمه الله توسع في مشروعه هذا وحسنه واستعان فيه ببعض الآلات الحديثة لكان لنا مصنع أو مصانع كثيرة للخيام الجيدة بدلاً من استيراد عشرات الألوف منها كل عام ٠٠

والشيخ المملطاني كان رجلاً أنيس المجلس حاضر البديهة وقد رويت في كتاب حبات من عنقود بعض الطرائف عنه أوردها فيما يلي :

وَاحِدَةٌ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَكْفِي

كان المرحوم الشيخ محمد على مملطاني يجمع الكثير من حميد الخصال ، فلقد كان محباً للخير مشاء في خدمة الناس ، وكان يحضر إلينا يومياً في مكتب الشيخ محمد سرور الصبان ومعه قائمة بطلبات الناس ، هذا يريد له إركاباً إلى المدينة أو الطائف ، وهذا يعقب له على معاملة بوزارة المالية وذلك يحتاج إلى مساعدة أو وظيفة ، وتوثقت صلتى به رحمه الله حتى أصبحت اعتمد عليه في كثير من أمورى الخاصة ، وكان رجلاً عاملاً يجمع إلى الجِدِّ في العمل أنس المحضر ، ومحبة الناس وكان منزله في الطائف أو في المدينة المنورة مجعماً للأصدقاء والأحباب من جميع الطبقات .

وكان قديراً على إرضاء النزعات المختلفة بأساليب غاية في اللطف وحسن المخرج وله طرائف عجيبة أذكر منها أن إحدى بناته ولدت ولداً وأرادت هي وزوجها أن يسمياه أحد الأسماء الحديثة في ذلك الوقت كفاروق ولطفى وفؤاد وما إلى ذلك ، وأراد جد الطفل لأبيه أن يسمى باسمه وكان هذا الجد هو الشيخ

حامد مؤمنة ، وتدخل الشيخ محمد على رحمه الله بوصفه جد الطفل لأمه وهنا تظهر براعته في إرضاء جميع الأطراف مع تحقيق ما يريد ، واجتمع الناس لحضور التسمية وكان السيد محمد السقاف رحمه الله الذي كان معروفا في أوساط مكة المكرمة يقوم ببراسم التسمية ونهض الشيخ محمد على وقال « نعمل قرعة » وأحضر أوراقا صغيرة مكتوبا فيها الأسماء المقترحة ودعى السيد السقاف لاختيار أحدها وفض السيد الورقة فإذا الاسم المكتوب بها هو حامد اسم جد الطفل وتهلل وجه الجد وأشرق ، وقال الشيخ محمد على بلهجته المعروفة للسيد السقاف هيا سم الطفل حامد وتمت التسمية بين سرور الجميع ، وحضر المرحوم الشيخ محمد على في اليوم التالي وحدثني عن الأمر وهو يضحك قال أرادت البنت وزوجها أن يسميا طفلها الأول بأسماء الملوك ولم يراعي شعور جد الطفل وهو أحق بالمرعاة فقلت لهم سنعمل القرعة وكتبنا الأوراق جميعها باسم الجد وهو حامد ودعوت السيد السقاف لاختيار الاسم وكان الاختيار واحدا لا مفر منه وهكذا حققت رغبة الجد دون أن أشعر الآخرين بأن هذا الاسم قد أملى عليهم ، قلت ولكن ماذا لو رجعوا إلى الأوراق فوجدوها جميعا باسم واحد ؟ قال لقد مزقت الأوراق كلها حالما أعلن الاسم لنلا يعود إليها أحد ..

و ذات يوم كنا مسافرين من مكة إلى الطائف مع معالي الشيخ محمد سرور وكان المرحوم محمد على ملتاني معنا ، ووصلنا إلى السيل وتناولنا عشاءنا بها ، ويبدو أن الشيخ محمد سرور كان راغبا في المبيت تلك الليلة بالسيل ولاحظ الشيخ محمد على ملتاني ذلك فقال أليس الأولى أن نواصل السير فنبيت في بيوتنا بالطائف ؟ ونظر إليه الشيخ محمد سرور وقال له مداعبا أنتوى الزواج الليلة ؟ فضحك رحمه الله وقال واحدة من أعداء الله تكفى وكان يعنى بهذا .. ومعدرة إلى القارئ الكريمة أن زوجة واحدة تكفيه فما له وللثانية .. وواصلنا

سفرنا إلى الطائف ومضت بضعة أيام علمت بعدها أن الشيخ الملطاني أعرس في تلك الليلة بالطائف وأن واحدة من أعداء الله كما وصفها أو من أحبائه كما يصفها غيره لا تكفى . . . وقلت له مداعبا لقد فعلتها . . . وكتمت الأمر عنا حتى ونحن رفاقك في السفر . . . فضحك ثم قال إنك تعلم ان لى سبعا من البنات ليس لهن أخ ولقد تزوجت الزوجة الثالثة آملا أن يزرقنى الله منها أخا لهم .
ولم تمض عدة شهور حتى انتقل الشيخ محمد على الى رحمة الله تعالى مأسوفا عليه من محبيه الكثيرين وكانت الزوجة الجديدة حاملا وبعد وفاته وضعت بنتا أخرى . . . رحم الله الشيخ محمد على ملطاني فلقد كان يمثل الرجل المكى الأصيل بما طبع عليه من خلق يجمع بين الجد والفكاهة ، وكان واسطة عقد الأصدقاء يوسع لهم من نفسه وداره ويختصهم بالسعى في شؤونهم مع أنس المحضر ، ولطف المدخل وعدم الإدلال بشيء مما يفعل رحمه الله . . .
انتهى ما نقلناه بنصه من كتاب حبات من عنقود المطبوع عام ١٣٨٧ هـ .

شارع المَلطاني

وقبل أن نختم الحديث عن المرحوم الشيخ محمد على ملطاني نذكر أنه كان يملك بيتا كبيرا في مدينة الطائف أمام باب شبرا وقد قام بهدمه وأنشأ في موضعه شارعا به حوانيت كثيرة على الجانبين وبنى في واجهته منزلا يطلان على باب شبرا ولعله بنى في مؤخرته مثلها وكان يسعى رحمه الله إلى جعله شارعا لمهنة من المهن ولكن الوفاة أدركته فجأة قبل أن يتحقق له ما أراد فقد توفى بعد الانتهاء من عمارة الشارع مباشرة وقد علمت فيما بعد أنه أصبح شارعا للخياطين أو خلافتهم وهو عمل جرىء وجيد اختتم به الشيخ محمد على رحمه الله حياته العاملة الطيبة .

هذا وكانت وفاة الشيخ محمد على ملطاني رحمه الله بالطائف في النصف
الأول من الستينات عن عمر يقرب من الخمسين تغمده الله برحمته الواسعة
وأسكنه فسيح جناته .



اتبعنا في ترتيب نشر هذه التراجم ان تكون مسلسل على الحروف الابجدية وقد
حدث بعض الخطأ في هذا الترتيب بصورة غير مقصودة ولم يكن من الممكن تفادي
هذا الخطأ بعد اتمام الطبع فالى ذلك نلفت الانتباه .

مراجع الكتاب

اسم الكتاب	المؤلف
إبسمات الأيام في انتصارات الامام	محمد بن عبدالله بن بليهد
ابو غرام والبشكة	احمد قنديل
أدب الهجاز	محمد سرور الصبان
الراعى والمطر	احمد قنديل
المركز	احمد قنديل
المعرض	محمد سرور الصبان
اللوحات	احمد قنديل
الموسوعة الأدبية	عبد السلام طاهر الساسى
أوراقى الصفراء	احمد قنديل
تاريخ مدينة جدة	عبد القدوس الأنصارى
تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية	عثمان حافظ
خواطر مصرحه (جزئين)	محمد حسن عواد
ديوان العواد (جزئين كبيرين)	محمد حسن عواد
رجل وعمل	عبدالله عزيز
سير وتراجم بعض علاننا في القرن الرابع عشر	
للهمجرة	عمر عبد الجبار
شمعتى تكفى	احمد قنديل
عريس البحر (جزئين)	احمد قنديل
قاطع الطريق	احمد قنديل
ماضى الهجاز وحاضره	حسين محمد نصيف
مجموعة جريدة بريد الهجاز	
مجموعة جريدة صوت الهجاز	
بعض المجلات والصحف المحلية والعربية	
محمد طاهر الدباغ	بكر الصباغ
محمد على زينل رضا	محمد احمد الشاطرى
نار	احمد قنديل
همسات العريف	زهير محمد جميل كنى

فهرس الصور

الصفحة

الصورة

١٨	أحمد صالح قنديل
٣٦	الحاج زينل على رضا
٤٢	الشيخ ضياء الدين حمزة رجب
٥٤	سليمان امان قابل
٦٢	السيد صالح بن بكرى شطا
٧٦	الشيخ عباس يوسف قطان
٨١	موضع مولد النبي ﷺ
٨٣	موقع بيت السيدة خديجة رضى الله عنها
٨٨	عبدالله محمد باحمدين
١١٠	عبدالله السليمان الحمدان
١٣٠	عبدالله عريف
١٣٨	الحاج عبدالله على رضا
١٤٨	محمد حسن عواد
١٩٠	محمد جعفر لبنى
١٩٦	الدكتور محمد خالد خاشقجى
٢٠٨	محمد حسين نصيف
٢١٦	محمود حسين نصيف
٢٢٢	محمد سرور الصبان
٢٣٦	الشيخ محمد صالح أبو زناده
٢٥٠	الشيخ محمد صالح جمجوم

٢٥٨ محمد صالح نصيف
٢٧٠ السيد محمد طاهر الدباغ
٢٧٨ محمد علي زينل رضا
٢٩٤ محمد عبدالصمد فدا
٣٠٦ الشيخ محمد ماجد كردى
٣١٤ محمد الطويل
٣٢٢ الشيخ عبدالرؤوف الصبان

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٧	مقدمة
١١	الشيخ أحمد الزهراء
١٩	أحمد صالح قنديل
٣٧	الحاج زينل علي رضا
٤٣	الشيخ ضياء الدين حمزة رجب
٥٥	سليمان أمان قابل
٦٣	السيد صالح بن بكري شطا
٧٧	الشيخ عباس يوسف قطان
٨٩	عبد الله محمد باحمدين
١٠١	الشيخ عبد الرؤوف جمجوم
١١١	عبد الله السليمان الحمدان
١٢٧	عبد الله محمد الصغير
١٣١	الأستاذ عبد الله عريف
١٣٩	الحاج عبد الله علي رضا
١٤٩	محمد حسن عواد
١٩١	محمد جعفر لبنى
١٩٧	الدكتور محمد خالد خاشقجي
٢٠٩	محمد حسين نصيف
٢١٧	عمود حسين نصيف
٢٢٣	محمد سرور الصبان
٢٣٧	الشيخ محمد صالح أبو زنادة
٢٥١	الشيخ محمد صالح جمجوم

الموضوع	الصفحة
محمد صالح نصيف	٢٥٩
السيد محمد طاهر الدباغ	٢٧١
محمد علي زينل رضا	٢٧٩
محمد عبد الصمد فدا	٢٩٥
الشيخ محمد ماجد كردي	٣٠٧
محمد الطويل	٣١٥
الشيخ عبد الرؤوف الصبان	٣٢٣
محمد جميل حسن	٣٣٣
الشيخ محمد علي ملطاني	٣٤١

إصدارات إدارة النشر بتهامة

الكتاب العربي السعدي

صدر منها :

المؤلف	الكتاب
المرحوم الأستاذ أحمد قنديل	* الجبل الذي صار سهلاً
الأستاذ محمد عمر توفيق	* من ذكريات مسافر
ترجمة الأستاذ عزيز ضياء	* عهد الصبا في البادية
دكتور محمود محمد سفر	* التنمية قضية
دكتور سليمان محمد الغنام	* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا
الأستاذ عبد الله جفري	* الظلم (مجموعة قصصية)
دكتور عصام خوقير	* الدوام (قصة طويلة)
دكتورة أمل محمد شطا	* غداً أنسى (قصة طويلة)
دكتور علي بن طلال الجهني	* موضوعات اقتصادية معاصرة
دكتور عبد العزيز حسين الصويغ	* أزمة الطاقة إلى أين؟
الأستاذ أحمد محمد جمال	* نحو تربية إسلامية
المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة	* إلى ابنتي شيرين
المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة	* رفات عقل
دكتور محمود حسن زيني	* شرح قصيدة البردة (دراسة وتحقيق)
دكتورة مريم البغدادي	* عواطف إنسانية (ديوان شعر)
المرحوم الشيخ حسين باسلامة	* تاريخ عمارة المسجد الحرام
دكتور عبد الله حسين باسلامة	* وقفة
الأستاذ أحمد السباعي	* خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)
الأستاذ عبد الله الحصين	* أفكار بلا زمن
الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع	* علم إدارة الأفراد
الأستاذ محمد الفهد العيسى	* الأبحار في ليل الشجن [ديوان شعر]
الأستاذ محمد عمر توفيق	* طه حسين والشيخان
دكتور غازي القصيبي	* التنمية وجهاً لوجه

- * الحاضرة محمد
- * عبر الذكريات (ديوان شعر)
- * لحظة ضعف
- * الرجولة عماد الخلق الفاضل
- * ثمرات قلم
- * بائع التبغ
- * اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة
- * النجم الفريد
- * مكانك تحمدي
- * قال وقلت
- * نبض..
- * نبت الأرض
- تحت الطبع :**

- * السعد وعد (مسرحية)
- * قصص من سومرست موم
- * عن هذا وذاك
- * قصص من طاغور
- * الأمثال الشعبية في مدن الحجاز
- * افكار تربوية.
- * تأملات في دروب الحق والباطل
- * خدعتني مجبها (مجموعة قصصية)
- * نقر المصافير
- * السنيورا (قصة طويلة)
- * أيامي..
- * الدكتور عصام محمد علي خوقيير
- * ترجمة الاستاذ عز يز ضياء
- * الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- * ترجمة الاستاذ عز يز ضياء
- * الأستاذ أحمد السباعي
- * الدكتور ابراهيم عباس نتو
- * الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
- * الأستاذ عبد الله بوقس
- * المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
- * الدكتور عصام خوقيير
- * الأستاذ أحمد السباعي

- * التاريخ العربي وبدايته الأستاذ أمين مدني
- * ماما زبيدة [مجموعة قصصية] الأستاذ عزيز ضياء
- * مدارسنا والتربية الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
- * دوائر في دفتر الزمن «مجموعة قصصية» الأستاذ سباعي عثمان
- * جسور الى القمة الأستاذ عزيز ضياء
- * قال بيدبا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
- * هكذا علمني ورد زورث الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
- * عام ١٩٨٤ جورج أورويل [ترجمة] ترجمة الأستاذ عزيز ضياء
- * مشاوري مع الكلمة الأستاذ حسن عبد الحفي قزاز
- * وجيز النقد عند العرب الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- * لن تلحد الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
- * تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها فضيلة الشيخ حسين باسلامة
- * رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر) الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- * الإسلام في نظر أعلام الغرب الشيخ حسين باسلامة
- * فلسفة المجانين الأستاذ سعد البواردي
- * الأصداف (ديوان شعر) المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
- * عن هذا وذالك الدكتور غازي القصيبي
- * الدمعات الخمس (ديوان شعر) المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
- * العقاد الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية
- الدكتور مدني عبد القادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق [باللغة الانجليزية]
- الدكتور : فؤاد زهران
- الدكتور : عدنان ججوم
- الدكتور : محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة
- الدكتور محمد جيل منصور
- الدكتور فاروق سيد عبد السلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا
- الدكتور عبد المنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره
- الدكتور أحمد رمضان شقلية
- علاقة الآباء بالأبناء [دراسة فقهية]
- الدكتور سعاد ابراهيم صالح
- مبادئ القانون لرجال الأعمال في المملكة العربية السعودية
- الدكتور محمد ابراهيم أبو العينين
- الاتجاهات العددية والتنوعية للدوريات السعودية
- الأستاذ هاشم عبده هاشم

نظمت الطبع :

- الملامح الجغرافية لدروب الحج
- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- مشكلات الطفولة
- الدكتور محمد جيل منصور
- هندسة النظام الكوني في القرآن
- الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر

- * الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية الأستاذ نبيل عبد الحمي
- * النظرية النسبية دكتور عبد الرحمن فكري
- * الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوربية)
- * شعراء التربادور دكتورة مريم البغدادي
- * الفكر التربوي في رعاية الموهوبين الدكتور لطفي بركات أحد



مطبوعات
PUBLICATIONS

صدر منها :

- * حارس الفندق القديم الأستاذ صالح إبراهيم
- * دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية)
- * التخلف الإملاني الأستاذة نوال قاضي
- * ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة العربية)
- * ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية)
- * تسالي دكتور حسن يوسف نصيف

تحت الطبع :

- * مجلة الأحكام الشرعية للمرحوم الشيخ أحمد بن عبد الله قاري
- دراسة وتحقيق : د. عبد الوهاب أبو سليمان د. محمد إبراهيم أحد علي

- * النفس الانسانية في القرآن الأستاذ ابراهيم سرسيق
- * الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام الأستاذ أمين ساهاتي
- * خطوط وكلمات [رسوم كاريكاتورية] الأستاذ علي الخرجي
- * القرآن ودنيا الانسان الأستاذ صلاح البكري
- * الوحدة الموضوعية في سورة يوسف دكتور حسن محمد باجودة
- * الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- * الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- * ألوان الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- * عطر وموسيقى الأستاذ محمد اسماعيل جوهرجي
- * اضواء على نظام الأسرة في الاسلام دكتور سعاد ابراهيم صالح
- * وللخوف عيون (مجموعة قصصية) الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- * سوانح وخطرات الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- * الحجاز واليمن في العصر الأيوبي دكتور جميل حرب عمود حسين
- * نقاد من الغرب الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- * ماذا تعرف عن الأمراض دكتور اسماعيل الهلباوي
- * جهاز الكلية الصناعية دكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر

رسائل جامعية

تحت الطبع :

- * العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن الأستاذة أميرة علي المداح
- * القصة في أدب الجاحظ الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- * الخراسانيون ودورهم السياسي الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- * تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف الأستاذة فوزية حسين مطر

الأستاذ رشاد عباس معتوق

● نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون

الأستاذ عبدالكريم على باز

● افتراءات فليب حتى، وبروكل مان
على التاريخ الإسلامي.

كتاب للأطفال

لكل حيوان قصة - للأستاذ يعقوب اسحاق

تحت الطبع :

صدر منها :

- * الذئب
- * الحمار الوحشي
- * الفراشة
- * الخروف
- * البيغاء
- * الوعل
- * الجاموس
- * الحمامة
- * الفرس
- * الدجاج
- * البط
- * الغزال

- القرد ..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الاسد
- البغل
- الفار ..
- الحمار الاهلي

كتاب الاسمين

وطني الحبيب

[حلقات] يكتبها الأستاذ يعقوب إسحاق

صدر منها :

جدة القديمة

نحت الطبع :

جدة الحديثة.

حكايات للأطفال

يكتبها الأستاذ عزيز ضياء

قصص للأطفال

تكتبها الأستاذة فريدة فارسي

كتب صدرت باللغة الانجليزية

English Books Published By Tihama

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

By F.M. Zahran
A.M.R. Jamjoom
M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
Third Five year Development Plan